دكتور رمسيس عوض

اليهود
فى الأدب الأمريكى

منتدى سور الأزبكية
www.BooksFall.net

فى أربعة قرون (من السابع عشر حتى العشرين)

مكتبة الأنجلو المصرية

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://www.facebook.com/books4all.net

اليهود فى الأدب الأمريكى
فى أربعة قرون
(من السابع عشر حتي العشرين)

د. رمسيس عوض

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

المحتويات

مقدمة ٥

الفصل الأول :

صورة اليهودي في الأدب الأمريكي في فترة الاستعمار البريطاني في القرنين السابع عشر والثامن عشر ١١

الفصل الثانى :

أدب البيديش ٢٧

الفصل الثالث :

الأدب الأمريكي في القرن التاسع عشر ٧٣

تمهيد ٧٥

١ - الشعر والرواية الشعبية في أمريكا حتى عام ١٨٣٠ ..... ٨٠

٢ - الرواية الشعبية قبل الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) ١٠٦

٣ - شعراء المدفأة ١٢٧

٤ - شعراء النهضة الأمريكية ١٣٦

٥ - ناثانيل هوثورن (١٨٠٤) - ١٨٦٤) وقصة «اليهودي التائه» ١٤٠

٦ - هيرمان ميلفيل (١٨١٩ - ١٨٩١) واليهود ١٤٥

٧ - الدين في الشعر والرواية ١٥٢

الفصل الرابع والأخير :

روائيون ونقاد يهود أمريكان معاصرون ١٩٧
١ - نورمان مالر ٢٠٢
٢ - ليونيل تريلنج ٢١٢
٣ - والتر أبيش ٢١٧
٤ - ماكس أبل ٢٢٠
٥ - بول أوستر ٢٢٢

مقـــدمة

الحديث عن اليهود فى الأدب الأمريكى متشعب كما تدل على ذلك الدراسات العديدة التى أجريت عنه. ويزيد من صعوبة معالجة الموضوع أننا لا نعرف على وجه التحديد المقصود من تعبير الأدب اليهودى الأمريكي. هل هو الأدب الذى يكتبه الأمريكيون عن اليهود. أم هو الأدب الذى يكتبه اليهود فى أمريكا عن أنفسهم أو حتى عن غيرهم وثمة معضلة أخرى. هل هو المكتوب بلغة البيديش (التى سوف نعرض لها بالتفصيل فى الفصل الأول من هذا الكتاب) أم أنه الأدب المكتوب باللغة الإنجليزية التى يستخدمها الأمريكيون. هناك تساؤل آخر. هل هناك بين الأدباء اليهود الذين يكتبون بالإنجليزية اهتمامات مشتركة تجمع بينهم حيث أنه من الواضح أن إنتاجهم الأدبى ينم عن شدة تنوع اهتماماتهم. فشعر بوتوك Potok يتناول بالتفصيل أبناء طائفة الهاسيدية. وهى طائفة يهودية من المتصوفة تأسست فى القرن الثامن عشر (وكلمة هاسيد كلمة عبرية تدل على التقوى والورع) فى حين أن الروائى اليهودى الأمريكى المعاصر شاوول بيلو ينصرف اهتمامه الأدبى إلى طبقة المفكرين والمثقفين. أما فيليب روث الأديب اليهودى الأمريكى فيستخدم الثقافة الشعبية فى سياق أوروبي. وهناك من أدباء أمريكا من يربط بين اليهودية والأنوثة والحركة النسائية. وهناك أيضًا من يربط بينها وحركة تحرر الزنوج فى أمريكا. اهتمامات متشعبة ومتعددة يصعب على الدارس تحديدها. ورغم كل هذا التنوع والتشعب تبرز بعض الاهتمامات المشتركة التى تجمع بين يهود أمريكا تتلخص فى الهولوكست (أى الإبادة النازية لليهود) إلى جانب مشكلة انصهار يهود أمريكا فى بوتقة الحياة الأمريكية مع الاحتفاظ بممارستهم الدينية. وتعكس مسرحية آرثر ميلر «الزجاج المكسور» الصادرة عام ١٩٩٤ تشابك هذه الأمور جميعًا حيث إن هذه المسرحية التى تقع أحداثها عام ١٩٣٨ تنسب الشلل الذى أصاب شخصية سيلفيا

جلبرج إلى الوحشية النازية ويعكس ميلر فى هذه المسرحية الازدواجية الرئيسية التى أصابت اليهود الأمريكيين منذ أن بدأت حركات الإصلاح اليهودى فى عقد الأربعينيات من القرن التاسع عشر. هذه الازدواجية تتجلى فى قول شخصية جلبرج اليهودى فى مسرحية «الزجاج المكسور» عن بنى جلدته: «ولكن تأتى أيام أشعر فيها بالرغبة فى الذهاب والجلوس حيث يجلس الرجال المسنون وأغطى رأسى بالشال الذى يلبسه المصلون وأشعر بيهوديتى الكاملة طوال حياتي... ولكن تأتى أوقات أخرى أحس بأنى قادر على قتلهم لأنهم يثيرون أعصابي... وبالخجل منهم ومن منظرى الذى يشبه منظرهم».

وكثيراً ما يدور الأدب اليهودى الحديث فى أمريكا حول ضآلة الإنسان اليهودى وصغر حجمه وهوان شأنه. ونحن نطالع هذه التفاهة فى أدب البيديش بوجه عام وإسحق بشفيز سنجر بوجه خاص. ورغم تفاهة هذا اليهودى فإنه قمين بأن يثير اهتمام القارئ. فهو يمثل مجموعة من القيم وطموحات وآمال الإنسان اليهودى العادى فلا عجب إذا رأينا هذا الأدب يخلو من البطولة والأبطال.

ويعلن المؤلف وودى ألن عن شخصية كلينمان التى رسمها فى روايته «ظلال وضباب» فقد سأله سائل عما إذا كان أدبه يسعى إلى أسطورة اليهودى الماسوكى الذى يجد متعة فى تعذيب نفسه وانتقادها نراه يجيب بأن هذه الصورة تعبر عن الشعور المألوف الذى يكابده أى يهودى عادى مؤكداً أنه الشعور السائد بين اليهود عن بنى جلدتهم. وضآله اليهودى والإنسان بوجه عام ليست جديدة فى الأدب الأمريكي. فضلا عن أن رواية جيمس جويس المعروفة «يوليسيس» تدور فيما تدور حول هوان شأن اليهودى «بلوم».

ونلاحظ أن نصوص الأدب اليهودى الأمريكى فى البداية لا تقدم مفهومًا محدداً أو واحداً لليهودية بل عدداً من المفاهيم غير المحددة. والجدير بالذكر أن المهاجرين اليهود إلى أمريكا أخذوا فى مطلع القرن العشرين يتحركون بسرعة بعيداً عن الاقتصاد الريفى الذى عرفه أسلافهم فى موطنهم الأصلى بأنماطه المستقرة فى الحياة الاجتماعية والدينية وهم فى طريقهم إلى الحداثة. يقول عالم الاجتماع ج.ل. بو فى هذا الشأن:

«ومن الداخل نجد أن اكتشاف العالم الجديد بدعم ومؤازرة العلوم الطبيعية والاجتماعية ودعم المفاهيم الغربية الخاصة بعلوم الجمال والأخلاق أدى إلى إعادة النظر من جديد فى التقاليد اليهودية نفسها. وهذا ما يعرف فى الأغلب الأعم بمحنة تحديد الهوية اليهودية. ولكن مثل هذا الوصف للمشكلة من شأنه أن يجعل المشكلة برمتها تعتمد على رد فعل كل فرد الأمر الذى يعنى فى يومنا الراهن أنه مادام كل يهودى أمريكى يعيش الجانب الأعظم من حياته خارج نطاق التقليد اليهودى فإنه يتحتم عليه أن يتشكك على نحو لا يعرف التغير فى الوشائج المفككة الباقية التى تربطه بالتقليد اليهودي».

ويفسر لنا هذا السر فى اهتمام الباحثين بالإنتاج الروائى والقصصى فى الأدب اليهودى الأمريكى لأنه يعالج موضوع الهوية اليهودية.

إن ما يربو على مليونى يهودى هاجروا من شرق أوروبا إلى أمريكا فى الفترة من ١٨٨٠ حتى ١٩٢٠ ومن الطبيعى للغاية أن يتأمل أبناؤهم وأحفادهم وضعهم كمهاجرين وأن يمعنوا النظر فى تجربة الهجرة ويعيدوا تقييمها خاصة أن المهاجرين اليهود الأوائل تركوا تراثًا ثقافيًا وأدبيًا رفيع المستوى قبل وصولهم إلى بلاد المهجر. حتى الدين اليهودى نفسه لم يكن شيئًا واضح المعالم ومحدد القسمات بسبب الاختلافات الكثيرة التى احتدمت بين اليهود أنفسهم الأمر الذى جعل من المستحيل أن نجد لديهم إجماعًا فى الرأى على المفاهيم الدينية. واختلاف اليهود فى تفسير دينهم لم يكن نتيجة الهجرة إلى أمريكا فقد انقسموا إلى شيع حتى قبل أن تطأ أرجلهم أرض أمريكا.

ورغم هذه الاختلافات حول المفاهيم الدينية والاجتماعية فقد تمسك اليهود بمفهوم ثابت عن الهوية اليهودية يتجاوز كل هذه المفاهيم المتغيرة. وهو مفهوم تعين على كل يهودى - مهما كان جيله - أن يتشبث به رغم بعد هذا المفهوم عن الوضوح والجلاء. وهو ما يشير إليه أديب اليديش الكبير اسحق باشفيتش سنجر فى معرض حديثه عن أحد معارفه من كتاب اليديش. يقول سنجر: «لقد شب وترعرع على فكرة مفادها أنه ينبغى على اليهودى أن يخرج من شرنقة يهوديته ويصبح عالميًا.

لأنه سعى ما وسعه السعى إلى أن يصبح عالميًا فقد صار محليًا للغاية. وهذه هى لمأساة» ولهذا فليس بالمستغرب أن يدور جانب كبير من الأدب اليهودى الأمريكى للاحق حول الهجرة والتأمرك (أى التحول إلى الطابع الأمريكي). وهذا ما نجده فى رواية إبراهام كاهان «نشأة دافيد ليفنسكي» (١٩١٧) وهى تحدثنا عن دافيد الذى هاجر لتوه إلى أمريكا فلم يجد مكانا يأويه غير الشارع الأمر الذى جعله يفسر الحياة لأمريكية لصديق جديد على النحو التالي: «واستمر (دافيد) يوضح كيف أن العالم لجديد قلب الأشياء رأسا على عقب فقد جعل صانع أحذية مهاجر رجلاً له أهميته فى حين أن رجلاً كان يعيش قبل الهجرة فى بحبوحة واسترخاء وجد نفسه مرغمًا على لعمل فى مصنع هنا فى أمريكا..»

«لم يغب عن بال بعض الأدباء اليهود الأمريكان فى التسعينيات من القرن العشرين مثل جور فيدال أن يقارنوا بين الأدب اليهودى الأمريكى وبين الانتاج الأدبى للزنوج فى أمريكا».

الفصل الأول

صورة اليهودى فى الأدب الأمريكى فى فترة الاستعمار البريطانى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر

الفصل الأول

صورة اليهودى فى الأدب الأمريكى فى فترة الاستعمار البريطانى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر

من المعروف أن هجرة الإنجليز إلى أمريكا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر اشتملت على العناصر غير المرغوب فيها بسبب الانشقاق الدينى أو الرغبة فى التخلص من المجرمين الصادرة ضدهم أحكام بالسجن أو الإعدام فقد انشق عن كنيسة إنجلترا عدد كبير من البروتستانت البيوريتانيين من غلاة المتشددين فأرغمت السلطات البريطانية كثيراً من أفراد هذه الطائفة المتشددة على الهجرة إلى منطقة نيو أنجلاند (أى إنجلترا الجديدة) والاستقرار فيها وفى فترة الاستعمار البريطانى للأراضى الأمريكية لم يكن لليهود فى أمريكا أى نفوذ يذكر إذ أن تعدادهم فى نهاية حقبة الاستعمار البريطانى للأراضى الأمريكية لم يتجاوز ثلاثة آلاف يهودي. وانصب اهتمام الأدب الأمريكى حينذاك على بنى إسرائيل؛ أى يهود الأمس كما ورد ذكرهم فى العهد القديم. رأى المهاجرون الإنجليز إلى أمريكا من أبناء طائفة البروتستانت الأصولية المتشددة أنهم مبعوثو العناية الإلهية وأنهم يسيرون على نفس الدرب الذى سبق لشعب الله المختار أن سار عليه قبل أن يغضب منهم عندما أرسل إليهم ابنه الوحيد يسوع المسيح فسفكوا دمه الطاهر البريء.

وليست هناك غرابة فى أن يتوفر غلاة البروتستانت البيوريتانيين على دراسة اللغة العبرية وإتقانها فهى لغة التوراة الذى بشر بمجيء السيد المسيح. ومن زعماء البيوريتانيين الذين هاجروا فى القرن السابع عشر من إنجلترا إلى أمريكا والذين

أتقنوا اللغة العبرية جون كوتون (١٥٨٤ - ١٦٥٢) وتوماس شيرد (١٦٠٥ - ١٦٤٩) وناثانيل وارد (١٥٧٨ - ١٦٥٢) وجون هارفارد (١٦٠٧ - ١٦٣٨) ومايكل ويجلورث (١٦٣١ - ١٧٠٥) وريتشارد جاثر (١٥٩٦ - ١٦٦٩) وهنرى دانستر (١٦٠٩ - ١٦٥٩) الذى كان أول رئيس لكلية هارفارد (جامعة هارفلرد الآن) وتشارلس تشونسى (١٥٩٢ - ١٦٧٢) خليفته فى رئاسة هذه الكلية.

والجدير بالذكر أن أول كتاب مهم - وهو ترجمة للمزامير عن الأصل العبري- صدر عام ١٦٤٠ فى مستعمرة بريطانية فى شمال أمريكا تحت عنوان «كتاب باى للمزامير».

والترجمة تحتفظ بأوزان الشعر. كما يجدر بالذكر أيضًا أن ولع المهاجرين الإنجليز من طائفة البروتستانت البيوريتانية باللغة العبرية بلغ حداً جعلهم يطلقون على أبنائهم والمدن والأماكن أسماء تذكرنا بالأسماء العبرية الواردة فى الكتاب المقدس.. وعند إنشاء كلية هارفارد أصبحت اللغة العبرية مادة مقررة على جميع الطلبة كمدخل لدراسة الكتاب المقدس وخاصة فى فترة رئاسة كل من هنرى دانستر وتشارلس تشونسى لها. وقد كان الهدف الأساسى من انشاء كلية هارفارد تخريج قساوسة للوعظ فى الكنائس على درجة من الكفاءة والعلم بالعبرية فى منطقة نيو أنجلاند. وكانت القدرة على ترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبرية إلى اللاتينية شرطًا من شروط التخرج من كلية هارفارد.

ويعتبر جوداه مونيس (١٦٨٣ - ١٧٦٤) من أبرز أساتذة اللغة العبرية فى كلية هارفارد فى الفترة من ١٧٢٢ إلى ١٧٦٠ ثم خلفه ستيفن سيوال (١٧٣٤ - ١٨٠٤) الذى استمر فى تدريس العبرية من ١٧٦٤ حتى ١٧٨٥ . وفى خلال القرن السابع عشر لم تكن هذه الكلية تسمح باستخدام أية لغة غير العبرية. لكن القرن الثامن عشر شاهد تغيراً فقد سمع لأول مرة بتدريس النصوص الإنجليزية إلى جانب النصوص العبرية. وفى نهاية فترة الاستعمار البريطانى لأمريكا أصبح منذ عام ١٧٨٢ تعلم اللغة العبرية مسألة اختيارية بعد أن كانت إجبارية. وهكذا أصبح من حق الطالب أن يتعلم الفرنسية بدلاً من العبرية بعد أخذ موافقة الكلية على ذلك.

ويجدر الأشارة إلى أن صامويل جونسون (١٦٩٦-١٧٧٢) الذى كان عميد كلية الملك (التى تحولت فيما بعد إلى جامعة كولومبيا) تشدد مع الأساتذة تحت إمرته واشترط عليهم إتقان اللغة العبرية ولكنه استثنى الطلبة من ذلك. أما كلية ييل الأقدم والأرسخ قدمًا فقد أصرت على أن يكون طلبتها على علم باللغة العبرية. ولم يكن تدريس العبرية قاصراً على الكليات السالفة الذكر بل امتد إلى كليات أخرى أقيمت فى عهد الاستعمار البريطانى مثل برنستون فى عام ١٧٤٦ وبراون فى عام ١٧٦٤

ولكن من الخطأ أن نظن مما تقدم أن الأمريكيين كانوا يهتمون باليهود المعاصرين لهم. كل ما فى الأمر أن تمسكهم الشديد بالدين المسيحى جعلهم يهتمون باليهود القدامى، بنى إسرائيل الذين خرج السيد المسيح منهم وعاش بين ظهرانيهم. وليس أدل على ذلك من أن ولاية نيوأنجلاند دأبت على محاولة تحويل اليهود إلى الدين المسيحي. وقد كتب البيوريتانى البارز كوتون ماثر فى يومياته أن أمله بعد وفاته أن يعتبر الله سعيه لهداية اليهود إلى الدين المسيحى إحدى مآثره.

ثم نشر كوتون ماثر نبذة بعنوان «دين الآباء» أهداها إلى الأمة اليهودية وفيها نصح اليهود بعدم الاستمرار فى ضلالهم ودعاهم إلى الإيمان بالسيد المسيح. ولكن من الواضح أن أمله فى هداية اليهود إلى الدين المسيحى باء بالفشل الذريع بسبب عناد اليهود وتشبثهم بدينهم. ورغم فشل كوتون ماثر شخصيًا فى هداية اليهود إلى الدين المسيحى فإن قلبه أمتلأ بالفرح الممتزج بالأمل عندما نما إلى علمه أن ثلاث بنات يهوديات تتراوح أعمارهن من الثامنة إلى الثانية عشرة شققن عصا الطاعة على أسرتهن وأصررن على اعتناق المسيحية الأمر الذى جعله يؤلف عام ١٧١٨ نبذة فى هذا الشأن بعنوان «تشجيع الإيمان» ولم تكن رغبة كوتون ماثر المتأججة فى هداية اليهود بالأمر المستغرب فقد ورثها عن أبيه الذى دعا إلى تحويلهم إلى المسيحية فى عدد من النبذات الدينية هى «سر خلاص شعب إسرائيل» (١٦٦٩) «حول تحويل الأمة اليهودية إلى المسيحية فى المستقبل».

واقتنع كثير من البروتستانت المتزمتين من طائفة البيوريتان بأن اليهود الحمر الذين يسكنون شمال أمريكا هم سلالة شعب إسرائيل بعد أن تعرض للشتات ورأى هؤلاء البيوريتانيون أن كثيراً من الوشائج تربط بين الهنود الحمر وشعب إسرائيل فهم يمارسون الختان ويكرهون لحم الخنزير ويدعكون رءوسهم بالطيب الخ. ومن هذا المنطلق قام صامويل سيوال (١٦٥٢ - ١٧٣٠) الذى شغل منصب رئيس قضاة مستعمرة خليج ماساشوستس من ١٧١٨ إلى ١٧٢٨ بعقد صداقات مع الهنود الحمر لأنه آمن بأنهم جزء من شعب الله المختار وفى عام ١٦٨٦ سطر صامويل سيوال خطابًا قال فيه إن الدكتور ثوروجود ألف بحثًا منذ نحو ثلاثين عامًا بعنوان «اليهود فى أمريكا» مفاده أن هنود أمريكا ينحدرون من نسل إبراهيم.

تقول آن رادستريت (أولى شاعرات أمريكا وابنة حاكم ولاية ماسوشتس) التى ألفت ملحمة شعرية بعنوان «الأسر المالكة الأربعة» تؤكد أن الهنود الحمر سوف يعودون إلى صهيون بالقطع واليهودية تحيط بهم البركات وأيضًا آمن وليم بن أن النسل الحقيقى لشعب إسرائيل موجود فى ولاية بنسلفانيا التى صارت تحمل اسمه وأثلج صدره أن إحدى قبائل الهنود الحمر اعتبرته أخاها. وبعد تخرجه من جامعة ييل عام ١٧٥٠ انكب المبشر المسيحى عزرا ستايلز على البحث بين الهنود الحمر عن العشر قبائل اليهودية المفقودة بهدف هدايتها إلى الدين المسيحى غير أن هذا لم يصرفه عن الاهتمام ببقية الشتات اليهودى المتمثل فى القبيلتين الآخريين اللتين التقى ببعض أفرادهما فى ميناء نيوبورت وحضر عزرا ستايلز حفل تدشين معبد اليهود فى تورو عام ١٧٦٣ وهو أقدم معبد يهودى فى أمريكا كلها. وتألم عزرا ستايلز كثيراً لأنه فشل فى اقتفاء أثر العشر قبائل المفقودة كما أنه تألم كثيراً لفشله فى إغراء بعض أصدقائه التجار اليهود بمنطقة جزيرة رود باعتناق المسيحية. وانتهى الأمر به إلى الاعتقاد أن الله أراد لليهود أن يحتفظوا بدينهم اليهودى مدى الدهر.

وفى عام ١٧٨٨ اضطلع جوناثان أدواردز بتأليف كتيب بعنوان «لغة الهنود الموهيكان» حاول فيه استقصاء جذور لغات الهنود الحمر بأمريكا ونسبتها إلى العبرية القديمة.

ولم يفقد الباحثون المسيحيون الأمريكيين حتى بعد جلاء الاستعمار البريطانى عن أمريكا الأمل فى العثور على الشتات اليهودى المتمثل فى القبائل اليهودية العشر المفقودة. ففى عام ١٨١٦ قام إلياس تورينو فى ترنتون عاصمة نيوجيرسى بنشر كتيب بعنوان «نجم فى المغرب أو محاولة متواضعة لاكتشاف العشر قبائل الإسرائيلية الضائعة منذ زمن طويل تمهيداً لعودتهم إلى مدينتهم الحبيبة أورشليم». وبعد مضى أكثر من عقد نشر موردخاى م. نوح عام ١٨٢٧ كتابًا مماثلاً بعنوان. «خطاب حول الدلائل التى تشير إلى أن هنود أمريكا هم سلالة العشر قبائل الإسرائيلية المفقودة».

ويقدر الدراسون عدد اليهود المهاجرين إلى أمريكا الشمالية فى القرن السابع عشر بنحو ألفين وخمسين يهوديًا تكونت أول مجموعة منهم من ثلاثة وعشرين شخصًا هبطوا أرض نيو أمستردام فى سبتمبر ١٥٦١. وفى نفس العام جاء الرعيل الأول من اليهود الذين آثروا العيش فى نيو بورت بمقاطعة رود أيلاند (جزيرة رود). وكان حال يهود نيو أمستردام أسوأ من حال يهود نيوبورت، فقد تعين عليهم فى مستعمرة نيو أمستردام الكفاح من أجل الحصول على حرية العبادة والقدرة على العيش والبقاء بسبب عداوة حاكم المقاطعة الهولندى بيتر ستيوفسانت لهم. غير أن هذا الحاكم اضطر تحت الضغط أن يخفف من وطأة القيود الكثيرة المفروضة عليهم. أما اليهود فى مستعمرة نيوبورت فكانوا أوفر حظًا فقط طمأنهم روجر وليامز مؤسس مقاطعة رود أيلاند على دينهم وضمن لهم حرية ممارسة شعارهم أسوة بالمسيحيين وذلك منذ اللحظة الأولى التى جاءوا فيها. ولا غرو فقد كان روجر مؤمنًا بالتسامح الدينى وكارهًا للتعصب ضد اليهود وأيضًا مؤمنًا بضرورة الفصل بين الدين والدولة. وعلى الرغم من أن روجر وليامز كان يعتقد بعلو شأن المسيحية وفضلها على غيرها من الأديان فإنه نبذ التفرقة الدينية نبذاً تامًا ذاهبًا إلى أن الله نفسه يحبذ التنوع ولا يريد أن يؤمن جميع البشر بديانة واحدة.

وفى خلال السنوات التى احتدمت فيها المناقشات حول إنشاء نظام أمريكى جديد يخلف نظام الاستعمار البريطانى بدا مجتمع بنى إسرائيل كما ورد فى الكتاب المقدس نموذجًا يحتذى ومصدراً للإلهام. وقبيل الموافقة على اعتماد الدستور

الأمريكى وقف المبشر صامويل لانجدون يوم ٥ يونية ١٧٨٨ فى كونكورد بمقاطعة هامشير الجديدة ليلقى موعظة نشرها فيما بعد تحت عنوان «جمهورية الإسرائيليين مثل أعلى يحتذيه الأمريكيون» قال لانجدون فى موعظته إن شعب إسرائيل فى التاريخ القديم أعطى العالم بأسره نموذجًا رفيعًا يرفع من شأن الشعور القومى ويشرح أسباب الخراب القومى الذى يحيق بأية أمة. والدليل على ذلك أن اليهود الذين خرجوا من مصر كانوا فى حالة شديدة من الفوضى والتشرذم ولا ينخرطون فى أى كيان قومى أو عسكري. فلما جاء موسى استطاع أن يوحدهم فى كيان سياسى نابض بالحياة اختارت العشائر والقبائل اليهودية المختلفة فى ظله ممثلين لهم يرأسونهم ويحكمونهم.

وكلما ثارت الخلافات بين بنى إسرائيل التمسوا النصح والمشورة لدى هؤلاء الرؤساء والحكام. وسرعان ما أنشأ بنو إسرائيل مجلس شيوخ مكون من سبعين عضواً لمساعدة موسى فى تحمل أعباء الحكم والإدارة. وكلما واجه بنو إسرائيل أمراً جللاً أو مناسبة لها أهميتها بادر مجلس الشيوخ باستدعاء جميع أعضائه. أضف إلى ذلك أن شعب إسرائيل شارك فى اختيار ممثليه الأمر الذى يدل على تأصل الروح الديمقراطية فيهم كما يدل على أن اليهود القدامى أقاموا نظامًا جمهوريًا لم يسبق إليهم فيه أحد. وكان لكل قبيلة من القبائل اليهودية استقلالها الأمر الذى جعل منها نموذجًا تقفو أثره كل ولاية أمريكية. فقد كان من حق كل قبيلة أن تجتمع وتحدد ما هو الصالح لها. ثم إن اليهود القدامى- فى رأى صامويل لانجدون- أدركوا أهمية القانون والتشريع منذ البداية مما سهل عليهم الاندماج فى كيان قومى متكامل. ويذهب لانجدون إلى الاعتقاد بأن اليهود لو اتبعوا تعاليم التوراة لتجنبوا الانقسام وما حدث لهم ما حدث من بعثرة وشتات ولما تعرضوا للفساد والانحلال الخلقى الذى جلب عليهم الكوارث. «دعا لانجدون فى ختام موعظته للأمريكيين كى يوافقوا على الدستور الذى كانت قد وافقت عليه ثمان ولايات من الثلاث عشر ولاية التى تكون منها الاتحاد الأمريكى آنذاك. وحتى يتم اعتماد الدستور كان لابد أن توافق عليه ولاية تاسعة، وهو ما حدث بعد أن قامت ولاية نيوهامشير بالموافقة عليه. وبالفعل أعلنت هذه الولاية موافقتها على الدستور.

وفى يوم ٢١ يونية ١٧٨٨ اعتمد الاتحاد الأمريكى الدستور. وقام روجر وليامز حاكم مقاطعة رود آيلاند بإعلان فصل الدين عن الدولة مما ساعد على ترسيخ النظام الديقراطى وتمتع اليهود منذ البداية بكافة حقوقهم المدنية على عكس ما جرى لليهود فى أوروبا. وفى حين اشتغل اليهود فى أوروبا بالربا وبيع الملابس القديمة والرهونات اشتغل يهود أمريكا بالأعمال التجارية الكبيرة والصغيرة على حد سواء. ولم ينصرف يهود أمريكا إبان ثورتهم على الاستعمار البريطانى إلى الأعمال الذهنية والفكرية والأدبية. وظلت صفحات الأدب الأمريكى تخلو من الإشارة إلى اليهود المعاصرين حتى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عندما كتب موردخاى م. نوح أول مسرحية له عام ١٨٠٨ بعنوان «قلعة سورونتو» وفى عام ١٨٥٨ ظهر اليهودى الوطنى هايم سالومون فى الرواية التى ألفها ريتشارجونز بعنوان «جندى من طائفة الكويكرز» أو «البريطانى فى فيلادلفيا» وتصور الرواية هذا اليهود المشتغل بالرهونات على نحو محبب للنفس وليس على النحو النمطى الكريه الذى امتلأت به صفحات الأدب الأوروبى فى أوروبا. والأهم من هذا أن هذا اليهودى المشتغل بالرهونات لعب دوراً وطنيًا بارزاً فى التستر على الثوار الأمريكيين المتآمرين ضد الاستعمار البريطانى كما أنه ساعد المتمردين الأمريكيين على تخليص بطلة الرواية من براثن مختطفيها من المستعمرين البريطانيين.

لقد سبق أن أوضحنا فى هذه المقدمة أن أكبر نزوح لليهود إلى أمريكا كان من أوروبا الشرقية فى الفترة من ١٨٨٠ حتى ١٩٢٠ على وجه التحديد. ولكن تغلغل اليهود فى الأدب الأمريكى أخذ يظهر فى العقد الثالث من القرن العشرين ليصل إلى ذروته فى العقد الخامس من هذا القرن (راجع كتابى «اليهود والأدب الأمريكى المعاصر») ولكن يجدر بنا أن نبدأ قبل ذلك حتى يمكننا التعرف على البذور اليهودية التى أينعت فى تربة الأدب الأمريكى حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم من تغلغل وحتى ندرك ضخامة حجم هجرة اليهود من شرق أوروبا وروسيا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يكفى أن نتذكر أنه فى عام ١٨٨١ بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من روسيا إلى أمريكا نحو ثلاثة ملايين يهودى كما أن الفترة من ١٨٨١ حتى ١٩١٤ شاهدت نزوح قرابة مليونى يهودى إلى

الأراضى الأمريكية. ويعبر الأديب اليهودى المعروف أرفنج هاو عن الأهمية التى تنطوى عليها هجرة اليهود من روسيا إلى أمريكا فيقول: «يعتبر عام ١٨٨١ نقطة تحول خطيرة فى تاريخ اليهود لا تقل فى خطورتها عن عام ٧٠ ميلاديًا عندما قام جنود الحاكم الرومانى تيتوس بحرق المعبد اليهودى فى أورشليم أو ١٤٩٢ عندما أصدر ملك أسبانيا وزوجته مرسومًا بطردهم من البلاد.»

وكما سبق أن أشرنا تعرض اليهود الروس للخسف والاضطهاد عقب اغتيال القيصر الكسندر الثانى باعتبار أنهم ضالعون فى اغتياله. وعندما تولى الكسندر الثالث العرش من بعده عامل اليهود بقسوة بالغة فحرمهم من حيازة الأرض ومن تولى الوظائف والمناصب. وفى عام ١٨٩١ قام الروس بطردهم من المدن الكبيرة. وفى عام ١٩٠٣ وقعت مذبحة كيشينين التى أودت بحياة ٤٩ يهوديًا وإلى جرح وتشويه أكثر من خمسمائة آخرين. وفى عام ١٩٠٤ ألقت الحكومة الروسية القبض على خمسة آلاف عامل يهودى ونفتهم إلى سيبيريا. وهكذا وجد الكثير من اليهود الروس أنه لا مفر من الهجرة إلى أمريكا. وبطبيعة الحال أقدم على الهجرة القادرون من الشباب وممن هم فى منتصف العمر. فضلاً عن أن معظم المهاجرين من اليهود كانوا من العمال المهرة فقد تخصص نحو ٦٠٪ فى صناعة الملابس. وتضافر يهود أمريكا لإقامة مؤسسات خيرية تقدم العون إلى بنى جلدتهم من المهاجرين الجدد الذين ليس لهم أقارب. ولأن اليهود المهاجرين إلى أمريكا كانوا أشد ما يكونون حرصًا على كسب رزقهم اليومى بأية طريقة فقد أقدم المئات على العمل كباعة جوالة على عربات اليد. ولابد أن تكون قسوة الحياة عليهم قد تركت فى نفوسهم ندوبًا وجراحًا غائرة. وهو ما ينعكس على أدب الرعيل الأول من اليهود الأمريكيين وكالعادة وجد المهاجرون اليهود من أمهاتهم معارضة ضد الهجرة فى حين شجعهم آباؤهم عليها وهم يتوقعون من أبنائهم الحفاظ على دينهم الحنيف والاستمساك به فى بلاد الغربة أى باختصار توقعوا منهم الحفاظ على هويتهم اليهودية وهو أمر مستحيل فقد كان لا محيص بمرور الزمن من انصهار معظم اليهود فى بوتقة الثقافة الأمريكية على نحو ما فصلنا فى كتاب «اليهود والأدب الأمريكى المعاصر».

وعلى أية حال لم تكن هجرة اليهود إلى أمريكا بالأمر المستغرب إذ يقال إن خمسة بحارة يهود رافقوا عام ١٤٩٢ كولومبوس فى رحلته لاكتشاف العالم الجديد. فضلاً عن أن نفراً من اليهود الألمان نزحوا إلى أمريكا قبل هجرتهم الكبرى إلى شرق أوروبا مثل رومانيا والمجر. وانقسم اليهود المهاجرون إلى أمريكا إلى فريقين احتدم بينهما الخلاف فمنهم من رأى ضرورة التمسك الحرفى بتقاليد الآباء الراسخة وتراث الأجداد العتيد. ومنهم من طالب بإدخال الإصلاحات والتعديلات على التراث الدينى الجامد مسايرة للحداثة. ويمكن القول إن بعض المستعمرات اليهودية فى أمريكا سادتها الأفكار التقليدية المحافظة. فقد استمسك اليهود الآتون من شرق أوروبا بلغة البيديش وهى اللغة التى كانوا هم وأسلافهم يستخدمونها قبل هجرتهم إلى العالم الجديد، وهى لغة تختلف فى مفرادتها وقواعدها عن اللغة العبرية. وهى اللغة التى كتب بها يهود شرق أوروبا أدبهم الشعبي. ويعبر استمساكهم بلغتهم الأصلية وهى اليديش عن رغبتهم فى الحفاظ على الهوية اليهودية والخوف على هذه الهوية من الاندثار. أما اليهود الذين جاءوا من ألمانيا فقد كانوا أكثر انفتاحًا على الأفكار والممارسات الجديدة والمستحدثة. وحتى نفهم طبيعة الحياة المزدوجة التى عاشها يهود أمريكا فى بادئ الأمر نضرب المثل بتركيا التى ترح إليها اليهود بعد طردهم من أسبانيا فى القرن الخامس عشر فقد كان هؤلاء اليهود أتراكًا بالمعنيين المدنى والاجتماعى ولكنهم ظلوا يهوداً بالمعنى الدينى.

لقد حرص العمال اليهود المهاجرون إلى أمريكا من شرق أوروبا على الحفاظ على تقاليد الأدب المكتوب بلغة اليديش فى حين كان لليهود السائرين على درب الرأسمالية والبورجوازية الأمريكية ذوق أدبى مغاير. وشاعت بين أنصار أدب اليديش كتابات كل من شولوم ألتيشم ومنديل سفوريم والأعمال التسجيلية التى ألفها إبراهام كاهان. وظهر عدد من كتاب اليديش الجدد فى طليعتهم موريس وينشفسكى (١٨٥٦ - ١٩٣٢) وجوزيف بوشوفر (١٨٧٣ - ١٩١٥) ودافيد أديلستاد (١٨٦٦ - ١٨٩٢) وموريس روزنفلد (١٨٦٢ - ١٩٢٣) وغيرهم كثيرون من أصحاب المواهب الأدنى ممن سطروا أدبًا خاصًا بأبناء الطبقة العاملة اليهودية يفيض بالسخط والأسى لأنهم أصبحوا عبيداً للآلة. ويزخر أدب اليديش

بالحكم والأمثال والقصص المستقاة من التلمود ومن التقاليد المتوارثة المرتبطة بالكتاب المقدس. ومن ثم فإن قدرة هذا الأدب العمالى على البقاء والاستمرار كانت محدودة بالمقارنة بذلك الأدب العلمانى الذى أنتجه اليهود الرافضون لأدب اليديش والساعون إلى الانصهار والتأقلم فى بوتقة الحياة الثقافية الأمريكية. وقد ألف هتشنر هابجود كتابًا عن اليهود المهاجرين من شرق أوروبا بعنوان «روح حارة لليهود» المنشور عام ١٩٠٢ ويتضمن هذا الكتاب فصلاً بعنوان «أربعة شعراء» يمدنا بالمعلومات المهمة عن الأدب البروليتارى اليهودى المكتوب بلغة اليديش الذى استلهمه اليهوديان يزير سكا وكاهان. وهؤلاء الشعراء الأربعة هم إلياكيم زونسر ومينا هيم دوليتسكى وموريس روزنفلد وإبراهام والد . ويتسم شعر هؤلاء الأربعة بالمحافظة وتدفق العاطفة وبساطة التعبير عن عواطف محددة مرتبطة بثقافة مستقلة عن ثقافة المجتمع الأمريكى وفى طور إعادة التشكيل والصياغة. وبين هؤلاء الشعراء الأربعة كان والد الشاعر الوحيد المعبر عن حيرة الكاتب عندما يصطدم بالحداثة والأفكار الجديدة.

وشاهدت الساحة الأدبية الأمريكية تطوراً جديداً فقد بدأ الأدب النسائى اليهودى يلوح فى الأفق، وهو ما سوف نعرض له بشيء من التفصيل. وكانت من أولى الكاتبات اليهوديات محررة صحيفة اسمها روز باستور كانت تكتب عموداً فى جريدة «تاجبلات» وكان هذا جديداً على المرأة اليهودية التى اقتصر تعليمها على حذق الأعمال المنزلية وإتقان شئون البيت. واتجهت روز باستور إلى قرض القصائد الخفيفة والبسيطة. ويدل شعرها على تأثرها بالشاعرة الأمريكية المعروفة إميلى ديكنسون.

وفى البداية كان تأقلم اليهود مع الحياة الأمريكية تأقلما من الظاهر فقط فقد حرصوا كل الحرص على الاحتفاظ بقيمهم وبخصائصهم اليهودية الأساسية. كما أن البعض الآخر التجأ إلى التأقلم لمسايرة الحياة الجديدة والقدرة على البقاء. ولا شك أن اليهودى كانت تراوده أحلام إنشاء وطن قومى حتى تتأكد هويتهم. واعتبر كثير من اليهود أن أمريكا هى ملاذهم ووطنهم القومى لأنه المكان الذى لم يتعرضوا فيه للاضطهاد الذى ألحقته أوروبا بهم.

وعلى أية حال عندما انتشر التنوير فى ربوع أوروبا فى القرن الثانى عشر انتقلت أفكاره ومبادئه من أوروبا إلى أمريكا الأمر الذى شد من أزر اليهود وساعدهم على الوقوف على قدم المساواة مع الأمريكيين.

ورغم ابتعاد بعض اليهود عن الدين فى شبابهم واتباعهم المبادئ الشيوعية وثورتهم على التقاليد فإنهم ما لبثوا أن عادوا إلى الدين فى كهولتهم. وقد عالجت الكاتبة سيشيا أوزيك فى محاورة أجريت معها عام ١٩٩٣ الشرخ الذى أصاب التقاليد اليهودية ومنعها من الاستمرار. غير أن بعض النقاد ينكر وجود مثل هذا الشرخ.

وفى الفترة بين اضطهاد الروس لليهود وطردهم عام ١٨٨١ حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ حقق اليهود قدراً عظيمًا من التماسك والتضامن الجماعى والهوية الجماعية بفضل برامج الييديش التعليمية والعمل التعليمى الخيرى الذى اضطلعت به جوليا ريتشمان والمنجزات التى حققتها ليليان والد فى مجال الطب العام والصحة العامة. كل هذه الإنجازات ساعدت الموهوبين اليهود على الظهور وأخذ فرصتهم فى الحياة. باختصار أصبحت أمريكا فى نظر الشعب اليهودى المهاجر رمزاً للفردية والهروب من الاضطهاد والأمل فى البعث أو الولادة الجديدة. ويمجيء الكاتبين اليهوديين كاهان ويزير سكا بدأ بزوغ أدب أمريكى يهودى فى أمريكا ليحل محل أدب الييديش الذى سوف نلقى الضوء عليه ونشرح ماهيته فى فصل مستقل.

وفى فترة الاستعمار البريطانى لأمريكا كانت هناك على أقل تقدير خمس مستعمرات .آهلة باليهود فى أمريكا الشمالية هى نيوبورت وأمستردام الجديدة (التى سميت نيويورك فيما بعد) وسافاناه وتشارلستون وفيلادلفيا. وانحدر معظم سكان هذه المستعمرات الخمس من السفارديم. وكانوا يتحدثون اللغتين الأسبانية والبرتغالية فى بيوتهم واللغة الإنجليزية فى أعمالهم وتجارتهم. وبالإضافة إلى يهود أسبانيا والبرتغال جاء إلى أمريكا الشمالية بعض اليهود المتحدثين باللغة الألمانية. فضلاً عن عدد قليل من اليهود المهاجرين من بولندا وشرق أوروبا. وبوجه عام لم يجد

اليهود المهاجرون إلى أمريكا إضطهاداً من المسيحيين الذين سبقوهم فى الهجرة على عكس ما قاسى منه اليهود فى أوروبا منذ العصور الوسطى حتى القرن الثامن عشر. ويمكن الاستدلال على حسن معاملة المسيحيين لهم بما سطره عالم الأحياء السويدى بيتر كالم (١٧١٦ - ١٧٧٩) الذى أوفدته الأكاديمية السويدية للعلوم إلى أمريكا عام ١٧٤٨ حيث أمضى ثلاثة أعوام ليشهد بأن يهود أمريكا يتمتعون بكافة الامتيازات التى يتمتع بها سائر الأمريكيين وأضاف هذا العالم السويدى أنه حضر الصلاة فى معبد اليهود بمدينة نيويورك ولاحظ أنهم يعيشون فى بيوت بديعة الصنع ويقومون بمشروعات تجارية على جانب عظيم من الأهمية.

ورغم وجود اليهود المتزايد فى المستعمرات الأمريكية وما أصابوه فيما بعد من ثراء ونجاح اقتصادى فإنهم لم يتركوا أى أثر يذكر على الأمة الأمريكية فى فترة خضوعها للاستعمار البريطانى ولكن ضعف أثر اليهود المحدثين لا ينبغى أن ينسينا ضخامة الأثر الذى تركته التوراة واليهود القدامى فيها. ولا غرو فقد كان الأمريكيون الأوائل يحتفلون بالكتاب المقدس احتفالاً عظيمًا. واعتبر الرعيل الأول من المهاجرين المسيحيين إلى أمريكا بنى إسرائيل الوارد ذكرهم فى التوراة نموذجًا يحتذى به المسيحيون فى كل مكان.

وعندما استفحل استغلال بريطانيا لمستعمراتها الأمريكية فى عهد الملك جورج الثالث نادى المبشرون المسيحيون الأمريكيون بضرورة استنهاض الهم لمقاومة الاستعمار البريطانى وقالوا إن الشعب الأمريكى مناضل وفريد من نوعه وإنه لا يقل شأنًا عن بنى إسرائيل شعب الله المختار الذى سجل الكتاب المقدس عظمته وأمجاده. وعندما نهض الأمريكيون لمقاومة الاستعمار البريطانى اتخذوا من التوراة والقانون الموسوى نبراسًا لهم يشذحون به همتهم.

وفى يوم ٤ يولية ١٧٧٦ أعلن الأمريكيون استقلالهم عن بريطانيا وانعقد فى ذلك الوقت مجلس لمؤازرة إعلان الاستقلال. ووافق هذا المجلس على تشكيل لجنة من دعاة الاستقلال مكونة من بنيامين فرانكلين وجون آدمز وتوماس جيفرسون لإعداد شعار أو خاتم الدولة الوليدة التى تسمت باسم الولايات المتحدة الأمريكية

واقترح فرانكلين أن يتكون الشعار من صورة موسى وهو يرفع عصاه السحرية ليشق بها مياه البحر الأحمر فيغرق فرعون الذى أذل شعب إسرائيل فى لججه. وأيضا ذهب جيفرسون إلى رأى مماثل فاقترح رسم صورة بنى إسرائيل وهم يسلكون فى شعاب البرية. وبعد المداولة تقرير رسم صورة يهوا رب اليهود تحيط به سحابة من المجد كرمز لوجود الرب الحامى للبشر فى كل مكان.

الفصل الثانى

أدب اليديش Yiddish

الفصل الثانى

أدب اليديش Yiddish

اليديش لغة اليهود فى روسيا وبولندا وشرق أوروبا بوجه عام. وقد نشأت هذه اللغة فى أواخر العصور الوسطى. واليديش مزيج من اللغة العبرية ولغات الرومانس واللغتين السلافية والألمانية. ازدهرت هذه اللغة حتى أصبحت فى القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر وسيلة الأدباء اليهود فى التعبير عن ملامحهم الشعرية وقصصهم النثري. ولكن هذه اللغة المختلفة ما لبثت أن أصيبت بانتكاسة فى منتصف القرن السابع عشر عندما لحق الدمار بالمجتمعات اليهودية التى تتحدث بها. وتعرضت هذه اللغة لمزيد من الدمار فى عصور التنوير فى القرن الثامن عشر. وذلك بسبب نشأة حركة إصلاحية عقلانية فى صفوف اليهود استطاعت أن تقتلع لغة اليديش من وسط أوروبا وأن تستبدلها باللغة الألمانية. ورغم أن إنتاج أدب اليديش فى شرق أوروبا توقف فى منتصف القرن السابع عشر فقد أنتشر أدب اليديش الشعبى بين جماهير اليهود وعامتهم كما حرصت النساء اليهوديات على الصلاة بتراتيل اليديش وترانيمها الدينية. وأيضًا ما انفكت الحركة التصوفية المعروفة بالهاسيدية تروى حكاياتها عن القديسين من أحبار اليهود بلغة اليديش وفى عام ١٨٦٢ أصدر ألكسندر زيدربوم أول مجلة دورية بلغة اليديش فى روسيا القيصرية. ونجح هذا الداعية البارز للغة اليديش فى إقناع السلطات الروسية بالسماح لليهود باستخدام هذه اللغة متعللا بأن ذلك سوف يسهل على حكومة القيصر فرض الطابع الروسى على اليهود الروس. ومن سخرية الأقدار أن أدب اليديش بدأ أول ما بدأ على صفحات هذه الدورية على يد مؤسس ورائد أدب اليديش منديل موخر ستوريم.

ولم يمض عقد واحد حتى شرع الأدباء اليهود فى استخدام لغة اليديش لإنتاج المسرحيات ذات المستوى الرفيع. وبعد ستوريم استمر فى استخدام لغة اليديش أديبان كبيران هما سولوم إلينجيم و ي. ل. بيرتز.

وتمثل الفترة من ١٨٨٩ إلى ١٩١٤ العصر الكلاسيكى لأدب اليديش. وانتشر هذا الأدب الذى ولد فى روسيا وبولندا فى شتى الاتجاهات نتيجة التشتت الذى تعرض له اليهود فى روسيا وبولندا. وبسبب هجرة اليهود إلى الولايات المتحدة بأعداد كبيرة أصبحت نيويورك أهم مركز لطبع وإصدار كتب اليديش.

وفى عام ١٩٠٨ عقد كتاب اليديش مؤتمر سزنوفتس الخاص بهذه اللغة. وفيه أعلن هؤلاء الكتاب أن لغة اليديش لغة يهودية قومية لا تقل فى أهميتها عن اللغة العبرية المقدسة. وبلغت اليديش من القوة والانتشار مبلغًا دفع بكاتب اليديش يهوش إلى ترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلى اليديش حتى ينتفع به اليهود الذين يجهلون أو لا يتقنون لغتهم العبرية. وهى ترجمة تصل فى إتقانها الترجمة الإنجليزية المعتمدة للكتاب المقدس المعروفة بترجمة الملك جيمس. وأسهم يهوش مع كاتبين آخرين لليديش هما رولنيك وهـ. روزنبلات فى استنبات حركة الأدب اليديشى الغنائى فى تربة الأرض الأمريكية. وتمخضت هذه الحركة عن ظهور الأديب هـ. ليفيك قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى. ويعتبر ليفيك أبدع شاعر ومسرحى أفرزه أدب اليديش.

والجدير بالذكر أن كتاب اليديش لعبوا دوراً بارزاً فى إزكاء شعور اليهود بضرورة الحصول على حقوقهم كاملة فى دول الشتات وعلى رأسها الولايات المتحدة. ورغم ما لقيه اليهود من خيبة أمل فى الثورة البلشفية وما لقيته الحركة الصهيونية من إحباط على صعيد السياسة الدولية قبل اعلان وعد بالفور عام ١٩١٧ فقد سعى شعراء اليديش ما وسعهم السعى إلى إزكاء روح اليهود القومية والتغنى بأمجادهم وبعظمتهم التليدة الأمر الذى عضددهم وشد من أزرهم فى أيام اليأس والقنوط. وأصبحت أمريكا أكثر من أى بلد آخر مركز نشاط أدباء اليديش بعد أن هجروا مراكز نشاطهم فى روسيا وبولندا. وحلت نيويورك ومونتريال وبونيس أيريس محل

وارسو وكييف كمراكز نشاط أدباء اليديش وبطبيعة الحال استطاع أدباء اليديش إحياء آمال اليهود فى العودة إلى أرض الأجداد وإقامة دولة إسرائيل.

ومما يذكر أن أدب اليديش تزامن فى ظهوره مع هجرة اليهود الكبرى من شرق أوروبا وروسيا إلى أمريكا فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر. ولكن إنتاج الرعيل الأول من هؤلاء المهاجرين يركز على رفع الروح المعنوية لدى اليهود المطحونين. وأقام هؤلاء الأدباء مدينة فاضلة أو يوتوبيا تشيع فيها الأفكار الاشتراكية والفوضوية. ولكن معظم شعراء الرعيل الأول من أدباء اليديش أمثال دافيد إبدلستات (١٨٦٦ - ١٨٩٢) وجوزيف بوشوفر (١٨٧٣ - ١٩١٥) وموريس روزنفيلد (١٨٦٢ - ١٩٢٣) وموريس فينشنسكى (١٨٥٦ - ١٩٣٣) طواهم النسيان.

وعندما فشلت الثورة الروسية التى أندلعت عام ١٩٠٥ هرب عدد من المثقفين والمفكرين اليهود من روسيا إلى أمريكا بعد أن خاب أملهم فى إيجاد أى دواء ناجع شاف لأمراض المجتمع السياسية وأوجاعه الاجتماعية وأفرزت هذه الموجة الجديدة من المهاجرين ضربًا من الأدب الروائى اصطلح الدار سون على تسميته برواية أمريكا الشابة. ولعل أهم أدباء اليديش فى تلك الفترة الكوكبة التالية من الشعراء: موشى ليب هاليرن (١٨٨٦ - ١٩٣٢) ومانى ليب (١٨٨٤ - ١٩٥٥) وزيشا لندان (١٨٨٩ - ١٩٣٧) وروبين أيسلاند (١٨٨٤ - ١٩٥٥) وموشى نادير (١٨٨٥ - ١٩٤٣) وبيرى لابين (١٨٨٩ - ١٩٥٢) وآى آى شوارتز المولود عام ١٨٨٥ .

ومعظم إنتاج هؤلاء الأدباء غير معروف فى البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية ناهيك عن البلاد الناطقة بلغات أخرى. وفيما يلى نبذة عن أبرز أدباء مجموعة أمريكا الشابة :

دافيد إجناتوف (١٨٨٥ - ١٩٥٤)

كان إيجناتوف فى العشرين من عمره عندما هاجر إلى أمريكا وفى الثانية والعشرين من عمره تزعم حركة «أمريكا الشابة» الأدبية. ولكن الهجرة لم تستطع أن

تستأصل جذوره الضاربة فى تربة إلى الجو العائلى والمناخ الثورى الذى تغذى عليه فى مدينة كييف بروسيا. وبسبب اشتراكه فى النشاط الثورى الاشتراكى تعرض للسجن والإملاق . فلا غرو إذا رأينا نشاطه الأدبى يتأرجح بين هالة الرومانسية التى أضفاها على التقاليد اليهودية وبين الواقعية الثورية التى ارتبطت بالأدب البروليتارى أو أدب الطبقة العاملة. وتتجلى رومانسيته فى عملين أحدهما بعنوان «قصص العجب المدهشة فى براغ القديمة» (١٩١٦ - ١٩٢٠) والآخر بعنوان «النور الخبيء» (١٩١٨). وتدور المجموعة القصصية الأولى حول يهودى يؤمن إيمانًا لا يتزعزع بالله الأمر الذى يجعله ينتصر على محن الحياة. وتدور أحداث هذه الحكايات فى جو أسطورى يصور وحشا ينهش لحم أحد الأتراك السمان بدلاً من لحم أحد اليهود العجاف. وقد تأثر هذا الجو الأسطورى بملحمة الأوديسا اليونانية. ويشيع فى جو هذه الحكايات روح التقوى والورع والطهارة من الشر. ويجوب اليهودى البلاد ولكنه لا يتوق إلى شيء قدر اشتياقه إلى عودته لأسرته التى تنتظره فى براغ وللأحبار الذين خالطهم هناك. ويتضح من روايته الثانية «النور الخبيء» مدى انشغال إيجاتوف فى أدبه بالطهارة والنور على نحو صوفي. وأيضًا كتب إيجناتوف أعمالاً روائية مهمة عن مدينة نيويورك التى عرفها عن كثب بوصفه بائعًا فى محل أحد زعماء العمل النقابي. ورغم أنه استغرق فى وصف العشش وبيوت الفقراء فإنه تجاوزها إلى عالم رفيع من السموق والشفافية الصوفية. حتى الأزقة والشوارع القذرة تهب عليها نفحة من الطهارة والقداسة كما أن الفناء والموت يفقدان سطوتهما أمام عوامل البعث والتجدد على المستويين الشخصى والقومي.

وفى «إناء الغلي» (١٩١٨) يصور المؤلف إجناتوف الصراع الذى يدور رحاه فى صدور المهاجرين اليهود الشبان بين الانحلال والنهضة أو البعث الروحي. وفى هذه الرواية نشاهد أن مؤلفها يدعو المهاجرين اليهود إلى نبذ العمل فى حوانيت نيويورك من أجل الهجرة إلى المزارع الشاسعة فى الغرب الأمريكي.

ولإجناتوف ثلاثية روائية بعنوان «آفاق» (١٨٣٢) تصف نشأة الحركة العمالية اليهودية فى أمريكا. فالثوار المثاليون اليهود الذين فشلوا فى تغيير النظام القيصرى فى روسيا اضطروا إلى النزوح إلى أمريكا حيث سعوا إلى إقامة نظام

اجتماعى أفضل من النظام القيصرى يشيع فيه العدل ويختفى منه استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. وتدور أحداث هذه الثلاثية حول بطلها برمان الذى يمثل المؤلف والذى تجتذبه الحركة الاشتراكية الراديكالية. ومع ذلك فهو شديد النفور من إلحادها. فهو يرى أن الذين لا يؤمنون بالله فى قلوبهم يشبهون المرايا التى لا تعكس شيئًا. ورغم إيمان بطل الثلاثية بالله فإن بنى جلدته من اليهود المتدينين ينبذونه ويستبعدونه ويرجمونه بسبب اعتناقه الأفكار الاجتماعية الثورية. غير أن هذا لا يفت فى عضده فيستمر فى الدعوة إلى الجمع بين الدين والاشتراكية وبين الورع التقليدى وبين المثالية الاشتراكية.

إن إجناتوف يتمتع بموهبة تصوير ما هو خيالى على نحو حقيقى وواقعى وتصوير ما هو حقيقى وواقعى على نحو خيالي. وفى أيامه اللاحقة ألف إجناتوف مأساة مستمدة من الكتاب المقدس بعنوان «جفتا» (١٩٣٩) وأيضًا مأساة «جدعون» الصادرة عام ١٩٥٣ ولكن القراء عادة يتجاهلون هاتين الفاجعتين.

إسحق رابوي

مارس إسحق رابوى ـ وهو من أخلص تلاميذ إيجناتوف ـ التأليف الروائي. وقد أطلق الأستاذ على تلميذه المخلص اسم عماد حركة أمريكا الشابة. كان رابوى أول من تناول فى أدبه شخصية اليهودى كمزارع فى مزارع أمريكا الشاسعة، رغم أنه أمضى معظم حياته فى عشش نيويورك وبين أبناء الطبقة العاملة فيها. ورابوى من مواليد أوكرانيا فى روسيا وكان حلم حياته أن يقترب من الطبيعة والزرع. ساء رابوى أن يرى بنى جلدته اليهود محرومين من حيازة الأرض الزراعية وممارسة الفلاحة التى تعود على القائم بها بموفور الصحة والعافية. بدأ مؤلفنا الكتابة فى السابعة عشرة من عمره وسط استهانة الجميع بموهبته الأدبية وعندما اندلعت أعمال الشعب فى كيشينيف ضد اليهود عام ١٩٣٠ اقتنعت أسرته بأن روسيا المعادية لا يمكن أن تكون موطنًا لها. فلا غرو إذا رأينا رابوى الشاب لا ينخرط فى الجيش القيصرى ليدافع عن روسيا فى حربها التى اندلعت ضد اليابان عام ١٩٠٤ بل آثر الهرب إلى منطقة الحدود تأهبًا للهجرة إلى أمريكا. وهو يروى - فى سيرته الذاتية التى تقع

فى مجلدين والمنشورة عام ١٩٤٧ بالتفصيل الدقيق وعلى نحو ساحر جذاب - قصة هربه من موطنه الأصلى فى روسيا إلى النمسا وإيطاليا حتى استقر به المقام فى نيويورك. والجدير بالذكر أن أبويه وسائر عائلته هاجرت من قبله ومن بعده إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولكن الحظ العاثر صادفه منذ مطلع حياته فلم تعترف بموهبته أية صحيفة أو مجلة صادرة فى أمريكا بلغة اليديش الأمر الذى اضطره إلى أن يحيا حياة شاقة يعمل من الفجر إلى الغروب فى مصنع لإنتاج القبعات. وحتى بعد أن أخذ اسمه يذيع وينتشر كتب عليه النصب والعمل المجهد الأمر الذى تسبب فى تدهور صحته واستنفاد قواه البدنية وضعف بصره. ورغم الإنكار العام لموهبته الأدبية فقد كان المحرر دافيد بنسكى وإجناتوف أول من اكتشفا هذه الموهبة وتوصية أدباء «أمريكا الشابة» بصاحبها خيراً.

وفى عام ١٩٠٨ نصحه بعض المعارف بأن يهجر عمله بمصنع القبعات ويكرس وقته لدراسة الزراعة فى المدرسة اليهودية الزراعية فى ولاية نيوجرسى على نفقة أحد أثرياء اليهود. وأمضى رابوى عامين فى دراسة مختلف فروع الزراعة. وفى عام ١٩١٠ توجه للعمل بمزرعة كبيرة فى داكوتا حيث تخصص فى تربية الخيول. واستفاد رابوى من تجارته كعامل زراعى فى تأليف عدد من قصصه القصيرة وروايتيه الطويلتين «مستر جولند بارج» (١٩١٣) و«الكاوبوى اليهودي» (١٩٤٢) ويبدو أن جيرانه فى المزارع الأمريكية أظهروا نحوه شيئا من الجفاء الأمر الذى جعله ينبذ فكرة العيش معهم كما أن حنينه إلى أهله وعشيرته جعله يتخذ قراراً بالعودة إليهم واستئناف حياته كعامل فى مصانع نيويورك.

ورغم ابتعاده عن منطقة الزراعات فقد عاش فيها بخياله ولم ينس مطلقًا تجواله بين الحقول الشاسعة ممتطيًا صهوة جواده. وما برح يذكر بكل حنين واشتياق العامين اللذين أمضاهما فى حرية وانطلاق فى منطقة المزارع ويقارنهما بالحياة الخانقة فى نيويورك. وتعبر رواية «مستر جولند بارج» عن تمجيده لحياة المزارع الكبيرة الواسعة. فضلاً عن أن هذه الرواية ورواية «الكاوبوى اليهودي» تعكسان ما يدور بخلد المؤلف نفسه. ونحن نرى فى رواية «الكاوبوى اليهودي» اشتياق بطلها العظيم وحلمه الرائع بالعودة إلى فلسطين وإقامة وطن قومى هناك.

وفى عام ١٩٢٦ تحولت باكورة انتاجه الروائى إلى عمل مسرحى ناجح ورائد. ويعتبر إنتاج رابوى الأدبى إضافة حقيقية إلى أدب اليديش الأمريكى حيث نجده يرسم صورة لنموذج عامل زراعى يهودى يعشق الطبيعة والغابات والمزارع والأبقار وركوب الخيل. وفى عام ١٩١٨ نشر رابوى رواية «الساحل» التى تدور أحداثها حول مغامرات عائلته الفاشلة فى الاشتغال بالزراعة فى مزارع كونكيتيكوت. وهى تدور حول شخصيات يهودية فقط، هذه الشخصات اليهودية تترك المدينة لتجرب حياة الريف الخشنة دون أن تكون مؤهلة لتحمل هذه الخشونة.

وتحدثنا رواية «الكاوبوى اليهودي» عن قسوة وجشع صاحب مزرعة فى داكوتا. وعندما يقابل بطل هذه الرواية واسمه إسحق أول هندى أحمر يشعر بفداحة الظلم الذى ألحقه به الرجل الأبيض الذى جرد السكان الأصليين من مزارعهم ومراعيهم.

واضطرت عائلة هذا الهندى الأحمر تحت ضغط الفاقة إلى بيع ابنتهم فى سوق النخاسة حتى يتمكنوا من شراء حصانين يستخدمونهما فى فلاحة أرضهم. ويعمل اليهودى فى مزرعة رجل أمريكى ويبذل قصارى جهده كى يثبت للرجل الأبيض أنه لا يقل عنه كفاءة فى حرث الأرض وفلاحتها. ورغم إخلاص إسحق اليهودى لهذا الرجل الأبيض وتفانيه فى خدمته فإن الرجل الأبيض يغضب منه فجأة وبدون مقدمات. ويعاير صاحب العمل مخدومه بأنه يهودى قذر الأمر الذى حول اليهودى المسالم إلى إنسان عدوانى وعنيف فكاد أن يفتك به. وينتهى الأمر بأن يذهب إسحق للعمل فى مزرعة تقع فى منطقة يقطنها أمثاله من اليهود فى منطقة تخلو من الظلم والاستغلال.

والقارئ لروايات رابوى يلاحظ اتسامها بالغنائية ويشعر بعبق الزرع وعطره المنعش يتخللها.

م.ج. هايمويتز M. J. Haimowitz

يفوق هاميوتيز كلاً من إيجناتوف ورابوى فى غزارة إنتاجه الأدبي. ورغم ذلك فإن قليلاً من كتبه رأى طريقه إلى النشر كما أن معظم إنتاجه المنشور متناثر

على صفحات مجلات ودوريات اليديش. وعلى الرغم من نأيه عن استخدام المذهب الطبيعى فى أدبه فقد ابتعد عن إنتاج الأدب الخيالى الذى يحلق بالقارئ بعيداً عن أرض الواقع الذى اعتبره شرطًا أساسيًا من شروط الإبداع الأدبي. ولكن حرصه على الواقعية - وإن كان قد أبعده عن الرومانسية - فإنه لم يمنعه من إضفاء مسحة غنائية على الواقع وحقائق الحياة ومن تأكيد الدوافع العاطفية التى تقبع وراء أحداثه الروائية.

تأثر هايمويتز بالأديب النفسى النمساوى سكنيتزر ويظهر هذا التأثر جليًا فى حرصه على الغور فى نفسية المرأة الحديثة وكشف طبقات اللاوعى فى أعماق روحها. وتعكس شخصية ليفين فى رواية «فى الطريق» (١٩١٤) شخصية المؤلف هايمويتز نفسه. وتدور أحداث هذه الرواية حول إنسان ضعيف الإرادة يدعى ليفين يستسلم لإغراء فريدا زوجة صديقه. وعندما تقترب الزوجة ليفين من الصلح مع زوجها وبدء صفحة جديدة فى حياتها الزوجية يتدخل عشيقها ليفين ليميط اللثام عن خيانتها الزوجية معه. وبدلاً من أن يكسب الزوج المخدوع إلى جانبه نراه يخسره ويدفع زوجته الخائنة فريدا إلى الانتحار. ويقرر ليفين العودة إلى زوجته التى كان قد انفصل عنها سبعة أعوام. ولكنه يفاجأ باعتراف زوجته بأنها لم تكن مخلصة له أثناء فترة خصامها الطويلة. فيغضب ليفين لكرامته المهدورة وشرفه الجريح ويرفض الرجوع إليها. ويبدو أن موقف المؤلف هنا يتسم بالتناقض وعدم الانسجام فهو لا يجد أدنى غضاضة فى خيانة الرجل للنساء فى حين أنه يلوم النساء الخائنات. ويبدو أيضًا أن المؤلف لم يتخذ فى هذه الرواية موقفًا أخلاقيًا من الخيانة الزوجية ويكتفى بتصوير الواقع وتسجيله. وكذلك ألف هايمويتز مجموعة قصصية بعنوان «الاتفاق المرح» (١٩٤٦) تفتقر شخصياتها إلى البريق واللمعان وتبدو وكأنها تقليد باهت لشخصية العاشق المعروف كازانوفا كما صورها آرثر سكينترلر أو لشخصية كاجليسترو التى رسمها ستيفان زيفايج.

جوزيف أوباتوشو Joseph opat âshu

يعتبر جوزيف أوباتوشو أكثر روائى اليديش موهبة فى حركة «أمريكا الشابة» واستطاع هذا الروائى بموهبته أن يحظى بشهرة عالمية بفضل ما كتبه من

قصص قصيرة وروايات تاريخية.

يقول أوباتوشو إن جذوره من ناحية الأب ترجع إلى ريب ماير تانهاوزن الذى عاش فى القرن السادس عشر وكان أحد أتباع شلومو مولكو الذى ادعى النبوة وعلم الغيب فأحرقته محاكم التفتيش عام ١٥٣٢ . والجدير بالذكر أن سلفه المشار إليه استقر فى بولندا نحو عام ١٥٥٢ وفى طفولته تشرب أوباتوشو من والدته عشق الأدب الشعبى حول الغابات والأنهار البولندية كما أنه أخذ عن والده ولعه بالحكايات الخاصة بطائفة اليهود المتصوفة المعروفة بالهاسيدية. ولم تمض على ولادة مؤلفنا سوى بضعة أعوام حتى انخرط أبوه فى حركة صهيونية (سبقت هرتزل نفسه) معروفة باسم «أحباء صهيون» فضلاً عن أن أباه ألف قصائد غنائية باللغة العبرية. ويجدر بالذكر أن الوالد أمد ابنه أوباتوشو بتعليم منزلى مكثف باللغة العبرية. وخالط الطفل أثناء نموه عدداً كبيراً من الأطفال اليهود من كافة المستويات الاجتماعية يلهو ويلعب معهم. وساعده هذا الاختلاط على الاحتفاظ بمخزون هائل من الذكريات استخدمه فى تأليف قصصه واسكتشاته فى أيامه اللاحقة ومن الشخصيات التى خالطها وتركت فى نفسه أعمق الأثر فى حياته الباكرة شخصية لص خيول كان يعيش على سرقة الخيول وتهريبها عبر الحدود من بولندا وألمانيا. وقام البولنديون بقتل هذا اللص أثناء دفاعه عن اليهود الذين تعرضوا للمضايقات والضرب والإهانات فى الأسواق العامة. وفيما بعد رسم أوباتوشو صورة له فى روايته الأولى «حكاية رومانسية حول لص خيول» (١٩١٧) تمثلت فى شخصية شبيهة بشخصية روبين هود الذى ـ على حد قوله ـ يسرق الأرستقراط والقساوسة ولا يسرق اليهود لأنهم مضطهدون. والجدير بالذكر أن هذا الحرامى يتوق إلى التوبة وإلى أن يعيش عيشة محترمة وشريفة.

وعندما بلغ أوباتوشو التاسعة عشر من عمره سافر إلى فرنسا لدراسة الهندسة فى نانسى غير أن نضوب موارده المالية اضطره إلى العودة إلى بولندا. وفى العشرين من عمره بدأ التأليف والكتابة. وبعد أن فشلت ثورة روسيا الأولى عام ١٩٠٥ ضد النظام القيصرى وعقب موجة المجازر التى تعرض لها اليهود الروس هرب أوباتوشو الشاب إلى أمريكا حيث استقر عام ١٩٠٧ فى مدينة نيويورك. وبعد

الاشتغال لفترة قصيرة فى مصنع أحذية وكبائع صحف استطاع أن يستأنف دراسة الهندسة التى كان قد اضطر إلى هجراتها. وساعده على ذلك توفر مصدر رزقه فقد بدأ يكسب قوت يومه عن طريق تعليم العبرية فى المدارس أيام الآحاد فى فترات بعد الظهر. وتتضمن الرواية التى نشرها عام ١٩١٩ بعنوان «العبرية» والتى أعيد نشرها بعد مضى ثلاثة أعوام تحت عنوان «أشخاص ضائعون» وتصور هذه الرواية حالة الضياع التى تعيشها شخصياتها. وقد استمد أوباتوشو مادته الروائية من حياة زملائه والقائمين بالتدريس فى مدارس اليهود فى مدينة نيويورك. واتهم مؤلفنا هؤلاء الدراسين بتنشئة اليهود الأطفال على كراهية مدارسهم ولغتهم العبرية بدلاً من تحببهم فى اليهودية لدرجة أن التلاميذ اليهود الصغار فضلوا لعب الكرة على ما اعتبروه عبودية لتراث يهودى لم يعد مناسبًا أو صالحًا للحياة الحديثة فى مدينة نيويورك.

ومنذ عام ١٩١٠ ساهم أوباتوشو فى مطبوعات حركة «أمريكا الشابة» فقد نشر قصته عن سارق الخيول ضمن هذه المطبوعات عام ١٩١٢ والتى أثارت عند نشرها اهتمامًا بالغًا وخاصة لأنها فتحت الباب للتعبير لأول مرة عن تجربة يهودية درج مؤلفو اليديش السابقون على تجاهلها. وتتلخص هذه التجربة الجديدة فى عالم الجريمة أو العالم السفلى بمباهجه ومخاطره وحيويته الدافقة وعواطفه المتأججة وقيمه الاجتماعية غير المحترمة. ولا ينحى المؤلف باللائمة على المجرمين فى رواياته فهم أصحاب ضمير وعلى أتم استعداد للتوبة. حتى انغماس هؤلاء المجرمين فى لذاتهم الحسية إن هو إلا مرحلة فى طريق تطورهم الشخصى وصعودهم إلى حياة كاملة تجمع بين الروح والجسد.

كان أدب أوباتوشو يراعى الحقيقة ويلتزم بالواقع رافضًا الانسياق وراء الخيال. فالواقعية سمة أساسية من سماته. غير أنه استطاع رغم واقعيته أن ينتقل بقارئه إلى عالم جوانى أى داخلى مليء بالأحلام والأشواق. وتمثل روايته التى ألفها عام ١٩٢١ بعنوان «فى الغابات البولندية» منحاه الواقعي. وتقدم لنا هذه الرواية التاريخية لمحات من إيمانه الدينى المتأجج وخلاص العالم والتجليات اليهودية فضلاً عن أنها تصور شرائح إنسانية متناقضة تتراوح بين أشدها انحطاطًا وأكثرها سموًا

وقدسية. وترجمت هذه الرواية إلى اللغات الأسبانية والعبرية والروسية والبولندية والأوكرانية ولغة رومانيا الأمر الذى ساعد على ذيوع اسم مؤلفها فى كثير من أرجاء العالم. وتستمد الرواية مادتها من ذكريات المؤلف عن أحداث رواها له أجداده. وهى تصور تصويراً ثريًا العلاقات البولندية ـ اليهودية حتى اندلاع ثورة ١٨٦٣ ، وتنتهى الرواية بانضمام بطلها اليهودى واسمه موردخاى إلى الحركة الوطنية البولندية الرامية إلى تحرير بولندا من نير الحكم الروسى مما اضطره إلى الالتجاء إلى الخارج طلبًا للأمان فيه.

ويستكمل أوباتوشو قصة موردخاى اليهودى المناضل من أجل تحرير بولندا فى رواية أخرى نشرها عام ١٩٢٩ بعنوان «١٨٦٣» تحكى عن لجوئه إلى باريس برفقة عدد من المناضلين البولنديين المنفيين. وفى فرنسا يشعر موردخاى أنه لم يعد باستطاعته أن يحتفظ بالإيمان بالله الذى آمن به فى طفولته وهو يرى أن القداسة لم تعد تكمن فى الإيمان بالله بل فى السعى إلى إقرار العدالة الشاملة على الأرض. وينخرط موردخاى فى منفاه فى زمرة الثوار والراديكاليين أمثال باكونين والشعراء البولنديين الثائرين. ويقرر العودة من منفاه إلى بلده بولندا التى تخمرت فيها مبادئ الثورة وتمخضت بالفعل عن ثورة ١٨٦٣ التى انتهت بالفشل وشنق والد موردخاى لاشتراكه فيها. وعندما يقترب منه حبل المشنقة يبدأ الشك فى التسرب إلى قلبه فيدرك أنه يناضل من أجل قضية ليست قضيته ويستشهد من أجل وطن ليس وطنه. ويمتد به الشك فيتسرب إلى فكرته عن الله فيسأل نفسه إذا كان يقاتل من أجل إله البولنديين أم من أجل إله اليهود ويصاب ابنه موردخاى بجرح أثناء اشتراكه فى أحداث الثورة ولكنه يبرأ منه ويبقى على قيد الحياة ليظهر فى الجزء الأخير من الثلاثية الروائية.

اهتم أوباتشو فى أدبه بتاريخ اليهود وبلاد المهجر الأمريكى ورأى أن اليهود يمثلون كل الدنيا فهم يقطنون كافة أرجاء العالم وأنهم يتوجهون ببصرهم أينما كانوا شطر عاصمتهم أورشليم. وتخيل مؤلفنا نفسه - وهو يجلس على شاطيء نهر الهدسون فى أمريكا - أنه يجلس على شاطيء نهر الأردن بالأراضى المقدسة أو سائراً مع أحبار اليهود على شواطئ البحر الأبيض المتوسط. فضلاً عن أنه تذكر

مسقط رأسه فى بولندا التى عجزت عواصم العالم عن أن تنسيه إياه. والملاحظ أن رواياته التاريخية لا تسجل حقائق التاريخ بدقة. ورغم ذلك فقد توصل إلى الحقائق الكبرى القابعة وراء تفاصيل التاريخ. والرأى عنده أن أعظم مؤرخى التاريخ اليهودى فشلوا فى تصوير هذا التاريخ على حقيقته. فهؤلاء المؤرخون اهتموا فقط بإبراز ما تعرض له اليهود عبر التاريخ من خسف واضطهاد وتجاهلوا الحديث عن إنجازتهم التاريخية العظيمة وأنهم رغم بؤسهم وشقائهم عرفوا أياما حلوة. وتتضمن بعض قصصه وحكاياته وصفًا للجوانب المرحة والسعيدة فى حياتهم.

ويتناول أوباتوشو حياة اليهود السعيدة فى رواية نشرها بعنوان «يوم فى ريجنزبورج» التى ظهرت عام ١٩٣٣ وهو نفس عام استيلاء هتلر على السلطة فى ألمانيا. ويتذكر المؤلف فى هذه الرواية أيام اليهود المرحة والسعيدة عندما كان شعراء اليديش فى القرن السادس عشر يشدون بأعذب الأغانى الشعبية حول الملك أرثر وفرسانه وحول غيرهم فى الحكايات الشعبية. وتدل المخطوطات التى اكتشفتها مؤخراً مؤسسة علمية لدراسة أدب اليديش أن اليهود لم يكونوا بمعزل عن جيرانهم وأن حياتهم البائسة لم تخلو من المرح والبهجة والسرور. ويصف أوباتوشو فى روايته بعض الحكايات البهيجة والمفرحة عن يوم سعيد فى حياة ثرى يهودى اسمه شلومو بيلاسر هو يوم زواج ابنته. وفيه جاء الشحاذون من كل حدب وصوب يتغنون وينشدون ويرقصون ويهزرون بهذه المناسبة السعيدة. ورغم أن إشاعة انتشرت بين يهود ريجنزبورج بقرب طردهم من المدينة فإنها لم تفت فى عضدهم أو تمنعهم من الابتهاج والفرح فقرروا أن يغنوا ويرقصوا ويستمتعوا بأوقاتهم مادام هناك فرصة لذلك.

ثم عاد أوباتوشو إلى معالجة نفس هذا الموضوع عندما تناول حياة شاعر اليديش الشعبى الموهوب إليا لينفيتا الذى عاش فى القرن السادس عشر. وقبل وفاته فى عام ١٩٥٤ انتهى مؤلفنا من تأليف رواية تاريخية شديدة الأهمية بعنوان «التمرد الأخير» استغرق تأليفها عدداً من السنوات. ظهر الجزء الأول من هذه الرواية عام ١٩٤٨ وهو العام الذى أنشئت فيه دولة إسرائيل. ثم نشر الجزء الثانى من هذه الرواية فى عام ١٩٥٥ أى بعد وفاته بعام واحد. والجزء الأول من الرواية يتناول

الاستعدادات لتحرير الوطن اليهودى من نير حكم الإمبراطور الرومانى هارديان. أما الجزء الثانى فيعالج التمرد أو الثورة وما جرته على الثوار اليهود من عواقب مأساوية. وبعد مرور ستين سنة على اندحار اليهود على أيدى القوات الرومانية استطاعوا أن يستعيدوا نشاطهم التجارى الرائج والواسع النطاق غير أنهم لم يشفوا من الندوب والجراح التى أصابت أرواحهم. وأخذت العائلات اليهودية الواسعة الثراء فى الحاق أبنائها ممن تعلموا اللغتين اليونانية واللاتينية بالمدارس العبرية لدراسة التوراة وعلوم الدين اليهودى فأصبحوا يتقنون اللغة الأرامية بقدر إتقانهم للغة سوفوكليس وهومر وفيرجيل. وتشاورت العائلات اليهودية الكبيرة فيما بينها حول كيفية التعامل مع الحكم الرومانى فقررت بأن الحكمة تقتضى من اليهود الخضوع لهذا الحكم والصبر عليه. ولكن تلاميذ الحبر أكيفا استمروا فى جمع الذخيرة والسلاح للتخلص من الحكم الرومانى الوثني. ويبحث الحبر أكيفا عن مناضل شديد المراس يستطيع التصدى للرومان فيعثر على ضالته المنشودة متجسداً فى شخصية القائد اليهودى باركوتشبا. وينجح هذا القائد فى خداع الرومان والتمويه عليهم ولكن الأمر ينتهى بهزيمته على أيدى الرومان. ولكن هذه الهزيمة لا تدخل اليأس فى قلب المؤلف فهو يعتبرها هزيمة مؤقتة لليهود وليست هزيمة أبدية أو دائمة. فاليهودى فى رأيه لا تغرب عن باله قط فكرة مجيء مسيح مخلص يشحذ همته ويقيله من عثاره ويحرره من القيود التى يرسف فيها.

وتعكس روايات أوباتوشو الثورة التى اجتاحت وارسو فى بولندا ضد الاحتلال النازى كما تتناول العقبات التى اعترضت طريق إنشاء دولة إسرائيل.

* * * * *

عرضنا فيما سبق لأربعة روائيين بلغة اليديش ينتمون إلى حركة أمريكا الشابة هم دافيد إجناتوف وإسحق رابوى وم.ج هايموتيز وجوزيف أوباتوشو. هؤلاء الأدباء الأربعة يمثلون جيل اليهود المهاجرين من شرق أوروبا إلى أمريكا وهو جيل استقرت القيم اليهودية فى عقله اللاواعى رغم أن عقله الواعى لفظها. والجدير بالذكر أن هؤلاء الكتاب الأربعة لم تنقطع صلاتهم بجذورهم اليهودية ولم يشعروا

بأنهم أغراب عنها مثلما شعر بالغربة بعض أبناء الجيل التالى لهم ممن استخدموا اللغة الإنجليزية ـ وليس لغة اليديش ـ كوسيلة للتعبير الأدبى عن أنفسهم. ومما لاشك فيه أن هؤلاء الأدباء الأربعة نجحوا فى فتح آفاق جديدة وساعدوا على إثراء وانضاج أدب اليديش وخلق عدد من الروائع الأدبية الباقية.

الشاعر الغنائى مناحيم بوراشيا (١٨٨٨ ـــ ١٩٤٩)

جاء مناحيم بوراشيا (واسمه الحقيقى مناحيم جولدبرج) من روسيا إلى وارسو فى عام ١٩٠٥ وشجعه البعض على نشر غنائياته الشعرية بلغة اليديش وليس باللغة الروسية. امتلأت قصائد مناحيم بورشيا بالحنين إلى الله وإلى القداسة والابتهال للعلى القدير كى يكشف له عن أسرار الوجود وغوامض الكون. ولكن جانبًا من قصائده الباكرة تناول أجداده وأسلافه وتركز على التقاليد التى استمد منها الشاعر حياته. غير أن أحد معارفه - واسمه برتيز- نبهه إلى أنه لا يليق به أن يحاول إنزال الله من عرشه فى السماء إلى الأرض. ورغم ذلك التنبيه فقد استمر الشاعر يصارع الله يريد أن يستجلى سره ويسعى سعيًا لا يهدأ إلى فهمه وفهم الحكمة من الخلق والكون. رفض مناحيم مبدأ الفن للفن كما رفض أن يكون الشعر الغنائى هدفًا فى حد ذاته. وأيضًا آمن بأنه يستحيل الفصل بين الشعر والفلسفة والتاريخ. والرأى عنده أن الشعر إدراك للحقيقة قائم على الحدس على عكس العلوم الطبيعية التى تسعى إلى إدراك الحقيقة عن طريق استخدام المنطق. اعتبر مناحيم الشعر نوعا من المعرفة الكونية النابعة من اللاوعى على عكس المعرفة القائمة على دقة الملاحظة. ورغم قرب هذا الرأى من الفلسفة الأفلاطونية فإن مناحيم لم يتأثر بالفيلسوف أفلاطون أو الشاعرين وردذورث وشيلى فى صياغة أفكاره حول وظيفة الشعر . اتخذ مناحيم من النبى موسى رمزاً واعتبره أعظم شاعر قيض له أن يرى الله. وأكد مناحيم أن التنزيل وسيلة شرعية فى معرفة الحقيقة لا تقل فى شرعيتها وسلامتها عن المنطق. اعتبر مناحيم النبى موسى سيد الشعراء الساعين إلى القداسة ويتضح ذلك من القصيدة التى ألفها بعنوان «موسى» والتى نشرت فى عام ١٩٥٠ أى بعد وفاته بعام.

هاجر الشاعر ميناحيم فى السابعة عشرة من عمره من ليتوانيا إلى وارسو عاصمة بولندا تحدوه بعض الآمال التى ما لبثت أن خابت. ففى بادئ الأمر أشفق على البولنديين بوصفهم جماعة عرقية تتعرض لنفس الاضطهاد الذى يتعرض له اليهود. فالروس يضطهدون البولنديين ويلحقون بهم الخسف . وزين له خياله أنه يمكن لهذين الشعبين المضطهدين (اليهود والبولنديين) أن يتعايشا. ولكن هذا الحلم سرعان ما تبدد بعد أن اكتشف أن البولنديين الذين يضطهدهم الروس لا يتورعون بدورهم عن اضطهاد اليهود وإجبارهم على الهجرة عن طريق المقاطعة الاقتصادية ولهذا أخذ يشتم البولنديين ويكيل لهم الاتهامات ويدين شتى قطاعات الشعب البولندى الأمر الذى أحرج صدر أستاذه بيرتز فنصحه بأنه لا يليق به أن يتحدث عن الشعب البولندى بأسره بمثل هذا السوء وبهذا الأسلوب الجارح. وفى عام ١٩١٤ غادر مناحيم الأراضى البولندية عقب نشره قصيدته القادحة «بولندا».

وبعد اندلاع ألسنة الحرب العالمية الأولى بوقت قصير هاجر شاعرنا إلى الولايات المتحدة حيث خابت آماله للمرة الثانية بالرغم من وجود عدد كبير من اليهود فيها. وكان مصدر خيبة أمله هذه المرة راجعًا إلى اليهود أنفسهم فقد أحزنه وحز فى قلبه أن الكثيرين من بنى جلدته المهاجرين إلى أمريكا نبذوا التقاليد اليهودية الراسخة وأصبحوا يؤمنون بقيم المجتمع الأمريكى المادية. وأمضى شاعرنا أكثر من ثلاثين سنة يمارس نشاطه الصحفى ويكتب فى جرائد اليديش اليومية والمجلات الأسبوعية المنشورة باللغة الإنجليزية. فضلاً عن أنه أسهم فى أنشطة الأجهزة والتنظيمات الثقافية اليهودية وأصبح ناراً على علم فى اللجان والمؤتمرات اليهودية الأمريكية. ورغم هذه الاهتمامات الاجتماعية فقد شعر فى قرارة قلبه بالوحدة والوحشة.

وفى عام ١٩٢٠ نشر شاعرنا ديوانا من القصائد بعنوان «رمال» إيمانًا منه بأن اليهود يشبهون الرمال المتناثرة فى كل مكان على شواطئ البحار. ورأى مناحيم أنه كُتب على اليهود أن يعيشوا مكروهين فى كل مكان يذهبون إليه. حتى أمريكا نفسها رغم أنها أحسن حالاً من أوروبا تنغص عليهم حياتهم. صحيح أن أمريكا لا تضمر لهم ما أضمرته أوروبا لهم من كراهية فقد منحتهم قدراً كبيراً من الحرية

والرخاء والانتعاش الاقتصادى . ولكنها كانت السبب فى اضمحلال يهوديتهم وتلاشيها. ومما زاد الطينة بلة فى نظره أن نفراً من أبناء وأحفاد اليهود المهاجرين تحولوا إلى الدين المسيحى . ولهذا يصرخ الشاعر قائلاً: كيف يستعيد اليهود فى أمريكا تراثهم وماضيهم.

ورغم الحزن الذى يرنو على مناحيم فإنه لا يعرف التشاؤم. فهو لا يشك للحظة واحدة أن هناك هدفًا فى الكون وان كان عاجزاً عن إدراك هذا الهدف على وجه التحديد. وقد ألف شاعرنا ملحمة شعرية بعنوان «المسافر» استغرق نظمها تسعة أعوام. وتشمل هذه الملحمة على مغامراته الفكرية. وهى تشير إلى تأثر صاحبها بالفلسفة الهاسيدية التصوفية التى استمد منها عنوان القصيدة.

تروى هذه الملحمة الشعرية رحلة يهودى اسمه نوح ماتت أمه عقب ولادته. ويتزوج أبوه من امرأة ثانية لا تريد أن تعيش مع ابنه تحت سقف واحد وعندما يبلغ الطفل الثالثة عشرة من عمره نراه يتحول كرحالة من مكان إلى آخر متعطشًا إلى معرفة الله وسائر مخلوقاته. ولا يجد الغلام المتجول ما يسد به رمقه غير كسرة من الخبز الأسود يتناولها على موائد الإحسان. وعندما يصيبه الكد والنصب لا يجد مكانًا يجلس عليه غيرالمقعد الخشبى الخشن فى المعبد. ولا يكف الغلام عن التحليق مع الملائكة. وحين يبلغ السادسة عشرة من عمره يلتحق بالطائفة الهاسيدية دون أن يسمح لنفسه بالاستغراق الشديد فى تصوفها. وينكب الفتى على التحصيل ودراسة علوم الدين اليهودي. وعندما تحاصره رغبة الجسد فى العشرين من عمره يتزوج من ابنة أحد الفقهاء فى الدين. وأخيرا يعثر الأب على ابنه الضال فيطلب منه أن يصير حبراً يتلقى اليهود المتدينون الشروح والتفسير على يديه. غير أنه يزداد عطشا إلى المعرفة فيقرر هجران أسرته ويداوم الترحال من مكان إلى مكان طلبًا للعلم وأحكام العقل. حتى العقل نفسه يعجز عن إرضائه فيسعى إلى تجاوزه لمعرفة الأسرار القابعة وراءه. فلا غرو إذا رأيناه لا يكتفى بدراسة ابن ميمون وأرسطو ويتطلع إلى تجاوزهما سعيًا إلى الوصول إلى مرتبة الكمال. ولكن نوح يتذكر عائلته التى هجرها دون وجه حق فيقفل راجعًا إليها حيث يبدأ فى تعليم مبادئ التوراة للمحيطين به من أبناء مجتمعه. وتتعمق تجربته فى الحياة فيزداد تألمًا من ظلم الأغنياء وأصحاب الجاه

والسلطان. ولكنه يشعر بأنه لا يزال محدوداً فى علمه وقدرته على النفاذ إلى الحقيقة الأبدية والكشف عن مستور الأسرار. ويواصل نوح تجواله واحتكاكه بالحياة وبأعلام التنوير اليهودى أمثال موسى مندلسون ويتعلم منهم أنه يجب على اليهود أن يعيشوا فى انسجام مع جيرانهم وأن يقدموا التنازلات للمجتمعات التى يعيشون فى ظلها وأن يتخلوا عن عزلتهم ويتبادلون الأفكار مع غيرهم من الناس. ويستاء نوح كثيراً عندما يجد أن مبادئ التنوير اليهودى تضعف تمسك اليهود بدينهم فهى كثيراً ما تقضى إلى نبذهم لدينهم واعتناق الدين المسيحي. عندئذ يقتنع نوح اقتناعا راسخًا بأنه يتعين على اليهود أن يلزموا معابدهم ويستمسكوا بالتلمود إلى يوم الانقضاء. ويجوب نوح المزيد من بقاع الأرض طلبًا للحكمة والمعرفة. ويتضح له أن تصوف الهاسيدية غير القائم على العقل والمنطق عاجز عن إرضائه. ثم تقوده أسفاره إلى دراسة العهد الجديد على يدى مبشر مسيحي. غير أن التعاليم المسيحية أيضًا تعجز عن إرضائه لأنها تضع وسيطًا بين الإنسان والله حيث لا سبيل إلى الوصول إلى الله مباشرة إلا عن طريق الإيمان بالمسيح.

وبعد أن يعجز الإيمان بكل من الهاسيدية والمسيحية عن إقناعه نراه يخالط الاشتراكيين والفلاحين لعل الاقتراب من الطبيعة (عن طريقة روسو) يساعده على الوصول إلى الحقيقة. ويعمل قاطعًا للأخشاب فى الغابات ولكنه يتعلم من هذه التجربة أن العمال الزراعيين يتسمون بالقسوة والوحشية والفظاظة. عندئذ يدرك أن الباحث عن الحقيقة لابد أن يكابد العذاب ويتحمل الشقاء. وكذلك تعلمه التجارب أن الذين يقومون بتعذيب غيرهم يعانون من عذاب الضمير. فيدرك نوح أنه ليس هناك شر أو خير مطلق. فالأبرار لا يمكن أن يكونوا أبراراً على طول الخط كما أن الأشرار ليسوا أشراراً على طول الخط. عندما يشاهد ما تعرض له اليهود فى روسيا من مجازر وتقتيل واتهامات كاذبة (مثل اتهامهم بالتآمر فى مقتل ألكسندر الثاني) نراه يتساءل إذا كان العقاب ينزل بالفعل على الظلم والظالمين.

وبسبب المجازر الروسية التى راح اليهود ضحيتها يكتشف نوح أن اليهود العاديين يحبذون الدعوة إلى انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين. وهى الدعوة التى

دعت إليها الروائية الإنجليزية جورج إليوت فى رواية «دانييل ديروندا». كما أنهم يستجيبون لدعوة لورانس أوليفانت إلى نفس الشيء. ويستاء نوح عندما يتضح له أن أثرياء اليهود فى روسيا يخشون من انتشار هذه الدعوة لأنها قد تعود عليهم بالضرر وقد يشتم منها رغبة جماعية من جانب اليهود للنزوح من روسيا، الأمر الذى يلقى بظلال الشك على ولائهم للقيصر ولا يأبه نوح بمخاوف اليهود الأثرياء وخشيتهم على مصالحهم ويؤازر اليهودى العادى الذى يحلم بالعودة إلى أرض الميعاد. وينضم نوح إلى جماعة من أتباع لورانس أوليفانت الداعية إلى النزوح إلى فلسطين.

وفى الطريق يقرر نوح عدم استكمال مسيرته إلى فلسطين ويعود إلى عائلته مؤمنًا بأنه ليس من اليهودية فى شيء أن يخذل أسرته وأطفاله المحتاجين إليه. وبالفعل يعود نوح إلى عائلته وهو مقتنع تمامًا بأن عودته ليست نكوصًا بل دعمًا لشعب إسرائيل ومناصرة له وتعبيراً صادقًا عن حبه ووفائه له. وأيضًا يقتنع بأن ولاء اليهودى لأسرته هو السبيل الحقيقى للوصول إلى القداسة وفهم الناموس الإلهي. وهكذا ينهى رحلته التى تشبه ملحمة الأوديسا بأن يقتنع بأن المعرفة ليست لها حدود وأن الشر المطلق - مثل الخير المطلق- أمر لا وجود له. فخميرة الشر تكمن فى الخير وبذرة الخير موجودة فى أعماق الشر، وأيضًا توصل نوح إلى حقيقة مفادها أن هناك قوة عليا فى هذا الكون وأنه ينبغى علينا الخضوع لمشيئتها حتى إذا كنا عاجزين عن فهم هدفها أو الغرض منها.

ثم جاء الهولوكست النازى والإبادة الجماعية لليهود لتثير الشكوك والتساؤلات فى قلب وعقل مناحيم من جديد. ومع ذلك فهى تقوى إيمانه بجدوى الحياة اليهودية.

لم يتمكن مناحيم من استكمال قصيدته الدرامية «موسى» قبل وفاته عام ١٩٤٩ وظل فى هذه القصيدة يتطلع كعادته للوصول إلى الله. وتحكى القصيدة حكاية النبى موسى الذى خلص شعب إسرائيل من استعباد فرعون مصر له وقاده إلى أرض الميعاد وارتقى به إلى مدارج القداسة. وتعين عليه أن يتحلى بالصبر والجلد فى

سبيل تحقيق هدفه السامي. ورغم كل ما بذله من جهد فإن شعبه خذله وسار فى طريق الغى والضلال. ولكن موسى ورسالته قد أوتى ثماره فقد ضرب لبنى إسرائيل أروع وأسمى مثل أخلاقى يمكن للبشر أن يحتذوه.

لقد عاش الشاعر مناحيم ليرى بعينيه إقامة دولة إسرائيل التى يتحمس لها ورحب بها واعتبرها حدثًا تاريخيًا يستحق الإشادة والتمجيد. ولكن تحمسه لإنشائها لم يمنعه من أن يتساءل إذا كانت هذه الدولة الوليدة سوف تحذو حذو موسى وتتطلع إلى حلمه فى تحقيق مملكة الله على الأرض أو أنها سوف تسير على نفس الدرب الذى تسير عليه أية دولة عادية. وعلى أية حال لم يكن الشاعر الموهوب مناحيم الوحيد الذى طرح هذا التساؤل، فقد طرحه فى نفس الوقت شاعر آخر لا يقل عنه امتيازاً وموهبة هو إفرايم أورباخ.

إفرايم أورباخ Ephraim Ourbach

استمد هذا الشاعر- شأنه فى ذلك شأن مناحيم- إلهامه الشعرى من الماضى كما استلهم منه مؤخراً إنشاء وطن قومى لليهود فى اسرائيل. وظل فى شعره الغنائى يتحرق شوقًا لإنشاء دولة إسرائيل لمدة نصف قرن. حتى مؤلفاته الأخرى تغنت بإنشاء هذه الدولة. ورغم تحرقه شوقًا لإنشاء هذه الدولة فإنه نادراً ما أقام فيها.

ولد أورباخ عام ١٨٩٢ فى أسرة تحفل بالغناء والرقص فى أيام الأجازات والسبوت. وفى شبابه شدا أورباخ ببعض أجزاء التلمود والكتاب المقدس. وسرعان ما تعلم كيف يشدو بقصائده الغنائية. بدأ أورباخ ينظم قصائد اليديش وهو فى السابعة عشرة من عمره. فضلاً عن تأليف حكايات بهذه اللغة رأت طريقها إلى النشر فى كل من وارسو ببولندا وأوديسا فى روسيا.

وينحدر شاعرنا من عائلة ظلت لأجيال متعاقبة تشتغل بالجزارة ونحر الماشية والدواجن طبقًا للشريعة الموسوية. ورغم أن أباه أبدى امتعاضه الشديد من هذا العمل فقد ضغطت عليه أسرته كى يمارسه فهو عمل يحظى بالتوقير والتبجيل فى المجتمع اليهودي. ولكنه استطاع مقاومة هذه الضغوط والهرب بجلده من ممارسة هذه المهنة. ويصور لنا الشاعر فى قصائده الغنائية المنشورة عام ١٩٢٧ بعنوان «الخيط الأحمر»

مشاعره فى طفولته نحو هذه المهنة الدموية. فقد كان الألم يعصر قلبه وهو يشاهد اليمامات الرقيقات تذبح لأكل لحمها. وسمع أصوات الثيران وهى تئن أثناء نحر رقابها كما رأى عيونها تجحظ وتتجمد من الرعب والفزع وتحملق متسائلة فى صمت عن مصيرها البائس. وكان شاعرنا فى طفولته يحلو له فى فصل الربيع الرقص مع صغار العجول لا يعكر صفوه غير تذكر منظر الدم الذى سوف يسيل منها عندما يغمد فيها والده سكين النحر.

وفى عام ١٩١١ غادر أورباخ مدينة وارسو. وفى العام الذى يليه استهوته الأفكار الصهيونية فانضم إلى الرعيل الأول من المهاجرين إلى فلسطين حيث عمل فى المستعمرات الواقعة فى المنطقة اليهودية. وظل يعمل فيها حتى أجبرت السلطات التركية المهاجرين اليهود الروس على الجلاء من فلسطين والذهاب إلى مصر. وفى مصر انضم أورباخ إلى الفيلق اليهودى . ولكن المرض داهمه فاضطر المسئولون عن الفيلق إلى إرجاعه إلى الإسكندرية التى عاش فيها حتى عام ١٩١٥ ليهاجر حينذاك إلى الولايات المتحدة حيث استقر به المقام.

نشر أورباخ أول ديوان له عام ١٩١٨ بعنوان «القوافل» وتدور معظم قصائد الديوان حول فلسطين ووداعه لأمه الحزينة قبل رحيله ومحاولاته لمواساتها والتخفيف من كربها بقوله إنه سوف يرحل عن أرض الثلوج والقحل ليذهب إلى الأرض الخضراء اليانعة التى طالما تغنت لها فى صلواتها وابتهالاتها. وهى أرض قطوفها دانية يمكن زرعها وجنى ثمارها. ودفعته أحلام العودة إلى أرض الأجداد إلى أن يذهب إلى شواطئ اليهودية وكهوفها وتلالها. نظر أورباخ إلى فلسطين بعين رومانسية وتصور راعى الغنم فيها وهو يعزف أعذب الألحان تقوم على خدمته عذراء يمنية سمراء تجلب له الماء من البئر فى إناء فخارى . فى حين ترتفع عقيرة الحداء بالغناء أثناء سيره بين الأشجار كما تصور فى خياله الأعرابى العاشق وهو يتغنى لمحبوبته الجميلة فاطمة.

وإلى جانب هذه الصورة الرومانسية والحالمة عن فلسطين تغنى أورباخ أيضًا بمباهج العمل اليدوى والمجهود العضلى وسعادته وهو يحصد الشعير الذى يقترب فى صفرته من لون الذهب ويقطف عناقيد العنب من الكرمة وكذلك سعادته وهو يزرع شتلات الغابة آملاً ومبتهلاً أن يبللها الندى وتسقط عليها قطرات المطر.

لقد استلهم أورباخ فى جميع أشعاره المصادر اليهودية وتناولت قصائده موضوعات شتى تمتد من قصة آدم وقابيل إلى ما حدث لليهود فى العصر الحديث. وفى قصائده الغنائية الباكرة نراه يتذكر روعة المناظر الطبيعية الخلابة التى عاشها فى باصربيا. ثم نراه فى مرحلته اللاحقة الوسيطة يهتم بالتجربة اليهودية فى أمريكا. ثم يلاحظ فى إنتاجه الشعرى بعد ذلك أن عقله لم يعد يفكر فى شيء غير الماسى المفجعة التى نزلت باليهود فى أوروبا، كما تملكته فكرة إنشاء دولة إسرائيل التى لم تبرح ذهنه قط. غير أنه فى أواخر أيامه عاد بذاكرته إلى اليهود الذين عايشهم فى باصربيا فى فترة طفولته. ولم تنسه إقامته فى أمريكا لمدة نصف قرن هذه الفترة من حياته. ويتجلى لنا ذلك من الديوان الذى أصدره عام ١٩٦٣ بعنوان «الاستبس» وكرسه للحديث عن الجو الثقافى السائد فى باصربيا فى فترة طفولته.

آمن أورباخ بأن وجود اليهود خير فى حد ذاته وأن الخير هو الوجه الآخر للسعادة. وفى الرواية التى نشرها عام ١٩٤٠ بعنوان «النبع القديم والنقي» نراه يقارن بين مباهج الخير وأحزان الشر. والإنسان الخير فى رأيه يجلس فى ظلال الله الوارفة وقلبه مفعم بالحب والرجاء، ونبع الكتاب المقدس النقى يروى تربة الخير.

ولعل أكثر دواوين أورباخ مبعثًا للفرحة والبهجة ذلك الديوان الذى نشره عام ١٩٣٤ بعنوان «كتاب أدا للأغاني» وأدا هى ابنته التى تبلغ السادسة من عمرها. ويزخر هذا الكتاب بتصوير الأشياء غير الحية على أنها أشياء حية تبتسم وتتراقص وتشعر وتحس وكأن الحياة تدب فى عروقها.

وتدور غنائيات ديوانه المشار إليه بعنوان «الخيط الأحمر» حول مدينة نيويورك حيث نرى الشاعر يتغنى بالأحياء التى يعيش فيها المهاجرون من بنى جلدته. تجاهل شاعرنا مظاهر الفقر والقذارة فى هذه الأحياء، وتعمد أن يبرز مظاهر البهجة فيها. والرأى عنده أن الفقراء القذرين أكثر حكمة وتعمقًا فى فهم الحياة من الطبقات الأوفر حظًا.

وبسبب ما تعرض له يهود أوروبا من خسف واضطهاد ومجازر ألف أورباخ بعض القصائد الغنائية الدينية. ولهذا نراه فى ديوانه «خيام يعقوب» (١٩٤٥)

يواسى بنى جلدته الناجين من الإبادة النازية الجماعية (الهولوكست) ويطلب من الله أن يشملهم برحمته قائلاً: إن العذاب الذى اكتووا بناره لابد وأنه طهرهم من الذنوب والأوشاب والشوائب. وأيضًا يذكر الشاعر البطولة العظيمة التى أظهرها اليهود عندما تصدوا منذ نحو ثلاثة قرون قبل اندلاع ثورة جيتو اليهود فى وارسو للدفاع عن كرامتهم وشرفهم ضد حجافل القوزاق.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية اختفت نبرة الفرحة والابتهاج من شعره. غير أنه لم يستسلم لليأس أو يشك فى إرادة الله بل استوحى روح الحبر ناخمان من قبره واستلهم حكمته الهاسيدية التصوفية من أجل تقوية إيمان المعاصرين من أتباع هذا الحبر، وروى القصة التى لم يروها أحد من قبل قصة خلاص أرض الشر عن طريق اتصالها بأرض الخير.

ويحتوى ديوان «خيام يعقوب» على اقتباسات من «نشيد الإنشاد» فى العهد القديم فسرها الشاعر على أنها حوار بين الله وشعبه الحبيب إسرائيل. وأيضًا ألف أورباخ مسرحية شعرية تدور أحداثها حول أسطورة سرت فى فترة احتلال القوات التركية لبعض أجزاء أوروبا.

زيش ويمبر (١٨٩٢ - ١٩٥٧) Zishe Wemper

ولد زيش ويمبر فى نفس العام الذى ولد فيه أورباخ ونشأ وترعرع فى نفس الجو الدينى الهاسيدي. وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره اهتم بدراسة اللغة العبرية وأدب اليديش. وأخذ ينتقل من مدينة إلى أخرى فى كل من أوكرانيا وبولندا بحثًا عن لقمة العيش وسعيًا وراء العلم.

وفى عام ١٩١٣ توجه إلى مدينة نيويورك حيث وقع تحت تأثير جماعة «أمريكا الشابة» وهناك تحلق حوله عدد من شعراء اليديش الصغار السن الذين نشروا إنتاجهم الأدبى فى مجلة «بداية» التى كان ويمبر عام ١٩١٨ يشرف على تحريرها. ولكن هذه المجلة توقفت عن الصدور عندما انضم محررها إلى الفيلق اليهودى الذى ناضل من أجل إنشاء دولة إسرائيل.

نشر ويبر ديوانه الذى يضم عدداً من القصائد الغنائية عام ١٩٢٠ تحت عنوان «من بلادنا». ويتضمن هذا الديوان انطباعاته وعواطفه وتجاربه كمحارب فى صفوف الفيلق اليهودى وسعادته الغامرة وهو يرى السفينة التى تقله تقترب من الأراضى المقدسة وشوقه الجارف إلى مجيء المسيح كى يخلص شعب إسرائيل. فضلاً عن أن الديوان يقطر بالحزن على دمار أورشليم وخرابها على يد الجنود الرومان. وفى فلسطين شعر ويبر بخيبة الأمل من الانتداب البريطانى (الذى حل محل الاحتلال التركي) ولهذا قرر العودة إلى الولايات المتحدة فى نهاية ١٩١٩ بعد أن أمضى عامًا ونصف عام فى الأراضى المقدسة. ورغم قصر هذه المدة فقد غارت تجاربها فى أعماقه تاركة أوضح الأثر فى غنائياته اللاحقة وفى كتابه «مع الفيلق اليهودي» الذى نشره عام ١٩٤٢ أثناء معمعة الحرب العالمية الثانية.

ظل ويبر محتفظًا بتفائله فى الحياة حتى عام ١٩٢٩ ولعل أكثر قصائده مرحًا وتفاؤلاً تلك الأغانى التى نظمها فى عقد العشرينيات من القرن العشرين من أجل الأطفال وهى فترة اشتغاله بالتدريس فى مدارس الييديش. ولكن تفاؤل شاعرنا تعرض لهزة عنيفة بسبب الكساد العظيم الذى ساد الاقتصاد الأمريكى فى عقد الثلاثينيات وبسبب سيطرة النازية على كثير من أرجاء القارة الأوروبية. وبسبب التردى الواضح فى أحوال اليهود فى أوروبا آنذاك أصبح ويبر معبراً عن الجناح اليسارى فى أدب الييديش الأمر الذى أدى إلى اغترابه عن التيار الرئيسى المعتدل لهذا الأدب. وهو اغتراب عانى منه معاناة شديدة وعبر عنه فى ديوانه الغنائى الذى نشره عام ١٩٥٤ بعنوان «الألم والفرح» وقد خلص شاعرنا إلى رأى مفاده أن إسرائيل أو الأراضى المقدسة ليست موجودة فى فلسطين فحسب بل فى كل بلد يسكنه اليهود ويتحدثون فيه بلغتهم. وفى عام ١٩٥١ ألف ديوانًا بعنوان «قصائد الأنبياء» يدل على فتور بنى جلدته نحوه الأمر الذى أشعره بالإحباط. وعلى أية حال امتد هذا الشعور بالإحباط إلى شاعر آخر يفوقه فى الموهبة هو يتزهوك رايس.

يتزهوك رايس (١٨٨٣ - ١٩٤٣) Yitzhok Reiss

نشأ يتزهوك رايس الذى كان يكتب تحت اسم موشى نادير Moshe Nadir المستعار فى مدينة نيويورك وكرس قصائده الغنائية الباكرة التى نشرت قبل بلوغه

السادسة عشر للتعبير عن سخطه على الحياة فى هذه المدينة الكبيرة التى تختلف فيها القيم عن قيم الحياة فى المدن الأصغر حجمًا.

وتنم قصائد نادير الشبابية على مدى تأثر ناظمها بأسلوب الشاعر الألمانى المعروف هاينى وعلى قدرة صاحبها على المزج بين الغنائية العذبة من ناحية وصدم مشاعر القارئ واستخدام السخرية اللاذعة من ناحية أخرى. وقد ظلت هذه السمات تلازم شعره ونثره ومسرحياته طوال أربعة عقود متصلة. أحس نادير فى أعماقه بخواء الحياة الإنسانية وخلوها من المعنى ودفعه شعوره بالوحشة والوحدة وأيضًا اضطراب مزاجه إلى الاستغراق فى أحلام الطفولة. فضلاً عن أنه دفعه إلى التجوال فى أنحاء كل من باريس وفيينا بحثا عن الجمال الأوروبى الذى اكتشف أنه لا يعدو أن يكون بريقًا زائفًا يخفى وراءه تآكل الحضارة الأوروبية وتدهورها. ولهذا قرر العودة إلى نيويورك وفيلادلفيا حيث أسهم فى تجديداته فى أدب اليديش الذى أنتجته مدرسة «أمريكا الشابة» وكذلك أشرف شاعرنا على تحرير بعض الدوريات والمجلات الفكاهية وكتب بعض المقالات فيها ثم قام بضمها فى وقت لاحق فى كتاب بعنوان «الورود المتوحشة» (١٩١٥). والجدير بالذكر أنه ترجم إلى اليديش جانبًا من أدب الأمريكيين مارك توين وجيرومى ر. جيرومى اللذين تأثر بهما فى تأليف فكاهياته المكتوبة بلغة اليديش.

لقد أسعد نادير قراءه بلمحات الفكاهة الطلية والملحة الذكية فى كتاباته وبمفارقاته اللامعة والمثل العليا فلا غرو إذا رأيناه يحيا حياة بوهيمية وأن يتهكم على المؤسسات القائمة وعلى الأفكار التقليدية. وبالنظر إلى شدة إحساسه بالفردية فقد كان من العسير عليه أن يتأقلم أو يستقر فى أى مكان. ونظراً لاستهزائه بمعاصريه وسخريته من العالم أطلق على مجموعة غنائياته الكاملة اسم «أوهام» وهو يعترف بأن الفواجع لم تعد تهزه أو تؤثر فيه بسبب كثرة وقوعها وأن النساء لم يعدن تستهوينه فقد عرف الكثيرات منهن كما اعترف بأن الفن وهم جميل وكلمة جذابة ليس لها مكان إلا فى الصالونات وأن العلم يسبب له نفس الألم الناجم عن الإصابة بمرض الروماتيزم. وأضاف أن العالم بأسره شيء يدعو إلى الملل والسآمة. وأضاف نادير أنه لا سبيل إلى الفرار فى هذه السآمة الكونية إلا بنسيان الذات. وهو ما عجز

شخصيًا عن فعله فقد كان تفكيره يتمحور حول نفسه. ولهذا استغرق فى الاستطيان وأمعن التفكير فى طبيعة عواطفه المتغيرة كما استغرق فى تحليل أفكاره. ورغم شدة سخطه على الحياة فقد كان شديد الحب لها رغم كل ما تمور به من طيش ونزق وتناقض .

وتخلى نادير بعض الشيء عن تشاؤمه عندما انضم إلى صفوف الشيوعيين وفى عام ١٩٢٢ ارتبط اسمه بإحدى الصحف الشيوعية اليومية. وفى عام ١٩٢٦ سافر إلى روسيا البلشفية ليعود منها مؤمنًا إيمانًا عميقًا وراسخًا بأن نظامها الفلسفى سوف يخلص العالم ويهديه سواء السبيل. وفى عام ١٩٢٩ قام الشيوعيون بتبرير مجازر العرب ضد سكان أريحا من اليهود واستاء من ذلك بعض زملائه من الصحفيين اليساريين الذين قاموا بالاستقالة من وظائفهم فى الجريدة الشيوعية التى يشتركون فى تحريرها. ولم يرق هذا الاحتجاج فى عين نادير فتصدى للهجوم عليهم دون رحمة أو هوادة. كما أنه شن حربًا شعواء على كثير من الأدباء اليهود المرموقين الساخطين على التبرير الشيوعى للأحداث. وقد تم جمع مقالاته التى تهاجم هؤلاء الأدباء اليهود فى ثلاثة أجزاء فى الفترة بين عامى ١٩٣٥ و١٩٣٦ . , وأثارت حملاته الضارية على الأدباء اليهود المحتجين على الصحيفة الشيوعية غضب الكثيرين من نقاد الأدب عليه فامتنعوا عن مراجعة كتبه وتجاهلوه. ولم يفق نادير من غفلته ويعرف الشيوعية على حقيقتها إلا بعد أن قام ستالين الشيوعى بتوقيع معاهدة سلام مع هتلر النازى فى عام ١٩٣٩ , عندئذ سعى نادير إلى التكفير عن خطئه الفادح فى سوء تقديره لحقيقة النظام البلشفي. وفى إبريل عام ١٩٤٠ التمس من شانئيه ومناوئيه أن يغفروا له خطأه فى عدم فهمه الشيوعية على حقيقتها.

قلنا إن نادير تأثر تأثراً عظيمًا فى شعره الباكر بالشاعر اليهودى الألمانى المعروف هاينى وأنه يعترف بفضل هذا الشاعر عليه. واعترف نادير أن هناك وشائج قوية تربطه بهايني. فهو مثل هاينى نادم على ما بدر منه فى حق اليهود ويسعى إلى التصالح مع الله الذى شعر نادير بالاغتراب عنه منذ أن كان فى الخامسة عشرة من عمره. وعض نادير بنان الندم لأنه أخطأ فى حق المصير الفردى عندما انشغل عنه بالدعوة العامة إلى تحسين الحياة الإنسانية بأسرها. وأدرك نادير فى صحوته أن

الطغيان اليسارى لا يقل شراً عن طغيان اليمين وأن الارتفاع الحقيقى فى مدارج التقدم والحضارة يتطلب مجهوداً شاقًا وطويل النفس فى تعليم البشر قيم التسامح والديمقراطية والمذهب الإنساني.

اى آى شـــوارتز I. I. Schwartz

ولد شوارتز عام ١٨٨٣ فى إحدى مدن ليتوانيا أى فى نفس العام الذى ولد فيه موشى نادير. وعند هجرته إلى الولايات المتحدة اشترك مثل موشى نادير فى الإنتاج الأدبى لحركة «أمريكا الشابة». ولكن أدبه لم يكن بنفس قدرة هذه الحركة على الاحتجاج. اضطلع شوارتز على إصدار ترجمات بديعة لبعض شعراء اليديش إلى الإنجليزية كما أنه قام بترجمة أشعار ميلتون وويتمان إلى الإنجليزية.

كان شوارتز فى شعره الغنائى يتحرى الموضوعية فى تصوير الناس والطبيعة وامتنع عن فرض نفسه على ما يصور. وتتجلى لنا روحه الموضوعية فى قصيدتيه الطويلتين «كنتكي» (١٩٢٣) و«سنوات الشباب» (١٩٣٢) رغم ما تتضمنه هاتان القصيدتان الطويلتان من سيرة ذاتية. وتدور «سنوات الشباب» حول طفولته وشبابه حتى رحيله إلى نيويورك. تبدأ القصيدة بذكرياته الباكرة عن مسقط رأسه فى ليتوانيا وهى ذكريات نسجها فى جو من السحر الخلاب. يقول الشاعر إن اليهود استقروا فى مسقط رأسه لأجيال متعاقبة يعملون فيها كتجار وأصحاب حرف. ولكن انشغالهم فى أعمالهم لم يصرفهم عن دراسة التلمود كل يوم فقد كانت هذه الدراسة سبيلهم إلى المتعة والاسترخاء معًا. ويتذكر الشاعر حنينه إلى الأيام الأخيرة من القرن التاسع عشر حيث كانت النافورة اليهودية على حد قوله تفيض بالماء الصافى الرقراق. وتناسى الشاعر فى حنينه إلى الماضى ما انطوى عليه هذا الماضى من مشقة وقسوة وصعاب وأحزان. ولم يذكر فيه غير الفرحة والبهجة الخالصة التى لا يشوبها سوى قدر ضئيل من الحزن والشجن. تذكر أباه وحبر بلدته الجليل وهو يعلم مبادئ الدين اليهودى الحنيف ويقضى بين الناس بالعدل. وفى حياته الباكرة ظل شوارتز ينكب على حفظ التراث اليهودى ويتعلم حكمة الأجداد من السابعة صباحًا حتى التاسعة مساء. فضلاً عن دراسة الأدب اليديش واستلهامه فى شبابه أفكار هرتزل

الرائد الصهيونى المعروف الذى أنار حياته وبدد ما فيها من ظلام دامس. ورغم شدة شوقه إلى الأراضى المقدسة فإن طموحه إلى قرض شعر اليديش جعله يتوجه شطر الغرب الأمريكي. وعند رحيله إلى أرض المهجر لم ينس أبداً تحذير أبيه له أن يبقى يهوديًا إلى أبد الآبدين. وعلى أرض المهجر شعر شوارتز بأنه قد تحرر من استعباد القوزاق والروس لليهود. وشارك شاعرنا اليهود فرحتهم بالهجرة إلى أمريكا بلاد الأمن والأمان التى لم تعرف قط اضطهاد بنى إسرائيل . ورغم ما عاناه شوارتز فى أمريكا من املاق فقد أثلج صدره انطلاق روحه هناك ولم يشأ أن يحذو حذو غالبية المهاجرين فيفتح وكانًا لبيع الحلويات فى مدينة نيويورك بل فضل أن يتجه شطر الغرب الأمريكى حيث الزرع والضرع. وفى عام ١٩١٨ توغل فى غرب أمريكا واستقر فى كنتكى لبضعة أعوام حيث استثمر رأسماله الضئيل فى الأعمال الحرة. وقد سجل تجاربه كبائع متجول فى كنتكى فى ملحمته الشعرية التى تحمل عنوان «كنتكي» وتصف هذه الملحمة بطلها وهو يحمل بضاعته على ظهره ويتجول من مكان إلى آخر ينام فى الأجران وعلى أكوام الحشائش. ولما أطمأنت نفسه إلى جيرانه الأمريكيين القاطنين فى الريف قرر الإقامة بينهم، وافتتح دكانًا للبيع. وعندما استطاع أن يقتصد بعض المال من تجارته قام باستدعاء أفراد عائلته من القارة الأوروبية. وهكذا اتسعت دائرة أعماله وكثر عدد اليهود المقيمين معه حتى أصبحوا يكونون جالية كبيرة. وشعرت هذه الجالية المتنامية بالحاجة إلى إقامة معبد يقيمون فيه الصلاة ويجتمعون بين جلدتهم. وفى أمريكا يكبر أطفال اليهود المهاجرين الرواد فى جو من السماحة فينسون بمضى الزمن ما لحق بآبائهم وأجدادهم من عذاب قبل أن تطأ أقدامهم أرض المهجر. ولم يجد الأبناء والأحفاد غضاضة فى الاختلاط بجيرانهم الأمريكيين. وحين ازدادت احتياجاتهم الدينية استقدموا واعظًا يعظهم أيام السبت وكونوا فريقًا من الكورال الأطفال الذين ينشدون الترانيم ويرتلون فى المعبد على نغمات الأورج. وهكذا تحول اليهودى الذى بدأ حياته فى كنتكى كبائع متجول إلى واحد من أهم شخصيات المدينة. ثم بدأ يظهر بين أدباء اليديش فى أمريكا شعراء غنائيون ينظمون باللغة الإنجليزية بنفس درجة إتقانهم للغة اليديش.

* * * * *

شعراء الاستبطان

بعد أن تناولنا شعر اليديش الغنائى فى أمريكا ننتقل إلى الحديث عن شعراء الاستبطان اليديش. والاستبطان كما نعرف هو غوص المرء فى ذاته للوقوف على مكنوناتها. وبدأت حركة شعر اليديش الاستبطانى عام ١٩١٩ على أيدى ثلاثة شعراء شبان هم جلانز ليليس (١٨٨٩ - ١٩٦٦) وجاكوب جلاتشنين المولود عام ١٨٩٦ و.ن.ب مينكوف (١٨٩٣ - ١٩٥٨) الذين اتفقوا فيما بينهم على إعلان برنامج مشترك لهذه الحركة وتأسيس مجلة كى تكون منبراً للتعبير عن أهدافها. ووجدت هذه الحركة تشجيعا من شعراء اليديش القدامى والأكبر سنًا. كما أنها اجتذبت إليها عدداً من اليهود المهاجرين الشبان الأصغر سنًا أمثال ب. ألكويت (١٨٩٦ - ١٩٦٣) وبرنارد لويس (١٨٩٥ - ١٩٢٦) وجاكوب ستودولسكى (١٨٩٠ - ١٩٦٢) وأليفى كاتر (١٨٩٨ - ١٩٦٠) إلى جانب حشد من الشعراء اللاحقين عليهم. والجدير بالذكر أن المجلة التى اتخذها شعراء الاستبطان اليديش منبراً لهم لم تستمر طويلاً فقد توقفت عن الصدور عام ١٩٤٠ بعد أن نجحت فى إفراز كوكبة من الشعراء قيض لهم البقاء والإنتاج حتى بعد توقف المجلة عن الصدور. وبعد نضوج شعراء اليديش المؤسسين لهذه الحركة نبذوا أسلوبهم الطنان للإعلان عن أنفسهم ونذروا أنفسهم للدفاع عن الأدب الخالص بعيداً عن أى التزام سياسى فى وجه الهجوم الذى شنه شعراء الطبقة العاملة ممن يكتبون باليديش عليهم. وحتى قبل ظهور حركة شعراء الاستبطان اليديش عام ١٩١٩ بعدة سنوات حملت حركة شعراء أمريكا الشابة الأنفة الذكر لواء القريض الغنائى بعيداً عن التزام أسلافهم بالأفكار الاجتماعية والاشتراكية الداعية إلى التمرد والثورة. وحل محل هذه النزعة إلى الأدب الاجتماعى أو الأدب الملتزم شعراء لا يشغل بالهم سوى التعبير عن مزاجهم النفسى إلى جانب التعبير عن أشواقهم وحنينهم. وإذا كانت حركة أمريكا الشابة قد عنيت بالدفاع عن الفن للفن فإن شعراء الاستبطان رأوا نظم الشعر تعبيراً عن الفكر النابض بالعاطفة أو العاطفة المتسمة بالتدبر وإمعان الفكر. وسعى هؤلاء الشعراء إلى صياغة ما يلاحظونه من ظواهر متنافرة ومتعددة فى شكل أو كيان عضوى يعكس تجربتهم الفريدة فى الحياة. ولهذا نجد أن البيان الذى أذاعوه

عام ١٩٢٠ يعلن قائلاً: «إن العالم ليس له وجود بل هو مجرد قصة من نسيج الخيال إذا كان لا يمت إلينا بصلة. إنه يصبح حقيقة فقط إذا أحسسنا به فى داخلنا ومن خلالنا».

لقد تشكك الشاعر الاستبطانى أ. جلانز ليليس فى موضوعية وجود العالم وقال إنه بفرض أن هذا العالم موجود على نحو عشوائى فليس باستطاعة البشر معرفته. فكل ما نعرفه هو ذواتنا كما أن أرواحنا هى التى تقوم بتنظيم الفوضى الضاربة أطنابها فى العالم الذى نعيش فيه. فنحن نخلق العالم أو نعيد خلقه عن طريق تصورنا له وبنفس الصورة التى نكون عليها. إن ذواتنا جميعها عوالم تضم الماضى والحاضر والمستقبل والذى نراه بداخل نفوسنا يمثل الحقيقة الوحيدة ولا حقيقة سواها».

وأيضًا عبر مينكوف عن يأسه من الوصول إلى الحقيقة الموضوعية. فضلاً عن أنه تشكك فى صحة الحقائق الملموسة مؤمنًا بأنها تخفى وراءها الحقيقة الأكبر. يقول مينكوف فى هذا الشأن: «كل ما تراه أعيننا قد خدعنا. إننا لم نعد نعتقد فى حقيقة العالم من حولنا. ونحن نؤمن فقط بحقيقة ما تستطيع إرادتنا الداخلية أن تخلقه. فهذا هو عالمنا الصحيح». ومن ثم دعا مينكوف أقرانه من الشعراء أن يتجاهلوا الفوضى الضاربة أطنابها فى ظواهر الحقائق سعيًا إلى الوصول إلى نبض الصفاء المطلق والمبهر والخلاق الذى يختلج فى داخلنا. وتقترب دعوة شعراء الاستبطان من مبادئ وتعاليم المدرسة التعبيرية التى سادت أوروبا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فأصحاب الاستبطان اليديش وجدوا أن أتباع بحور الشعر التقليدية لا يكفي. ولهذا دعوا مثلما دعا الشعر الأمريكى منذ أيام والت ويتمان حتى أيام آمى لوويل إلى أن العبرة فى أية قصيدة تقاس بما تنطوى عليه من نغم وإيقاع داخلى أى باتباع ما نسميه فى يومنا الراهن بالشعر الحر. وبالرغم من إيثار شعراء الاستبطان للشعر الحر على شعر التفعيلة المقفى ومن اعتقادهم بأن الشعر الحر أقدر من الشعر التقليدى على وصف مظاهر المدنية الحديثة فإنهم كثيراً ما مزجوا بين هذين النوعين من الشعر. ومن ثم تمكنوا من استحداث أساليب وأنغام جديدة تشهد لهم بالقدرة على الابتكار والإبداع متوخين بساطة الألفاظ بدلاً من الكلمات المزركشة المزخرفة.

آرون جلانز (١٨٨٩ - ١٩٦٦) Aeron Glanz

فى عام ١٩١٤ نظم هذا الشاعر قصائده تحت اسم أ. ليليس المستعار ولكنه وقع إنتاجه النثرى باسمه الحقيقى. ويعتبر جلانز أكبر شعراء الاستبطان سنًا. هاجر جلانز وهو فى السادسة عشر من عمره من بولندا إلى لندن سعيًا وراء العلم والتحصيل. وفى نحو العشرين من عمره غادر لندن متوجهًا إلى نيويورك وفى أمريكا التحق بجامعة كولومبيا فى الفترة من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩١٣ الأمر الذى مكنه من دراسة الأدب الأمريكى دراسة مستفيضة. وتوفر جلانز باقتدار على ترجمة بعض قصائد آلان بو من اللغة الإنجليزية على نحو مذهل فى إتقانه وقدرته على أن يجعل الترجمة تنافس النص المترجم فى طلاوته وحلاوة نغماته.

نشر جلانز عام ١٩١٨ أول ديوان له بعنوان «التيه» وهو يدل على شدة تأثره بالأدباء الأمريكيين المحدثين إلى جانب امتلاكه ناصية الشعر الأمريكى التقليدى بأشكاله المختلفة. وبوجه عام تناول ما تمور به الحياة الأمريكية من صخب وضجيج وكذلك ما أنتجته المدنية الحديثة من ناطحات سحاب وشوارع أسفلتية. ويمكن القول إنه تناول فى شعره موضوعات ذات صبغة إنسانية عامة وليست موضوعات تخص اليهود وحدهم. ولعل قصيدته الأخيرة وهى بعنوان «يهودا هاليفي» هى الوحيدة فى شعره التى تعالج موضوعًا ذا صبغة يهودية. وتروى هذه القصيدة قصة تطلع مغنٍ أو منشد يهودى ينتمى إلى القرون الوسطى إلى حلم إقامة دولة صهيون وموت هذا المنشد على بوابة أورشليم وهو يحاول تحقيق هذا الحلم.

ويتجلى استبطان جلانز على وجه الخصوص فى قصيدته الغنائية «الخريف الشاب» (١٩٢٢) اتبع جلانز منهج الشعر الحر فى معظم قصائده. وتتضمن قصيدته «فابيوس لند» (١٩٣٧) سيرة حياته فهى تبين كيف كان أسلافه وطفولته وتجاربه سببًا فى تكوين شخصيته اليهودية التى تحتفل أشد الاحتفال بماضى بنى إسرائيل وحاضرهم ومستقبلهم وبالنظر إلى هجرته اللاحقة فى نيويورك فقد صارت هذه المدينة سكنه من الناحيتين الروحية والفيزيقية. واستبد الغضب به عندما رأى ما فعله هتلر باليهود كما ساءه بالغ الإساءة ما شاهده من تأثير مدمر من جانب القوى الرجعية فى الحياة الأمريكية. وسرح به الخيال فرسم فى مخيلته صورة خيالية للمدينة الفاضلة

وللبشر كما ينبغى أن يكونوا بغض النظر عما هم عليه فى الواقع. ورأى الشاعر فى تحمل بنى جلدته للاضطهاد على مر العصور مثلاً أعلى للإنسان فهم لا يكفون عن احتقار من يظلمونهم دون أن ينجح الاضطهاد فى تغيير مشاعرهم. وعندما اقترحت السلطات السوفيتية على اليهود إقامة إقليم يهودى يتمتع بالحكم الذاتى فى منطقة بيزويدجان فى شمال سيبيريا تهلل وفرح بنزوح بعض الرواد اليهود السوفيت إليها معتبراً ذلك رمزاً لما سوف يحققه شعب إسرائيل من تجديد. وأيضا عبر جلانز فى قصيدة نظمها عام ١٩٢٧ عن ألمه الممض نتيجة إعدام الثوار الطليعيين الأمريكيين أمثال ساكو وفانزتو. ولكن انتقاده للنظام الأمريكى وخيبة أمله فيه لم تستمر طويلا فما لبث أن استعاد ثقته فى المثل العليا الأمريكية. وسجل هذا على نحو بليغ فى بعض القصائد الغنائية التى تحمل عنوان «أنا وأمريكا» (١٩٦٣). وعندما شاهد ما لحق باليهود فى أوروبا الشرقية من اضطهاد ألف عام ١٩٤٧ مجموعة من القصائد الغنائية بعنوان «يهودى فى البحر». وتقطر هذه القصائد بالألم من الاضطهاد الواقع عليهم. يقول الشاعر إنه يشعر بالخزى والعار كلما تذكر الضيم الواقع على بنى جلدته فى أوروبا الشرقية أثناء استمتاعه بالسير على ضفاف نهر الهدسون فى أمريكا. وفى بادئ الأمر طفح قلبه الغاضب الموتور بالرغبة من القصاص من الظالمين. ولكنه لا يلبث أن يهدأ ويطالب اليهود المظلومين بأن يستقبلوا الظلم الواقع عليهم بالمزيد من الصفاء والقداسة والامتناع عن ارتكاب الشرور والمعاصي. ويكتب الشاعر فى مقدمته لهذا الديوان «فى البدء كان النغم» على غرار قول الكتاب المقدس «فى البدء كان الكلمة». وبعد مرور عقد من الزمان على هذه المقولة نراه يكرر فى مقدمته لقصائده الغنائية التى تحمل عنوان «عند سفح الجبل» معارضته للتجريد فى الشعر وخلوه من أى مضمون شاعرى وأيضًا معارضته للشعر كتعبير عن عواطف هائجة تخلو تمامًا من الأفكار. ويضيف الشاعر أن الشعر لابد أن يكون ملموسا على الدوام وأن يعبر عن التجربة الحقيقية التى تمتزج فيها العاطفة بالفكر. ويذهب الشاعر إلى أن أحسن الشعراء اليهود هم الذين يتغنون بمعنى الحياة وبعظمة الله الموجود فى كل مكان وبقدرة شعب إسرائيل على الصبر والتحمل. كما يتغنون بضرورة خضوع الإنسان لكائن أسمي. يقول الشاعر مفاخراً إنه إذا كان غير اليهود يجدون متعتهم

فى التعبير المنطلق من كل قيود عن عواطفهم فإن اليهود درجوا على السيطرة على غرائزهم وتكبيل عواطفهم.

ألف جلانز بعض المسرحيات الشعرية التى لم تشتهر منها سوى مسرحية «شولومو مولكو» (١٩٢٦) وتدور أحداثها حول اليهود البرتغاليين فى أوائل القرن السادس عشر ممن استخدموا التقية لتجنب الاضطهاد فتظاهروا بالتحول إلى المسيحية ثم ما لبثوا أن قفلوا راجعين إلى اليهودية. وتصور هذه المسرحية الصراع المحتدم بين اليهودى رينبى الذى أراد أن يخلص بنى إسرائيل بحد السيف بهدف إعادتهم إلى وطنهم الأصلى فى فلسطين وبين يهودى آخر اسمه مولكو الذى أراد من بنى جلدته أن يعانوا الشتات والتشرذم كى يضحوا بأنفسهم فى سبيل خلاص شعب إسرائيل. ورغم أن مولكو تلميذ رينبى فقد استطاع التلميذ أن يتفوق على أستاذه بحيث انقلبت الأوضاع وصار الأستاذ تابعًا لتلميذه . والجدير بالذكر أن هذه المسرحية قدمت على خشبة المسرح عام ١٩٤١ وأن الشاعر أبراهام سوتز إيفر - الذى كتب مقدمة لها بمناسبة تمثيلها - تأثر بها وظل يبكى طوال فترة التمثيل.

وأيضًا ألف جلانز مسرحية أخرى بعنوان «آشر ليملن» (١٩٢٨) تدور حول حركة الإصلاح الدينى التى قادها مارتن لوثر. وأشر ليملن زعيم يهودى يدعو إلى التمرد على ظلم الأستقراط وأصحاب الأراضى ولكنه يعارض استخدام العنف ضدهم. وعندما بلغ أريون جلانز (الملقب بلبليس) الخامسة والسبعين قام بزيارة إسرائيل لأول مرة الأمر الذى حفزه لنظم المزيد من القصائد الغنائية. ورأى الشاعر فى إسرائيل دولة يهودية حرة ذات سيادة تجللها هالة من الجمال. وفى إسرائيل نظم جلانز قصيدة بعنوان «يوسف ويهودا» فضلاً عن أنه نظم مجموعة من القصائد حول إحدى المناطق فى إسرائيل على شاطئ البحر الميت. ويصف الشاعر فى هذه القصائد بنشوة منظر الكروم المزروعة حديثا التى تذكر بالكروم التى زرعها أنبياء العهد القديم: شاءول ودواود وسليمان كما تذكره بالأغانى والأهازيج. والاحتفالات التى اعتاد شباب اليهود اقامتها فى غابر الزمان . وقد نشر الشاعر قبيل وفاته أغنياته عن اسرائيل فى فصلية اسرائيلية تحمل عنوان «داى جولدين كميت» كان الشاعر أبراهام

سوتز إيفر رئيسًا لتحريرها الذى أبدى شديد الإعجاب بها وسماها إعجازا فى التجديد الشعرى عذبًا ومنعشًا ورقراقا. ورغم أن الشاعر قام بتأليفها فى أواخر أيامه فإنها تضارع فى عذوبتها وصفائها ما نظمه فى باكورة حياته.

جاكوب جلاتستين (المولود عام ١٨٩٦) Jacob Glatstein

يعتبر جاكوب جلاتستين واحداً من أبرز شعراء اليديش الغنائيين. نشر جلاستين أول ديوان له عام ١٩٢١ أى بعد سبعة أعوام من هجرته من موطنه الأصلى فى بولندا إلى الولايات المتحدة. بدأ أديبنا الكتابة فى الثالثة عشر من عمره ونشر أولى قصصه القصيرة بعد وصوله إلى مدينة نيويورك عام ١٩١٤ . وبالنظر إلى أن أمريكا لم تبخل على المهاجرين اليهود بمواصلة تعليمهم العالى فى الجامعات الأمريكية فإنه توفر على دراسة اللغة الإنجليزية إلى جانب دراسة القانون فى مدرسة الحقوق بجامعة نيويورك حيث توطدت علاقته بطالب زميل له اسمه ن.ب.مينكوف. ووقع هذا الشابان الصديقان تحت تأثير أرون جلانز الذى كان اسمه قد بدأ فى الذيوع والانتشار بسبب ديوانه الغنائى الذى نشره عام ١٩١٨ بعنوان «التيه».

وقصائد الشعراء الثلاثة (جلانز - جلاتستين - مينكوف) تدعو إلى مذهب الاستبطان وذلك بمقتضى البيان الشعرى الذى أصدروه عام ١٩٢٠ . وفى العام التالى أصدر جلاتستين ديوانًا يعبر عن إيمانه بمذهب الاستبطان. وقد سعى فى هذا الديوان إلى تجاهل الموضوعات ذات الطابع المحلى مفضلاً عليها الموضوعات العالمية. ولهذا نراه يحدثنا عن بوذا وبراهما والنيرفانا بدلاً من الحديث عن موضوعات يهودية محلية ومحدودة. وفى عام ١٩٢٦ نشر جلاتستين ديوانه الثانى بعنوان «أشعار حرة». وبوجه عام تجاهل هذا الديوان الثانى معالجة الموضوعات اليهودية غير أنه لا يخلو تمامًا من الإشارة إلى بعضها. فنحن نسمع صوت الملك شاؤول يتمنى أن يتخلى عن عرشه الذى تراكمت عليه الهموم كى يعود إلى رعى أغنام والده. وكذلك ألف جلاتستين ديوانين آخرين يدلان على نضوجه وتمكنه من قرض شعر اليديش. ولم يصبح الشاعر الصوت الغنائى المعبر عن آلام اليهود وأوجاعهم إلا بعد أن شاهد بنفسه الاضطهاد الواقع عليهم فى بولندا وشرق أوروبا. ففى عام ١٩٣٤ بعد غيبة

عقدين من الزمان زار جلاتستين لوبلين موطنه فى بولندا للمرة الثانية. وسجل الشاعر رحلته فى كتاب نثرى أصدره عام ١٩٣٨ بعنوان «عندما أبحرت باشي» ثم تناول فى فصوله الأخيرة شبح النازية المخيم على أوروبا. يقول جلاتستين فى وصف رحلته إن اليهود المسافرين معه على ظهر السفينة كانوا فى طريقهم إلى زيارة ذويهم فى أوروبا الشرقية وروسيا السوفيتية. ولكن لن يمضى ربع قرن حتى يتعرض هؤلاء الأهل إلى الإبادة النازية.

ثم أصدر جلاتستين مجلداً آخر عام ١٩٤٠ بعنوان «العودة إلى الوطن عند الشفق» يسجل الكراهية التى حملها البولنديون لليهود الذين يعيشون بين ظهرانيهم قائلاً: «إنهم يكرهوننا لأننا نمتنع عن العمل فى أيام السبوت كما أنهم يكرهوننا إذا نحن عملنا فى هذه الأيام. إنهم يمقتون اليهود الأنقياء كما يكرهون اليهود المتحررين فكريًا. وهم يكرهون الرأسماليين اليهود مثلما يكرهون الشحاذين اليهود. وهم يكرهون الرجعيين منا كما يكرهون ثوارنا. وهم يكرهون اليهود الذين ينعمون بالرزق مثلما يكرهون اليهود الذين يتضورون جوعًا ثلاث مرات فى اليوم الواحد». لقد تطلع اليهود فى بولندا إلى شاعرنا عن أنه المخلص الذى جاء إليهم لتخليصهم من الظلمة التى يعيشون فيها. ولكن شاعرنا رأى هذا الأمل يتبدد نتيجة الغزو النازى لشرق أوروبا.

وبعد اندحار النازية ركز جلادستين بالذات على الموضوعات اليهودية. ورغم أنه لم يعترض على الشعراء اليهود الذين يتغنون بإقامة مجتمع إنسانى أفضل فإنه اعتقد أنه أحرى بهؤلاء الشعراء أن يتصدوا للدفاع عن بنى جلدتهم ضد ما يلحق بهم من ظلم كمقدمة للذود عن الإنسانية جمعاء.

وفى عام ١٩٤٣ أصدر جلادستين كتابًا بعنوان «أغنيات للذكرى» تطرق فيه إلى معالجة الموضوعات اليهودية تذكر فيها أيام بنى إسرائيل الخوالى حين كانوا يتمتعون بالقداسة وعذوبة ألفاظ اليديش التى تغنت بها شفاه الجدات العجائز. فضلاً عن ذكرياته عن اليهود الذين يعيشون فى غربة وراء أسوار الجيتو: ثم أصدر عام ١٩٤٦ مجموعة شعرية بعنوان «اليهود اللامعون» التى تشرح حالة الشعب اليهود بعد تعرضه للإبادة النازية.

تغنى جلادستين ببنى جلدته من اليهود الذين قام النازيون بإبادتهم فى المجموعة الشعرية الغنائية التى نشرها عام ١٩٤٦ بعنوان «اليهود اللامعون» وفيها يرى الشاعر ملايين الأيدى الميتة وقد امتدت فى ظلام الليل تتوسل أن يعبر الشاعر عن آلام شعب إسرائيل الذى تحول فى نظره إلى جماعة من المنتحبين الماشين فى جنازة النائحين على ذويهم الذين هلكوا على يد هتلر وزبانيته. ويتصور الشاعر أن اليهود نبذوا التوراة الذى أنزله عليهم الله فوق جبل سيناء والذى كان هاديًا ونبراسًا لهم على مدى آلاف الأعوام. ويذهب الشاعر إلى أن اليهود أصبحوا عاجزين عن تقديم الشكر لله عندما قام النازيون بإحراقهم فى الأفران وغرف الغاز. ويرتدى الشاعر عباءة أحبار اليهود ويرجو من الله أن يجعله قادراً على مشاركة بنى جلدتهم ما يلاقون من أهوال. وشعر الشاعر بالذنب لنجاته مما أصاب بنى جلدته من إحن ومحن. وتمر سبعة أعوام يخفت بعدها نحيب الشاعر الذى يسعى إلى التسرية عن شعبه الممتحن وتخفيف بلواه.

وفى مجموعة شعرية أخرى بعنوان «ظل الأب» (١٩٥٣) يقول جلاتستين أن الوقت قد حان كى ينزوى الله ويكف عن الادعاء بأنه موجود فى كل مكان ويكتفى بقصر وجوده على الخيمة التى عاش فيها بنو إسرائيل بدلاً من أن يصبح إله العالم كله وخاصة إذا كان هذا العالم بمثل هذه الدرجة من السوء. ويشعر الشاعر بالأسف لأن بنى إسرائيل حذوا حذو الله فانتشروا فى كل بقاع الأرض. وهم الآن يندمون على انتشارهم الواسع وعلى أنهم تركوا خيمة الأسلاف والأجداد. ولهذا يتضرع الشاعر إلى الله قائلا: «انقذ نفسك أيها الإله وارجع معنا إلى أرضنا الصغيرة حتى تصبح من جديد إله اليهود». فلا غرو إذا رأينا الشاعر يقصر اهتمامه على ماهو يهودى ويرفض فكرة انتشار اليهود فى أرجاء العالم. وتتضح لنا دعوته إلى محلية اليهود ونبذه لفكرة عالميتهم فى القصائد التى نظمها فى أخريات حياته تحت عنوانى «بهجة حكمة البيديش» (١٩٦١) و«يهودى من لوبلين» (١٩٦٦). ويتضمن الديوان الأول قصائد فى ذكرى رفاقه من الشعراء الذين رحلوا عن الدنيا وعن النفوس المنهكة والإنسانية التى دب الإعياء فى أوصالها. ثم يعبر الشاعر عن ابتهاجه بالوطن اليهودى (إسرائيل) الذى خرج إلى الدنيا من جديد يرفع رايات الحرية فى دولة مقامة

على الشراكة فى الأخوة والأمل فى تحقيق الخلاص. هذا الكيان الجديد خرج من قلب ظلمة اضطهاد اليهود وفيه يستقر اليهودى الهائم أبداً على وجهه وقد أحاطت به البهجة وكللته القداسة. ولكن شوقه إلى إعادة بناء إسرائيل لم ينسه قط أيامه فى مسقط رأسه لوبلين فى بولندا. وليس أدل على ذلك من أنه ألف كتاب «يهودى من لوبلين» وهو فى السبعين من عمره وهو يدور حول حياته فى مسقط رأسه قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة. وحاضر الغرب لا يروق له فهو فى نظره ملطخ بالأوساخ. ويشن جلاتستين هجومًا عاتيًا على ما درج النقاد فى الغرب على تسميته بالأدب الطليعى لأن هذا الأدب لا يستحى من إزاحة الستار عما يحدث فى غرفة النوم كما أنه يهاجم ذلك الجيل الغاضب من أدباء الغرب المعروف باسم جيل «البيتنيك» بتهمة أنه جيل قذر ومقزز يدعو إلى العدمية. صحيح أنه يفهم أسباب زرايتهم بالمجتمع البورجوازى ولكنه يأبى أن يتعاطف معهم. ويشعر جلاتستين بالآسى العميق لما أصاب لغة اليديش من ذبول واضمحلال فهو يتمنى أن تستمر هذه اللغة ثرية وغنية إلى الأبد وأن تظل على الدوام لغة التعبير الأدبي. ولكنه أدرك أنه يسبح ضد تيار التطور والتاريخ.

ن.ب. مينكوف (١٨٩٣ - ١٩٥٨)

يعتبر ن.ب. مينكوف المؤسس الثالث لحركة الشعر اليديش المعروفة بالاستبطان. غير أن شهرته كمحرر وناقد أدبى ودارس ومحاضر تفوق شهرته كشاعر يديش.

ولد مينكوف فى وارسو ببولندا حيث كان استخدام اللغتين الروسية والبولندية أكثر شيوعًا من لغة اليديش. ولم تكن له بأدب اليديش أية صلة إلا بعد هجرته إلى الولايات المتحدة عام ١٩١٤ حيث تعرف على كتاب وموسيقيي وممثلى مسرح اليديش الأمر الذى دفعه إلى تأليف أغانى اليديش. تلقى مينكوف تعليمه على يدى معلمه آرون جلانز (أوليلبيس) كما تأثر بشاعر اليديش جلاتستين الذى زامله فى دراسة القانون بجامعة نيويورك. ويرجع الفضل إلى كل من جلانز وجلاتستين فى إنضمام مينكوف إلى صفوف شعراء اليديش. وقد ظل هذا المريد

وفيًا لمبادئ مدرسة الاستبطان. ويمكن القول إن شعره يتسم بالعاطفة التى تنحو منحى الفكر. ولهذا نجده لا يسمح لعواطفه بالجنوح أو الجموح فهو يكبح جماحها فى معظم الأحيان. حتى رؤاه الطافية على سطح لاوعيه تتحول إلى نوع من الفكر المكرر أو المصفى نتيجة إعمال صاحبها الفكر والمنطق الجلى الواضح. ورغم أن الوضوح هو السمة العامة التى يتميز بها شعره فإن بعضه لا يخلو من الغموض واللبس أحيانًا.

كان مينكوف دارسًا للموسيقى وعازفًا لها ويتمتع بأذن موسيقية لا تخطيء. ولهذا نجح إلى أقصى حد فى استعمال المؤثرات الصوتية فى شعره. وهذا على أية حال كان إحدى الخصائص البارزة فى شعر اليديش الاستبطانى بوجه عام. ويشبه مينكوف أستاذه جلانز فى نزعته إلى فرض النظام على خياله الجامح، ووجد فى تأليف السوناتات الشعرية أفضل وسيلة لفرض هذا النظام. وتشوب قصائد مينكوف مسحة أو غلالة من الحزن الذى لم يفقده أبداً ثقته فى الإنسانية. ويهفو شعره إلى الفرح والابتهاج غير أنه يعجز فى تحقيقها على أرض الواقع. ولهذا يمكن القول إن شعره يخلو من أية بهجة حقيقية فهو يرتاح إلى سواد الليل أكثر من ارتياحه إلى بياض النهار. ويتضح لنا هذا من العناوين التى يختارها لقصائد ديوانه الأول مثل «الخريف» و«ليالى شهر نوفمبر» و«أرض الشتاء» و«بكاء العقل الصرف» و«سهد الليالي» ثم أصدر مينكوف ديوانه الغنائى الثانى عام ١٩٤٥ تحت عنوان «عند الحافة». والملاحظ أن قصائد هذا الديوان تزخر بصور الموت والوحشة والأسى. ولا غرو فقد كتبها فى أثناء فترة حكم هتلر فى ألمانيا النازية. وتعتبر قصيدته الغنائية «عند سماع موسيقى بتهوفن من أجل إليز» من أجمل وأروع ما أبدع من شعر فالقصيدة تصدح بأعذب الموسيقى النابعة من أعماق قلب الشاعر وهى أشبه ما تكون بالسرحان فى ملكوت الأحلام. ويرى مينكوف أن الفترة الواقعة بين حياته ومماته لا تعدو أن تكون نصف الطريق فهناك نصفه الآخر وهو الفترة الواقعة بين الممات والبعث أو الولادة الجديدة. ويتراءى للشاعر أنه كان موجوداً فى الأرض قبل ولادته ولكنه يعجز عن تحديد متى وكيف. وهو يرى فى ذلك إمكانية بلا حدود لتجديد الحياة.

ويعجز مينكوف عن فهم سر العذاب الذى ابتلى به شعب إسرائيل . وهو يرغب أن يحتفظ بإيمانه بالله. ولكنه يجد من العسير عليه أن يفعل هذا بسبب ما يشاهده من حروب وكوارث. ورغم عجزه أحيانًا عن الإيمان بالله فإن الله فى شعره يظهر كخالق للحياة ومجدد لها. ويتعب الشاعر من تمرده على الله وغضبه منه فيستسلم له ويسلم إليه قلبه رغم يقينه من أن حكمة الله فى الكون سوف تظل خافية عليه.

وإذا كان شعر مينكوف يتسم بالذاتية فإن نقده وكتاباته ودراساته النثرية تتسم بالموضوعية. وفى هذه المؤلفات النثرية «إلياهو بوتشر» (١٩٥٠) و«جليكى هافي» (١٩٥٢) و«شعراء اليديش الكلاسيكيين» (١٩٣٧) و«ستة نقاد يديش» (١٩٥٤). وتعتبر دراسته «رواد شعر اليديش فى أمريكا» (١٩٥٠) التى تقع فى ثلاثة أجزاء من أهم كتاباته.

ورغم أن مينكوف كشاعر كان يدعو إلى الشعر الخالص ويرفض استخدامه فى أى نوع من أنواع الدعاية فإنه كمؤرخ أدبى رحب باستخدام رواد الشعر الغنائى اليديش لموهبتهم الشعرية فى الدفاع عن قضايا الاشتراكية والثورة. وأيضًا آمن مينكوف بأن شعر اليديش موجه بالضرورة إلى الرجل العادى وهو ما دعاه إلى رفض مدرسة الفن للفن ، ورأى مينكوف أن الفضل يرجع إلى أدب اليديش فى أن يستعيد المهاجرون اليهود المطحونون فى الأعمال الحقيرة ثقتهم فى إمكانية تحسين أحوالهم وتحقيق مستقبل أفضل. ويشيد مينكوف بثلاثة شعراء بيديش رواد هم مورتيز فينشفسكى ودافيد إليدر ستارت وجوزيف بوشوفر لأنهم أحيوا الأمل فى صدور أبناء الطبقة العاملة اليهودية المطحونة رغم أن هؤلاء لا ينتمون إلى طبقة البروليتاريا. فضلاً عن أنه تمكن من أن يرد الاعتبار إلى نحو عشرين شاعراً آخرين من شعراء اليديش المغمورين.

والرأى عند مينكوف أن الشاعر برنارد لويس الذى انضم عام ١٩٢٠ إلى صفوف مدرسة الاستبطان واحد من غلاة هذه المدرسة المتحمسين. فرغم أنه بدأ حياته بكتابة الشعر الإنجليزى إلا أنه ما لبث أن انصرف إلى كتابة شعر اليديش. ويرى

مينكوف أن برنارد لويس أقرب ما يكون على الصعيد النفسى من الشاعر الإنجليزى اللورد بيرون. ويصفه مينكوف بأنه من النوع المتشائم دون استسلام يتدفق بالديناميكية فى كل ما يكره ويحتقر وبالنزعة المسرحية فى سلوكه وحديثه.

برنارد لويس Bernard Lewis

قبل أن يهاجر إلى أمريكا عام ١٩٠٦ اشترك برنارد لويس وهو فى السابعة عشرة من عمره فى أعمال المنظمات التى تقاوم اضطهاد الروس لليهود فى مدينة أوديسا. وانضم لويس إلى خلية ثورية خططت ونفذت اغتيال أحد موظفى القيصر. وحتى فراره إلى أمريكا استمر يعيش عيشة المغامرة والتجوال يخاطب المتشردين والمطحونين والمعوزين ويبشرهم بالأمل فى مستقبل أفضل ويبنى لهم قصوراً فى الهواء فيصفقون له ويهللون لما يقدمه إليهم من أحلام.

كان لويس يركز كل تفكيره فى نفسه فلا غرو إذا رأيناه يقرض شعراً مليئًا بتمجيد الذات. ولم يدم انضمامه إلى جماعة شعراء الاستبطان طويلاً.. فسرعان ما نظم قصيدة مليئة بكراهية البشر متأثراً فى ذلك بأفكار الفيلسوف نيتشه . وعاب على زملائه من شعراء الاستبطان ذلتهم ومسكنتهم وخضوعهم مبينا لهم أن الدم الأسيوى الذى يجرى فى عروقه لا يطيق مثل هذه الذلة والخضوع. ولهذا قرر الانفصال عنهم .

عاش لويس فى عالم شعرى يمور بالخيال الجامح والمضطرب الذى اقترب من حافة اللوثة والجنون. وظل غارقًا فى جنونه حتى ضاق ذرعًا به وبنفسه كما ضاق ذرعًا بتجواله وهيامه على وجهه. وعندما أصابه الملل من لوثته بدأت تظهر فى شعره الغنائى نغمات وضحكات ساخرة. وأصيب بداء الرئة فمات فى سن باكرة فى السادسة والثلاثين من عمره. وبعد وفاته تم جمع قصائده فى مجلد بعنوان «فلامنالين» (١٩٢٧) قدم له الشاعر ليلبيس.

وأيضا ظهر فى سماء شعر الاستبطان شاعر آخر يدعى روبين لودفيج ولكن سطوعه كان قصيراً كالشهاب. اهتم لودفيج فى شعره بدنو الموت. وكاد الردى أن يفتك به نتيجة إصابته بمرض السل لولا إقامته فى إحدى المناطق الجافة فى

نيومكسيكو وأريزونا وكاليفورنيا. ولحق به الردى وهو فى الواحد والثلاثين من عمره. وترك لودفيج قصائد من شعر اليديش تدور حول الغرب الأمريكى والصمت الذى يكسو قمم الجبال المغطاة بالثلوج والوحشة التى تسرى فى الصحارى الشاسعة. كما أن شعره الغنائى يدور حول الظلمة التى تنتظر ابتلاعه فى أعماقها. وبالإضافة إلى ذلك ألف لودفيج ثلاث قصص قصيرة تدور حول اشتياق المرضى إلى دفء الشمس وإحساسهم بدنو الموت منهم.

كان موقف لودفيج من أمريكا التى هاجر إليها فى الخامسة عشر من عمره مزدوجًا فهو يعتبرها وطنه أحيانًا ويعتبر نفسه غريبًا عنها أحيانًا أخرى. وأظهر عطفًا واضحًا على الهنود الحمر الذين اقتلعهم المهاجرون إلى أمريكا من جذورهم. كما امتد عطفه إلى الزنوج الذين أرغمهم الرجل الأبيض على النزوح من موطنهم الأصلى فى أفريقيا كى يقوموا على خدمته. باختصار تعاطف لودفيج مع الأقليات المهاجرة العاثرة الحظ مثل الصينيين المهاجرين إلى أمريكا. ورغم تعطش هذا الشاعر إلى البهجة وإلى نشوة الحب والمغامرة فقد خيم الحزن على شعره وكست القتامة قصائده التى تم جمعها بعد وفاته عام ١٩٢٧ لتنشر بعنوان «قصائد مجموعة».

ولعل أكثر شعراء الاستبطان ميلاً إلى الهدوء هو إليزر بلوم ELiezer Blum الذى كان يكتب تحت اسم ب. ألكويت B. ALquit المستعار .تيتم ألكويت فى سن باكرة وترك موطنه الأصلى بولندا فى الثانية عشرة من عمره ليتوجه إلى وارسو وفيينا. ثم وصل إلى نيويورك فى السابعة عشرة من عمره حيث التحق بالخدمة فى حانوت لبيع الحلوى. وبعد وفاته نشرت قصائده الغنائية التى نظمها فى غضون أربعين عامًا فى ديوان صدر عام ١٩٦٤ بعنوان «أغنيات». فضلاً عن مجموعة من القصص القصيرة بعنوان «فى الطريق إلى ميدان بيرتيز» عام ١٩٥٨ . وتتميز أشعاره الغنائية بالرقة والوضوح والصوت الخفيض. وهى تعبر عن غلالة الحزن الذى يحلق فوق الموت والعدم كما تتميز استعاراته بالجرأة والعذوبة والموسيقى الداخلية. ويتمتع ألكويت بالقدرة على تجسيد المجردات كما أن شعره يعالج طفولته فى مسقط رأسه فى بولندا وينطوى على مؤشرات تنذر بالموت. وهو يتغنى بصمت الليل المطبق وأحزان العالم والبحار الموحشة وذبول الأحلام وانقضاء الرغبة وبرودة القبر وخريف

الحياة والمطحونين الذين يسقطون من الإرهاق والإعياء. وشخصياته القصصية تجد أن الحياة تخلو من المعنى وتدرك أنها شيء عابر وأن الله أصابه التعب من جراء عقم مجهوداته فآثر الخلود إلى الراحة بين السحاب.

وهناك أيضا الأديب يعقوب ستودولسكى Jacob Stodolsky الذى كان ناشرا وبائعا للكتب وشاعراً من شعراء الاستبطان. ولم يخلف ستودولسكى وراءه سوى القليل من القصائد الغنائية التى لها شيء من القيمة. وقد انتهج فى ديوانه «الوهم والباطل» (١٩٣٣) أسلوب الشعر الحر. ويروى لنا هذا الشاعر كيف أنه سار وراء الأضواء الخادعة ولكنه عاد فى النهاية عن طريق الصوفية الهاسيدية إلى إله الآباء والأجداد قانعًا بدوره البسيط والصغير فى أن يكون حارسا على تقاليد شعب إسرائيل ويتمثل الوهم الباطل الذى وقع الشاعر فى شباكه فى إيمانه بالفلسفة العدمية عندما كان يعيش فى وارسو وباريس وذلك قبل وصوله إلى نيويورك عام ١٩١٢ . ويعبر الشاعر عن رغبته فى التكفير عن كفره وتجديفه السابقين عن طريق تكريس نفسه وحياته للغة اليديش. وهو يجد متعة خاصة وتجربة فريدة فى وصف الأماكن والشوارع الأمريكية التى يسكنها اليهود مثل مانهاتن وبروكلين.

وينحدر آرون كيرتز Aaron kurtz من عائلة تدين بالصوفية الهاسيدية. وبدأ يكدح لكسب رزقه وهو فى الثالثة عشرة من عمره. هاجر آرون إلى الولايات المتحدة عام ١٩١١ حيث اشتغل فى المصانع واتجه إلى قرض الشعر. وفى بدء حياته اجتذبته حركة الشعر الاستبطانى وساهم بكتاباته فى صحفها ومجلاتها. ولكنه ما لبث أن انصرف عنها لتتوطد صلته بكتاب اليديش البروليتاريين الساعين إلى تغيير الخريطة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الأمريكي. وضايقه فى شعراء الاستبطان عدم اهتمامهم بالصراع المحتدم بين الرأسمالية وطبقة البروليتاريا فى حين رأى آرون كيرتز أن وظيفة الشاعر تقتضى منه أن يلعب دورا طبيعيا فى هذا الصراع الطبقى. وفى قصيدته «الإعلان» (١٩٢٧) استحدث الشاعر أسلوبا أصيلاً وجديدا تميز بديناميكية الإيقاع وتصوير ما يمور به المجتمع الرأسمالى الصناعى من اضطراب.

وتغنى هذا الشاعر فى «المدينة الذهبية» (١٩٣٥) بالاضطرابات والاحتجاجات الجماهيرية والأكواخ التى يعيش فيها الزنوج فى حى هارلم بمدينة نيويورك وبالمطحونين والمتمردين الغاضبين وفى قصيدته «بارازن» (١٩٣٨) صور نفسه كواحد من الجمهوريين الأسبان يناضل - فى يأس عظيم - الفاشية وبكل ما أوتى من قوة. وفى قصيدته «مارك شاجال» (١٩٤٧) يمتدح هذا الرسام الجامع للخيال والمناصر العظيم للحرية . ولا غرو فقد كان يشبه شاجال فى أمله إقامة العدالة الاجتماعية ومجتمع من الحب الخالص.

واعتبر شولوم شوارتز Shloime Schwartz نفسه واحداً من أتباع مدرسة الاستبطان. ويتجلى هذا فى المقدمة التى صدر بها ديوانه الأول «يوم الاثنين الأزرق» الصادر عام ١٩٣٨ . وقد ظهرت معظم قصائد هذا الديوان فى المجلة التى تولى شعراء الاستبطان اليديش إصدارها. غير أن الشاعر فى ديوانه الثانى بعنوان «أمريكا» (١٩٤٠) يقطع إلى حد ما الصلة التى تربطه بمدرسة الاستبطان وعندما ساءت أحوال اليهود قرب بداية الحرب العالمية الثانية شعر الشاعر أن الواجب يقتضى منه أن يشارك بنى جلدته اليهود آلامهم التى سبق له أن تجاهلها. ومن ثم بدأ شعره يعالج حارات اليهود المنبوذين والمهاجرين اليهود المطحونين والمطرودين. فضلاً عن أنه عالج موضوعات العهد القديم وأساطير الأجداد فى شعب إسرائيل.

وأيضًا شارك ميشيل ليخت بقلمه فى مجلة شعراء الاستبطان اليديش. وترجع باكورة قصائد ليخت الغنائية إلى عام ١٩١٧ . وإذا كان ليخت قد بدأ حياته الشعرية بتسجيل انطباعاته فإنه ما لبث تحت تأثير شعراء الاستطيان أن جعل عواطفه وانطباعاته تمر فى مصفاة الفكر مضيفًا إليها عنصر السخرية. واستطاع ليخت أن يستوعب ويتمثل شعراء الطليعة فى كل من فرنسا وأمريكا. فضلاً عن إعجابه العظيم بالشاعر الإنجليزى المعروف إزرا باوند. وهو يرفض الفكرة القائلة بأن الفن انعكاس للحياة وبأن يقتصر عمل الفنان اليهودى على التعبير عن الحقائق اليهودية وحدها. وهو يفضل عليها الموضوعات ذات الطابع العالمى التى كثيراً ما تتجاوز التجارب المباشرة. وهو يستغرق فى المجردات ويصيغ الأفكار الخالصة فى

قالب شعري. فضلاً عن استغراقه فى الأحلام دون أن يعطل هذا من قدرته على التفكير العقلاني. وهو يسعى إلى التلطيف من حدة مشاعره المهتاجة عن طريق إخضاعها لأحكام المنطق البارد.

وبعد أن نشر ثلاثة دواوين من القصائد الغنائية خلال الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٣٢ ابتلى ليخت بالمرض الذى لازمه عشرين عامًا. ولم تظهر المجموعة الكاملة لأشعاره إلا بعد وفاته فى عام ١٩٥٣ . وفى أواخر حياته ازدادت رموزه الشعرية غموضًا فانفض من حوله القراء.

ويعتبر كالمان هيسلر Kalman Heisler الذى ذاق مرارة الحرب العالمية فى براغ، واحداً من أتباع مدرسة الاستبطان. وصل كالمان إلى نيويورك فى عام ١٩٢١ حين كانت هذه المدرسة فى أوج نشاطها. واستطاع كالمان أن يجتذب انتباه الشاعر جاكوب جلاتستين إليه. وفى عام ١٩٢٧ نشر أول ديوان غنائى من نظمه تحت عنوان «الناس» متضمنًا مقدمة بقلم جلاتسنين.

صور كالمان فى شبابه أجداده وأهل بلده بمودة شديدة وحنين بالغ يمتزجان بالدعابة . وترك لنا فى أدبه صورة لجده الأكبر الذى كان يعمل ترزياً قبل استخدام ماكينات الخياطة راضيًا عن نفسه وعمله وعن الخالق والإنسانية جمعاء وقد أحاط به أحفاده من كل جانب. وكذلك تفوق جده فى عمله كترزي. ولكن جده لم يبد ما أبداه جده الأكبر من ازدراء بآلات الحياكة ومنتجات التصنيع. واشتهر جده باتباع أحدث موضات الملابس فضلاً عن تقواه واتباعه التقاليد اليهودية المتوارثة. وأيضًا كان أبوا كالمان راضيين عن حياتهما المتواضعة قانعين بحالهما الذى اعتبراه مشيئة الله سبحانه وتعالى.

واستمر كالمان فى تصوير أهل بلدته من اليهود الذين عرفهم فى طفولته يتميز كل واحد منهم عن الآخر بخصائص فريدة. وقع كالمان تحت تأثير الأديب موشى نادير فاستمد منه استخدام الإيماءات الساخرة فى وصف هؤلاء الناس. ولكنه تخلى عن هذه اللهجة الساخرة فيما بعد عندما نظم اسكتشاته الغنائية بعنوان «يا للأسف يا كيمارنر» (١٩٥٣) وكيمارنر مستعمرة يهودية اندثرت ولم يبق لها وجود إلا فى

ذهن الشاعر فقد مات رجالها رميًا بالرصاص عام ١٩٤١ وتم إشعال النار فى نسائها وأطفالها فى عام ١٩٤٢ .

ويعتبر أليف كاتز Alef Katz شاعراً متنوع المواهب والنشاط. بدأ حياته الأدبية بتشجيع من الشاعر جلاتستين ونشر إنتاجه الباكر فى المجلة التى كانت مدرسة الاستبطان تصدرها. ويتضمن أول ديوان غنائى له وهو بعنوان «حكاية البحر» (١٩٢٥) تجديداً فى الأساليب الشعرية. ويفتتح الشاعر هذا الديوان بقصيدة بعنوان «ورقة شجر» تروى قصة انفصالها عن فرع شجرتها حتى سقوطها على الأرض. وأيضًا تأثر كاتز بأسلوب مدرسة الأخيلة والصور الأمريكية فى وصف بعض المبانى والشوارع فى مدينة نيويورك. وهو يعود إلى معالجة نفس الموضوع فى ديوانه الثانى الذى أصدره عام ١٩٢٩ بعنوان «حرث الزمن» حيث يصف المنبوذين فى نيويورك ممن فقدوا احترام المجتمع إلى الأبد والذين لا يخفف من وطأة عذابهم وهوان شأنهم سوى تمنى الموت.

ولكن كاتز ألف ديوانًا صغيراً بعنوان «الطبق السماوي» (١٩٣٤) يدل على أنه قطع صلاته السابقة بمدرسة الاستبطان اليديش ومدرسة الصور والأخيلة الأمريكية من أجل الالتحام بشعراء اليديش الذين يكرسون شعرهم من أجل الطبقة البروليتارية. ولهذا نراه يصور العمال الذين يتضورون جوعًا ويتمردون على الطبقة الرأسمالية التى تستغلهم.

ثم طرأ عليه تغير آخر عندما نشر قصائده الغنائية التى تحمل عنوان «فى يوم من الأيام كانت هناك حكاية» (١٩٤٤) تأثر فيها بمأساة اليهود فى أوروبا مبتعداً عن هموم الطبقة العاملة ومشاكلها. فقد خاب أمله فى الوعى الطبقى والحلول الجاهزة التى يقدمها للمطحونين والفقراء. وركز على فجيعة اليهود فى أوروبا ولم يشعر بالصحة والعافية النفسية إلا بعد أن ربط مصيره الشخصى بمصير شعب إسرائيل وهو يقول فى هذا الشأن: «أبى موجود فى وأنا موجود فى أبنائي. فكلنا واحد فى حقيقة واحدة معقدة».

وينصرف كاتز فى أخريات حياته إلى قرض الشعر والمسرحيات الصغيرة والقصص التى تخاطب الأطفال ويجد فى ذلك سعادة بالغة يزيد منها أنه سمع أطفال المدارس يتغنون بشعره ويمثلون مسرحياته الصغيرة المكتوبة بلغة اليديش. وتحمل إحدى هذه المسرحيات عنوان «صباح الخير يا أليف» (١٩٤٦). وهى تتناول حروف الأبجدية العبرية كشخصيات مسرحية هذه الحروف خالدة ولا سبيل إلى تدميرها. فعندما تقوم دور العلم النازية بإلقائها فى النار تطفو على السطح وتسبح فى الهواء. ويسعى حرفا الألف والباء إلى جمع بقية حروف الأبجدية العبرية المتناثرة بسبب الحريق.

وعندما يعثران عليها يثور سؤال عمن سيستخدمها بعد الحريق. وتحكى لنا المسرحية أن طفلاً يهوديًا واحداً نجا بجلده من الإبادة النازية فجاء إليا النبى من السماء ليعلمه الأبجدية العبرية. وهكذا بعثت هذه الأبجدية من جديد واستعاد شعب إسرائيل الأمل فى المستقبل.

ونشر كاتز مسرحيات وأشعاراً يمكن للناشئة إنشادها والتغنى بها تحمل العنوانين التاليين: «الأحلام تكون معك» (١٩٥٨) و«ياله من زفاف» (١٩٦٤) وتروى لنا قصيدته الرمزية «صورة قديمة» فى آخر ديوان له: قصة لوحة محفوظة فى متحف تظل صامتة لعدة سنوات ثم تدب الحياة فيها فتتكلم وتذكر اسم الفنان الذى رسمها والوقت الذى استغرقه فى رسمها والعالم الذى طرأ عليه التغير بعد رسمها. وتتطلع الصورة من بروازها لترى أن العالم قد تغير وان الزمن غير الزمن. ورغم هذا فإن اللوحة هى الوحيدة التى بقيت على حالها رغم تغير العالم وزوال الناس.

وبالرغم من أن كاتز صور المصير الإنسانى على نحو فاجع حزين إلا أن تصويره لا يخلو من الفكاهة والضحكات. ويتميز أدبه اللاحق بعمق الفكرة والمغزى ويعبر الشاعر عن أحزانه وبكائياته بطريقة موسيقية عذبة وفكاهة طلية. فضلاً عن أنه يدرك عجز الكلمات عن التعبير عما يتجاوز الظاهر الملموس. وهذا ما دعاه إلى أن يسمى إحدى قصائده: «الذى لا يمكن التعبير عنه بالكلمات». ولهذا فهو يرى أن الرمز أقدر على مثل هذا التعبير.

إن حركة الشعر اليديديش الاستبطانى التى تزعمها نفر من الشبان حركة أدبية أمريكية فى الأساس ازدهرت فى عقد العشرينيات فى القرن العشرين وأثارت باهتمامها بالتجريب اهتمام المشتغلين بالأدب. وظلت هذه الحركة مزدهرة حتى انحسرت فى عقد الثلاثينيات من القرن العشرين. وعاد بعض أتباعها إلى الأساليب الأدبية التقليدية فى حين انصرف بعضها الآخر إلى الاهتمام بالشعر البروليتارى الذى ذاع فى عدد من المدن الروسية مثل كييف وموسكو. ولكن فريقًا ثالثًا من شعراء اليديديش آثر أن يسلك سبيل التفرد وأن يسير بمفرده فى طريق الوحدة والوحشة. غير أن هذه الفرق جميعًا استفادت بشكل أو آخر من الحماس الذى أظهرته نحو حركة الاستبطان فى يوم من الأيام.

الفصل الثالث

الأدب الأمريكى فى القرن التاسع عشر

تمهيد

هل تنطوي الصورة النمطية الكريهة لليهود علي معاداة السامية؟

عندما تأسست الولايات المتحدة فى عهد الرئيس جورج واشنطن عبر بعض اليهود عن فرحتهم العظيمة بتأسيسها فاجتمع عدد منهم فى نيويورك ليرسلوا إليه فى ١٧ أغسطس ١٧٩٠ خطاب تأييد وولاء لهذه الجمهورية الوليدة جاء فيه ما يلي: «بالرغم من حرماننا حتى وقتنا الراهن من الحقوق النفيسة التى يتمتع بها المواطنون الأحرار فإننا الآن (وقد غمرنا شعور عميق بالامتنان لله العلى القادر على كل شيء) نشهد (نشأة حكومة أقامها الشعب بجلاله وعظمته) - حكومة ... تعارض التعصب والاضطهاد- وتمنح الجميع حرية الضمير والعقيدة وتوفر الحصانة لمواطنيها، وتعتبر كل أفرادها مهما اختلفت بلادهم وألسنتهم أو لغاتهم أصحاب حقوق متساوية فى آلة الحكومة العظيمة. ورغم تهليل اليهود بتأسيس الولايات المتحدة فإنه من الخطر أن نعتقد أن معاداة السامية اختفت بمجرد إعلان قانون الحقوق الإنسانية» . ومع ذلك فإن الأدب الأمريكى ظل خاليًا أو يكاد أن يكون خاليًا حتى القرن التاسع عشر وحتى بعد أن عرفت بعض الأعمال الأدبية العداء ضد السامية بسبب تقليد الأدب الإنجليزى والحذو حذوه. وهذا ما يعرف بالصورة النمطية لليهود. يقول المؤرخ الأمريكى أوسكار هاندلين إن الأمريكيين أخذوا عن الأدب الإنجليزى الصورة الواضحة لليهود فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر (نحو عام ١٨٩٠) نتيجة زيادة عدد اليهود النازحين إلى الأراضى الأمريكية. والرأى عند هاندلين أن ذلك العقد شاهد لأول مرة صورة اليهودى كمراب وتاجر ملابس قديمة وصاحب محل رهونات. فضلاً عن أن هذا المؤرخ عبر ارتياعه لتفجر المشاعر المعادية للسامية فى مطلع القرن العشرين على نحو يماثل مع ما حدث فى القارة الأوروبية. بل إن هاندلين ذهب إلى أن السخرية من اليهود فى مسرح الفودفيل الأمريكى وفى المجلات

الكوميدية والرسوم الكاريكاتورية المضحكة لا تعنى الحض على كراهية السامية أو إلحاق الإهانة باليهود بل هى مواضعات أدبية متوارثة. غير أن المجلات والصحف اليهودية الصادرة آنذاك باللغة الإنجليزية ترى رأيًا مخالفًا. ففى عقد الخمسينيات من القرن التاسع عشر (١٨٥٠) ذهب الحبر اليهودى إيزاك م. وايز إلى أن أحد الأسباب التى حدت به إلى نشر مجلته اليهودية «الإسرائيلي» هو الوقوف فى وجه السيل الراهن من ا لشتائم الموجهة ضد اليهود والمتمثلة فى تصويرهم بطريقة نمطية كريهة ومنفرة. يقولإايزاك م. وايز فى هذا الشأن «درجت كل الروايات الغثة على رسم صورة اليهودى كوغد ونشرت كل الصحف بعض النكات القديمة المعادة عن اليهود تملأ بها صفحاتها كما أن كل عضو فى مجلس اللوردات صنراخ فى عمله يسارع بأن يستخدم فى خطبه أمام الجمهور عدداً من هذه النكات المتكررة دون أن يثير هذا كلمة احتجاج واحدة من أى جانب.»

إن الصورة النمطية المنفرة لليهودى التى انتقلت من الأدب الأوروبى إلى الأدب الأمريكى ترجع إلى الاعتقاد السائد فى أوروبا فى العصر الوسيط بأن اليهود هم قتلة المسيح كما أن اشتغال اليهود بالربا يرجع إلى حرمانهم من الاشتغال بأية وظائف اجتماعية أخرى لها قيمتها واحترامها. وإحساس المجتمعات الغربية بغربتها عن اليهود وغربة اليهود عنها يرجع إلى عيشتهم المنعزلة فى الجيتو وحارات اليهود. وإذا كان المجتمع المسيحى يرى أن اليهود طغمة من الأشرار بجمعهم الشره فى جمع المال ويؤثرون الانعزال عن المجتمعات التى يعيشون وسطها فإن اللوم فى ذلك يقع عليهم وحدهم ومن ثم يستحيل على العالم المسيحى أن يعتبرهم أندادا له . كانت تلك هى النظرة التقليدية التى حملها العالم المسيحى لليهود حتى وقت قريب للغاية عندما رسم الأديب الألمانى المعروف لسنج صورة لليهودى أكثر إنسانية وأكثر تعاطفًا فى مسرحية «ناثان الحكيم» (١٧٧٩) وأيضًا عندما نشر الكاتب المسرحى البريطانى كمبرلاند مسرحية «اليهودي» التى ترسم صورة وردية لليهود عام ١٧٩٤. وكذلك ترسم الصورة النمطية التقليدية اليهودى كشخص هائم على وجهه ذى شعر أحمر مثل شعر الشيطان وملامح جسمانية منفرة مثل الجلد والشعر المغطى بالدهون واللحية الكثيفة والعين الرديئة المليئة بشهوة الانتقام.

ولكن صورة اليهود النمطية فى الحقبة الأخيرة تغيرت بعد تحريرهم من القيود لترسم اليهودى كإنسان يتمتع بالموهبة الموسيقية. وقرب نهاية القرن التاسع عشر صارت بعض الأنماط اليهودية الجديدة فى الأدب الأوروبى نماذج ثورية مفرطة فى ثوريتها أو أناسًا يستغلون ثراءهم الواسع العريض فى التحكم فى القوى السياسية وتوجيهها. ويذكر الباحث الأدبى فى اليهوديات مونتاجيو فرانك مودر فى تحليله لصورة اليهودى فى الأدب الإنجليزى أن هذه الصورة تتغير بتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والفكرية السائدة. ونفس هذا المنحى يجد تأييداً من باحث آخر فى اليهوديات هو إدجار روزنبرج الذى يقول نفس الشيء فى كتابه «من شيلوك إلى سقنجالي: الأنماط اليهودية فى الرواية الإنجليزية» ويرى روزنبرج أن وصف شيلوك بالجشع للمال أو وصف شيئا الذى صوره كمبرلاند بالإيثار والتضحية والبعد عن هذا الجشع هما وجهان لنفس العملة من حيث أن المحور الذى تدور حوله تصرفات كل منهما هو المال. والسؤال الذى يحير روزنبرج هو مالذى يجعل الصورة النمطية المنفرة لليهود تستمر وتلح فى الظهور رغم ما أصابه اليهود مؤخراً من تحرر ورغم التحسن الواضح فى أحوالهم وظروف معيشتهم فى المجتمعات الغربية؟!

وبالرغم من أن الشخصية اليهودية فى الأدب هى بطبيعتها شخصية استاتيكية ثابتة فإن بعض التغيرات طرأت عليها وفقًا لتغير ظروف اليهود الاجتماعية. فعلى سبيل المثال كانت النزعة المسيحية لدى الأمريكيين فى القرن التاسع عشر سببًا فى إنتاج مئات الروايات التى عالجت وضع اليهود إبان الفترة الأولى من نشأة الكنيسة المسيحية. وبلغ هذا الإنتاج الروائى الأمريكى ذروته بتأليف رواية بن هور عام ١٨٨٠ وتذهب هذه الروايات الأمريكية الدينية إلى تصوير اليهود الأوائل الذين تحولوا فى وقت باكر إلى الدين المسيحى على أنهم أنماط بشرية تتميز بالقوة والنبل وتحيط بها القداسة فى حين اعتبر هذا الإنتاج الأدبى اليهود المناوئين للمسيحية طغمة من الأشرار والملاعين. وأيضًا درج هذا الإنتاج الروائى اليهودى على رسم صورة جميلة وجذابة للنساء اليهوديات اللاتى نبذن دينهن اليهودى لاعتناق الدين المسيحي. وبطبيعة الحال أعلت هذه الروايات من شأن المسيحية على حساب الدين اليهودي.

وفى الفترة من ١٨٠١ حتى ١٨٠٥ (وقت بزوغ أمريكا كقوة قومية) قام الرئيس الأمريكى جيفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦) بشن حملة بحرية انتصر فيها على القرصنة التى كانت مراكش وتونس والجزائر وليبيا تمارسها ضد سفن الغرب المسيحى والاستيلاء على هذه السفن وأسر من فيها وبيعهم فى سوق النخاسة. وقد لعب أثرياء اليهود فى شمال أفريقيا دوراً فى ترتيب المفاوضات بين الحومة الأمريكية والقراصنة الأفارقة. ولهذا ظهر اليهود فى عدد من المسرحيات الأمريكية المؤلفة عن هذه الفترة.

والجدير بالذكر ندرة اليهود الذين ظهروا فى بواكير الأدب الأمريكى بسبب ضآلة تعدادهم فهم لم يزيدوا عن عشر العدد الكلى للسكان الأمر الذى جعل الأمريكى لا يقابل أيًا منهم فى حياته اليومية بل كان فقط يلتقى بهم عندما يسافر إلى بلاد خارجية . وبازدياد عدد اليهود فى أمريكا بدأوا ينافسون الأمريكيين فى معاشهم وأرزاقهم الأمر الذى حدا بالكاتب الأمريكى جون بوشاب جونز (١٨١٠ - ١٨٦٦) إلى السخرية منهم ورسم صورة كاريكاتورية لهم. وبمرور الزمن بدأت صورة اليهودى تظهر أكثر فأكثر فى الأدب الأمريكى كموسيقار أو مدير مسرح أو طبيب.

وفى نهاية القرن التاسع عشر ومع زيادة الهجرة من الجنسيات المختلفة إلى الولايات المتحدة بدأ مؤلفو مسرح الفودفيل يرسمون صورة كاريكاتورية لليهود وكذلك الزنوج وغيرم من الجنسيات الوافدة. فضلاً عن أن كتاب الرواية أخذوا يرسمون لهم صورة مماثلة. والذى لا شك فيه أن صورة اليهودى فى الأدب الأمريكى رغم أنماطها التقليدية الثابتة تغيرت بتغيير ظروف اليهود الاجتماعية والاقتصادية. ورغم أن اليهود كانوا من الناحية الشكلية يتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتع بها الأمريكيون فإن ذلك لم يحل دون استمرار التحيز ضدهم فى مجال الإنتاج الأدبي. والجدير بالذكر أن المؤلفين الأمريكيين كانوا يجهلون شخصية اليهودى التى يسخرون منها وخاصة لأنهم لم يخالطوا اليهود فى حياتهم اليومية. كما أن احتكاك الأمريكيين باليهود فى مجال التجارة لم يكن يكفى لمعرفتهم معرفة وثيقة. وبطبيعة الحال ساعد جهل المؤلفين الأمريكيين باليهود على استمرار تصويرهم بشكل نمطى على نحو ما درجت الحضارة الغربية المسيحية على فعله باستثناء هيرمان ميلفيل

الذى عرف اليهود معرفة جيدة وصورهم عن كثب فى قصيدته الطويلة «كلاريل». ولا غرو فقد زار ميلفيل الشرق الأدنى وتوفر على إجراء دراسة مستفيضة لتاريخ اليهود فى فلسطين.

ويطرح الدارسون السؤال التالي: هل يتضمن لجوء الكاتب إلى وصف اليهود بطريقة نمطية قدراً من معاداة السامية؟ أم أنه مجرد تقليد أدبى يلجأ الكتاب إليه من باب الاستسهال دون أن يعنى ذلك بالضرورة أنه كراهية ضد اليهود.. وهذا سؤال لا يمكن إيجاد إجابة قاطعة عنه. غير أنه من المؤكد أن استخدام الكليشهات. النمطية فى وصف اليهود بالسلب أو الإيجاب ينزع عن اليهودى فرديته واختلافه عن غيره من بنى جلدته. ومن ثم فإن تصويرهم على هذا النحو يفتقر إلى الدقة والواقعية.

وبحلول النصف الثانى من القرن التاسع عشر استطاع اليهود أن يشقوا طريقهم فى المجتمع الأمريكى فصار عدد منهم يعملون فى المصارف والبنوك وفى الصناعة والتجارة وإنتاج الملابس وغيرها من المهن. ومع ذلك فقد استمر الأدب الأمريكى فى استخدام الكليشهات والأنماط التقليدية فى وصفهم الأمر الذى انتقص من دقة تصويرهم. حتى هيرمان ميلفيل نفسه الذى نجح فى تصوير اليهود كبشر تورط أحيانًا فى إصدار أحكام معادية لهم.

١ ـ الشعر والرواية الشعبية في أمريكا حتى عام ١٨٣٠

من المعروف أن أمريكا بلاد حديثة النشأة كانت فيما مضى تابعة للإمبراطورية البريطانية ثم استقلت عنها بعد أن خاضت بنجاح وتوفيق حرب الاستقلال فى أواخر القرن الثامن عشر وذلك فى الفترة بين عام ١٧٧٥ و١٧٨٣ , ثم اندلعت الحرب الأهلية بين الشمال الأمريكى المطالب بإلغاء نظام الرق والجنوب الأمريكى المطالب بالإبقاء عليه. وانتهت هذه الحرب بانتصار الشمال على الجنوب وتوحيد شطرى الولايات المتحدة تحت لواء الإيمان بالحرية التى أبت التفريق بين البشر على أساس الدين. ومن ثم يمكن القول إن الدستور الأمريكى منذ إعلانه ناهض فكرة الاضطهاد الديني. وبفضل هذه الحرية تمتع اليهود بقدر موفور من الحرية السياسية والاجتماعية والمدنية لم يتوفر لهم فى القارة الأوروبية برمتها و فى أى مكان فى العالم.

ولكن من الخطر أن نظن أن التحيز الأمريكى ضد اليهود اختفى بقدرة قادر أو بعصا سحرية أو أن أمريكا لم تعرف قط التمييز الديني. فقد كانت الولايات الأمريكية التى يسكنها الكاثوليك لا تتسامح مع الأقليات البروتستانتية التى تعيش بين ظهرانيها كما أن الولايات التى يسكنها البروتستانت على حد سواء تنظر شذراً لليهود. غير أنه يمكن القول بوجه عام إن اضطهاد كل من الكاثوليك والبروتستانت لليهود كان أقل بكثير من اضطهادهم لبعضهم البعض. ففى حين كان الكاثوليك يعتدون بالضرب على طائفتى الكويكرز والمعمدانيين كان كل من الكاثوليك والبروتستانت لا يتعرض بالأذى لليهود. ومهما بلغت درجة تحيز الأمريكيين ضد اليهود فإن هذا التحيز صورة ملطفة ومخففة للغاية بالمقارنة بما حدث فى بلدان أوروبا المسيحية.

أمريكا تتسامح مع اليهود منذ البداية :

وفى الوقت الذى بدأت فيه أوروبا تقلع عن اضطهاد اليهود فى أواخر القرن الثامن عشر كان يهود أمريكا يتمتعون بكافة الحقوق المدنية أسوة بالأمريكيين أنفسهم. وكفل القانون الأمريكى لليهود حق شغل الوظائف العامة. فلا غرو إذا رأينا حاناه آدمز تكتب عام ١٨١٢ تقول: «ربما تكون الولايات المتحدة المكان الوحيد الذى لم يعرف اضطهاد اليهود فبالعكس نرى أن هذه البلاد تشجعهم وتوفر لهم التمتع بكل حقوق المواطنة ورغم صحة هذا القول فى مجمله فإنه لا يخلو من شيء من المبالغة، إذ أن بعض الولايات الأمريكية ذهبت إلى استنان عدد من القوانين المجحفة بحق اليهود بالمخالفة للدستور الفيدرالى الأمريكى الذى نص على عدم إدخال الدين فى الاعتبار عند تعيين شاغلى الوظائف العامة. والجدير بالذكر أن ولاية ميرلاند لم تقم بإلغاء قوانينها الخاصة بمنع اليهود من تولى الوظائف العامة إلا فى عام ١٨٢٦ بعد طرح هذا الموضوع للنقاش على مدى عدة عقود. والجدير بالذكر أيضًا أن دساتير خمس ولايات هى كونكتيكوت ونيوهامشير ونيوجيرسى ونورث كارولين ورود أيلاند ظلت تحتفظ بقوانينها المجحفة باليهود والمتحيزة ضدهم حتى عام ١٨٤٠ بل إن دستور ولاية نورث كارولينا احتفظ حتى عام ١٨٦٨ بقوانينه المتميزة ضد اليهود والكاثوليك . ورغم هذه الانتكاسات المحدودة يمكن القول بأن اليهود فى أمريكا بوجه عام تمتعوا بحريتهم وكافة حقوقهم المدنية.

وعندما اشترك يهود فيلادلفيا ونيويورك وتشارلستون وريتشموند فى إرسال خطاب تهنئة إلى جورج واشنطن بمناسبة انتخابه أول رئيس للولايات المتحدة رد عليهم فى حرارة بقوله: «إن العواطف الليبرالية التى نحملها لبعضنا البعض والتى تتميز بها كافة الطوائف السياسية والدينية فى هذا البلد ليس لها نظير فى تاريخ الأمم.» وأيضًا يؤكد واشنطن فى معرض رده على خطاب التهنئة الذى تلقاه من شعب نيويورك أن حكومته «لا توافق على التعصب» مردداً بذلك ما ورد فى خطاب التهنئة.

وعندما تلقى جون آدمز الذى انتخب ثانى رئيس للولايات المتحدة خطابًا أرسله إليه اليهودى موردخاى م. نوح عام ١٨١٨ رد عليه آدمز بقوله: «أرجو أن

تتمتع أمتكم «اليهودية» بكل مميزات المواطنة فى كل دولة من العالم» فضلاً عن أن الرئيس الأمريكى الثالث توماس جيفرسون كان شديد التحمس لفصل الدين عن الدولة وحريصًا على إدخال هذا المبدأ فى الدستور. وأيضًا أكد جيمس ماديسون رابع رئيس أمريكى مبدأ المساواة بين الأديان قائلاً: «من الملامح المميزة للنظام السياسى فى الولايات المتحدة المساواة الكاملة فى الحقوق المكفولة لكل الملل والطوائف الدينية. وتعطينا مجلة بنسلفانيا باكيت الصادرة فى ٩ يولية ١٧٨٨ بمناسبة إقامة أحد الاحتفالات القومية صورة لمسيرة الاحتفال وقد تشابكت فيها أيدى جميع ممثلى الطوائف المسيحية مع أحبار اليهود. وفى إحدى المواعظ التى ألقاها الحبر اليهودى جرشوم منديز سيكاسى فى نيويورك عام ١٧٩٨ نراه يصف يهود الولايات المتحدة بأنهم «استقروا فى هذا البلد حيث نتمتع بكل المميزات التى يتمتع بها المواطنون فى هذه الولايات.

سماحة الأمريكيين نحو اليهود لم تمنعهم من الزراية بهم :

ولكن هذه السماحة السياسية والمدنية نحو اليهود فى أمريكا لم تعن اختفاء التحيز ضد اليهود الذى يرجع إلى القرون الوسطى والمتأصل فى التراث الفكرى المسيحى التقليدي. فلا غرو إذا رأينا الأدب الأمريكى - فى كثير من الحالات - يعكس التحيز ضد اليهود المتوارث عبر الأجيال. ومن أبرز شواهد المعاداة للسامية التى عرفها الأدب الأمريكى فى نهاية القرن الثامن عشر رواية هازئة بالديمقراطية بعنوان «الديمقراطي» تأليف أمير الشعراء الإنجليزى هنرى جيمس باي.

وعندما هاجر الكاتب الانجليزى وليم كوبيت إلى أمريكا اشتغل فى مدينة نيويورك بالصحافة تحت اسم مستعار هو بيتر بوركيوبين. وفى فترة إقامته هناك عبر عن طائفة من الأفكار والمشاعر المعادية لليهود مثل هجومه على المحامى اليهودى موسى ليفي. ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة كانت بلا شك أقل دول العالم تحيزاً ضد اليهود. وساعد على ذلك قلة عدد اليهود فى أمريكا آنذاك، الأمر الذى جعل قدرتهم على التنافس الاقتصادى مع الأمريكيين محدودة للغاية. ولا توجد إحصائيات دقيقة بعدد اليهود فى أمريكا آنذاك غير أن عددهم فى عام ١٨٠٠ يقدر بنحو ألفى وخمسمائة يهودى أو ثلاثة آلاف يهودي. وفى عام ١٨٣٠ ارتفع عددهم

إلى نحو ستة آلاف نسمة من مجموع سكان أمريكا البالغ عددهم ثلاثة عشر مليون نسمة وعاش معظم اليهود الأمريكيين فى المدن. وعند اندلاع الثورة الأمريكية ضد الاستعمار البريطانى قرب نهاية القرن الثامن عشر أخذ يهود أمريكا ينتظمون فى جاليات يهودية فى نيويورك ونيوبورت وفيلادلفيا ولانكاستر وتشارلستون وفضل بعضهم أن يعيشوا فى مستعمرات نائية. وبعد مرور بضعة عقود على قيام الثورة الأمريكية تركز الوجود اليهودى تركيزاً ملحوظًا فى الموانى الكبيرة مثل نيويورك وفيلادلفيا وبالتيمور وتشارلستون وسافاناه. وفى عام ١٨٠٠ وصل عدد أكبر جالية يهودية تعيش فى تشارلستون إلى خمسمائة عائلة فى حين كان عدد العائلات اليهودية التى تعيش فى بوسطن ونيويورك ونيوهافن ضئيلاً للغاية. وبوجه عام اشتغل هؤلاء اليهود بالسمسرة وعقد المزادات ومحلات البقالة وأيضًا ممارسة التجارة فى مناطق الغرب الأمريكى التى هاجروا إليها. وعلى النقيض مما حدث فى أوروبا عمل بعض اليهود كمفتشى جمارك وموظفين عموميين. وأيضًا يتضح لنا أن يهود أمريكا تمتعوا منذ البداية بعضوية النقابات الحرفية ولم تفرض أية قيود مطلقًا على ممارستهم لسائر الحرف.

مفكرو أوروبا المستنيرون أقل تسامحا مع اليهود (فولتير - توماس بين)

وليس أدل على التسامح الدينى الذى تمتع به اليهود فى أمريكا من أن رواد حركة التنوير فيها درجوا على النأى بأنفسهم عن التحيز ضد اليهود فى حين أن بعض رواد التنوير فى أوروبا مثل التأليهى فولتير عبروا أحيانًا عن كراهيتهم للسامية. ورغم أن الرئيس الأمريكى توماس جيفرسون عبر عن زرايته بالمعايير الأخلاقية والسلوكية عند اليهود فإنه أصر على ضرورة تحقيق المساواة فى المعاملة بين اليهود وغير اليهود. ولم يكن رأى المفكر التأليهى توماس بين فى اليهود أحسن حالاً من رأى فولتير فيهم. ويصف توماس بين اليهود بأنهم شعب غير مستقر على حال ويتعطش للدماء. كما أنه يصف موسى بالبشاعة وأنه أول من أشعل نار الحرب لأسباب دينية.

وليس هناك ما يدل على أن توماس بين شارك فولتير كراهيته الشخصية ضد اليهود المعاصرين له. فقد اقتصرت كراهيته على اليهود أيام السيد المسيح وقبله. وفى دفاعه عن حقوق الإنسان لم يفرق توماس بين بين اليهود وغير اليهود. ولهذا يذهب هارى هايدن كلارك إلى أنه لم يظهر أية مشاعر معادية للسامية نحو معاصريه من اليهود بخلاف ما فعل فولتير. وفى الحكاية التى ألفها توماس بين شعراً ونشرها فى مجلة بنسلفانيا فى مارس ١٧٧٥ ثم أدخل عليها بعض التعديلات قبل نشرها فى المجلات البريطانية نراه يروى لنا حكاية ساخرة عن مساوئ التعصب الدينى الذى يمارسه المسيحيون ضد اليهود. فالقصة تروى لنا أن يهوديًا كافراً سقط فى الماء أثناء تزحلقه على الجليد فاقترب منه مسيحى ينتمى إلى طائفة المعمدانيين وطلب من اليهودى الوعد بإعتناق المسيحية بعد إنقاذه من الغرق. غير أن المسيحي المعمدانى خشي أن يحنث اليهودى بوعده فأبقاه فى الماء لأنه أفضل لليهودى أن يتحول إلى المسيحية وهو يغرق من أن يبقى على قيد الحياة وهو يحتفظ بدينه اليهودي.

الاهتمام الأمريكى باليهود القدامى والعهد القديم :

لقد أكدت القوانين الصادرة فى الولايات المتحدة حقوق اليهود وضرورة معاملتهم على قدم المساواة مع غيرهم من غير اليهود. ولكن هذا لم يمنع بعض الولايات الأمريكية وصحافتها من التعبير عن معاداة السامية وانعكس هذا التناقض على الإنتاج الأدبى الأمريكى منذ الأيام الأولى من إنشاء الجمهورية الأمريكية فقد أمتلأ هذا الأدب منذ بواكيره بالإشارات الكثيرة والمتكررة إلى بنى إسرائيل الأقدمين فى حين ظلت الاشارات إلى اليهود المعاصرين نادرة. وكان الرعيل الأول من المهاجرين من أوروبا إلى أمريكا يعرفون كتابهم المقدس حق المعرفة وشجعهم على الغوص فيه اتجاههم الدينى البيوريتانى المتزمت. واعتبر هؤلاء البيوريتانيون الوافدون من أوروبا أن أمريكا أرض الميعاد. وتجلى هذا الأهتمام الشديد بالكتاب المقدس فى بعض ما أنتجه المهاجرون من أدب. فعندما نظم تيموثى دوايت ملحمته الشعرية التى يحيي فيها الثورة الأمريكية ضد الاستعمار البريطانى ونشرها عام ١٧٨٥ بعنوان «فتح أرض كنعان» استخدم لغة الكتاب المقدس فى

وصف هذه الثورة ورغم أن تيموثى دوايت فى كتاباته أكثر من الإشارة إلى اليهود القدامى كما جاء ذكرهم فى الكتاب المقدس فإن شعره يخلو من أية إشارة إلى اليهود المعاصرين له.

لابد من الإقرار بأن الأمريكيين المسيحيين المتدينين أظهروا اهتمامًا شديداً باليهود وآمنوا بأن المسيح سوف يعود إلى الأرض بعد هداية اليهود واعترفوا بأن المسيح سوف يخلصهم من الشرور والآثام. وانبرى بعض هؤلاء الأمريكيين المسيحيين مثل كوتون ماثر لتبشير اليهود ممن يعيشون بين ظهرانيهم بالدين المسيحى غير أن النجاح لم يكن حليفه. ولعل أبرز اليهود الأمريكيين الذين نجح المبشرون المسيحيون فى تحويله إلى الدين المسيحى هو جوداه مونيس الذى اشترطت عليه جامعة هارفارد اعتناق المسيحية قبل تعيينه فيها لتدريس اللغة العبرية. ويعتبر رئيس جامعة ييل عزرا ستايلز (١٧٢٧ - ١٧٩٥) أحد أبرز الأمريكيين الساعين إلى هداية اليهود من أصدقائه ومعارفه للدين المسيحي. وأيضًا تعتبر السيدة حاناة آدمز فى طليعة النساء الأمريكيات اللاتى أظهرن عطفًا واضحًا على اليهود. فهى أول من نشرت عام ١٨١٢ تاريخ اليهود فى أمريكا. وشعرت هذه المرأة بالفخر لأن أمريكا هو البلد الوحيد الذى لم يعرف اضطهاد اليهود وكفل لهم الحقوق المتساوية. عبر أن هذه الكاتبة عبرت عن استيائها من عناد اليهود فى رفضهم اعتناق الديانة المسيحية. وتشير حاناة آدمز ما لقيه اليهود من خسف واضطهاد عبر العصور على أيدى الوثنيين والمسيحيين والمسلمين.

وفى عام ١٨١٦ استطاعت حاناة آدمز أن تجتذب جماعة السيدات وقامت بإنشاء أول جمعية نسائية فى الولايات المتحدة بهدف تحويل اليهود إلى الدين المسيحي. وتعرف هذه الجمعية باسم جمعية بوسطن وضواحيها لنشر المسيحية بين اليهود. واستمرت هذه الجمعية فى ممارسة نشاطها حتى عام ١٨٤٣ وفى عام ١٨٢٠ تأسست جمعية أخرى تحمل اسم الجمعية الأمريكية لتحسين أحوال اليهود التى تهدف إلى ضم اليهود إلى حظيرة الدين المسيحي. غير أنها أنفقت جانبًا من نشاطها فى مساعدة يهود أوروبا الذين تحولوا إلى الدين المسيحى على الاستقرار فى الولايات المتحدة. والجدير بالذكر أن مثل هذه المحاولات لإقناع اليهود باعتناق

المسيحية باءت فى كثير من الأحوال بالفشل الذريع. فضلاً عن أن اليهود قاوموا بشدة الدعوة إلى تنصيرهم. ففى عام ١٨٢٠ قام يهودى مجهول بنشر كتاب فى نيويورك بعنوان «الدفاع عن إسرائيل» ذهب فيه إلى أن القول بأن الدين اليهودى يقل فى مرتبته عن الدين المسيحى يعتبر انتهاكًا للدستور الأمريكى المنادى بالمساواة بين الأديان. ولم يفت هذا الكتاب المجهول الصاحب أن يعاير المسيحيين بانقساماتهم وكثرة مللهم ونحلهم. وفى عام ١٨٢٤ - ١٨٢٥ أصدر اليهود الأمريكيون أول مجلة يهودية تصدر فى الولايات المتحدة بعنوان «اليهود» تهدف إلى دحض دعاوى المبشرين المنادين بهداية اليهود إلى الدين المسيحي. وتعكس بعض القصائد المنظومة فى تلك الفترة التحمس الشديد الذى أظهره المبشرون- وعلى رأسهم حاناة آدمز- لهداية اليهود الأمريكيين لوقايتهم من شر التعرض للاضطهاد. وقد نشرت مجلة «الاسبكتاتور المسيحي» فى عددها الصادر فى فبراير ١٨٢٣ قصيدة مجهولة المؤلف حول هذا الموضوع بعنوان «عن الأحوال الكئيبة للنساء اليهوديات والجهود المبذولة حديثًا للتخفيف فى معاناتهن عن طريق جمعيات الإحسان النسائية» والقصيدة تعلى من شأن اليهوديات اللاتى اصطحبن المسيح وأحطن به وآمن به فى حين أنها تحط من شأن اليهود المعاصرين السائدين فى غيهم وضلالهم. والملاحظ أن الشعر الأمريكى فى تلك الفترة كان فى مجمله يخلو من الإشارة إلى اليهود المعاصرين ويركز على اليهود الاتقياء الذين عاشوا فى زمن المسيح وآمنوا برسالته.

وأظهر الأدب الأمريكى اهتمامًا واضحًا بالشخصيات اليهودية التى عاشت فى زمن المسيح وخاصة فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر. ففى تلك الفترة زاد اهتمام الأدب الأمريكى بحياة المسيح وبالأراضى المقدسة فى فلسطين. ونظم الأدباء الأمريكيون عدداً كبيراً من القصائد حول فلسطين مثل القصيدة التى ألفها جون بايربونت عام ١٨١٦ بعنوان «أجواء فلسطين». وهى قصيدة كان مؤلفها يعتزم تمثيلها فى حفلة موسيقية مسائية تقام لصالح الفقراء. وتنم هذه القصيدة عن تأثرها بكل من الشاعر الإنجليزى توماس جراى والشاعر الفرنسى شاتوبريان الذى ألف شعراً بعنوان «عبقرية الدين المسيحي» ويصور بايربونت فلسطين فى غلالة صوفية ورومانسية يتجول فيها الحجيج إلى الأراضى المقدسة . ويسترجع الشاعر بايربونت

فى شعره صور أنبياء العهد القديم أمثال موسى وأشعيا ثم يستدعى صورة السيد المسيح. وأيضًا نظم بايربونت قصيدة أخرى بعنوان «أورشليم» التى تمنى الشاعر أن يزورها ويصف أماكنها الرعوية على نحو رومانسى جميل لا يشوب جماله إلا اضطهاد اليهود للسيد المسيح. وفى القصائد التى شاعت فى الأدب الأمريكى آنذاك قصيدة نشرت فى بالتيمور عام ١٨٢١ بعنوان «نوح» والجدير بالذكر أن شعر بايرجونت لا يخلو من بعض الإشارات إلى اليهود المعاصرين مثلما نجد فى قصيدته «ترنيمة حول الامتناع عن تناول الخمور» ومن المثير للاهتمام بوجه خاص ذلك المديح الذى كاله شاعر بوسطن الثورى روبرت تريت بين الصغير الذى ينعى بحرقة فى إحدى قصائده وفاة صديقه التاجر موسى مايكل هايز الذى توفى عام ١٨٠٥ , واللافت للنظر أنه ليست هناك فى هذه القصيدة التى تمتدح هذا التاجر لجاذبيته ودعابته ووده وكرمه وقوة عقله أية إشارة إلى يهوديته الأمر الذى يعلى من شأن اليهود ويرفع قدرهم.

والجدير بالذكر أن أية مقارنة بين موقف أعلام التنوير الأوروبى وأتباعهم من الأمريكيين قمينة بأن تظهر لنا اشتراكهم جميعًا فى الزراية بشعب إسرائيل فى الزمن القديم وتحميلهم مسئولية تسرب الخزعبلات والخرافات من التوراة إلى الإنجيل. غير أن أوروبا فى عصر التنوير عجزت عن إظهار روح المساواة بين البشر التى أظهرها التنويريون الأمريكيون فقد عبر الكثيرون من رواد التنوير فى القارة الأوروبية عن كراهيتهم المشبوبة للسامية فى حين خلت كتابات التنويريين الأمريكيين من هذه العداوة ضد الأجيال المعاصرة من اليهود. ولعل الفيلسوف اليهودى سبينوزا الذى هاجم العهدين القديم والجديد بضراوة على نحو ما فعل الإنجليز الأوائل من أتباع المذهب التأليهى من أبرز أعداء السامية. فضلا عن أن الفيلسوف الفرنسى فولتير شاركه هذه المشاعر المعادية للسامية فقد أصر هذا الفيلسوف على القول إن اليهود استعاروا أو اقتبسوا ثقافتهم من الآخرين كما أن الإغريق لم يتعلموا منهم أى شيء. ناهيك عن جهلهم بالفنون وفروع العلم المختلفة. وأن نظرتهم الأخلاقية أدنى فى منزلتها من نظرة الإغريق والرومان الأخلاقية. وأيضًا اتهم فولتير اليهود القدامى بأنهم حاولوا السطو على كتابات قدماء المصريين ونسبتها إلى أنفسهم كما اتهم

فولتير بنى إسرائيل بأنهم جماعة من البرابرة التى لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً. ورغم أن التنويريين الأمريكيين عبروا عن أفكار مماثلة وأدانوا اليهود القدامى فإنهم بوجه عام لم يناصبوا الأجيال المعاصرة من اليهود العداء.

الشاعر فيليب فرينو Philip Freneau يهتم باليهود فى العهد القديم:

وأيضًا نظم الشاعر الموهوب فيليب فرينو شعراً يشير إلى اليهود فى العهد القديم. وحين كان فرينو طالبًا بجامعة برنستون عام ١٧٦٨ حاول وهو لا يتجاوز السادسة عشر من عمره أن يصيغ شعراً بعضًا من تاريخ أنبياء اليهود. ونحن نراه فى قصيدته بعنوان «بيت المزرعة المهجورة» التى ألفها عام ١٧٧٢ يستغرق فى تأملات فلسفية تتصل بأفول الإمبراطورية الرومانية التى استعبدت البشر ومنهم يهود فلسطين. وقد اشترك فرينو مع زميل له اسمه هـ . هـ براكنبريدج الذى أصبح روائيًا فى وقت لاحق فى تأليف قصيدة عام ١٧٧١ عرض فيها لليهود القدامى.

وفى عام ١٧٧٥ اعتنق الشاعر فيليب فرينو المذهب التأليهى المؤمن بوحدانية الوجود. فلا غرو إذ رأيناه يعبر عن زرايته بالدين اليهودى فى القصيدة التى ألفها عام ١٧٨٤ بعنوان «اسكيتشات من التاريخ الأمريكي». ويهاجم فرينو الدين اليهودى بضراوة أكبر فى المقال الذى سطره عام ١٧٩٠ بعنوان «الشعر الملحمي» حيث يهجو القصيدة التى ألفها تيموثى دوايت بعنوان «فتح كنعان» يقول فرينو فى هجائه فى هذا الصدد إن التاريخ العبرى غارق فى حمام الدم الذى يسيل من ذبائح البشرية، الأمر الذى يجعل من اليسير على أى شاعر أن يحقق الخلود وذلك بتأليف الملاحم عنه. وعلى العكس من الفيلسوف توماس بين ليس هناك ما يدل على أنه أراد بهجومه على اليهود القدامى أن يحط من شأن المعاصرين. بل من الواضح أن الشاعر فيليب فرينو أعلى من شأن التسامح الدينى كما يتضح لنا من المقال النثرى الذى كتبه فى عام ١٧٨١ بعنوان «فيلسوف الغابة».

وبالإضافة إلى هذا سطر فرينو عديداً من الخطابات تحت أسماء مستعارة حيث تظاهر كاتبها بالبراءة. ونحن نراه يقول فى الخطاب الذى سطره عام ١٧٩٩ أن

قسيسًا أنحى باللائمة عليه لعدم مواظبته الذهاب إلى الكنيسة. فيجيبه الكاتب قائلاً إن الملة البرسبتيرية الكالفينية السائدة آنذاك تقف موقفًا معاديًا ضد كل من الدينين: اليهودى والمسيحي. ويدلل كاتب الخطاب على صحة ما يذهب إليه برواية القصة التالية ومفادها أن رجلاً من علية القوم أصابه مرض البرص فنصحه البعض أن يذهب إلى فلسطين حيث يعيش اليهود حتى يقابل رجلاً يتمتع بالقدرة على شفاء المرضى عن طريق غمسهم فى مياه نهر الأردن . ويضطره اشتداد وطأة المرض عليه أن يسافر إلى فلسطين حيث يتحقق له الشفاء بالفعل، الأمر الذى يجعله يتساءل عما كان الدين السائد فى فلسطين أفضل من الدين السائد فى بلاده مما يجعله عاجزاً عن تفضيل ملة دون ملة ودين على دين.

وفى عام ١٨٠٠ كتب فرينو تحت اسم روبرن سلندر المستعار خطابًا آخر يقول فيه إن أحد المبشرين لامه على تجرؤه على الاختلاف فى المسائل الدينية مع الثقات والمتفقهين فى شئون الدين. فيجيب سلندر على استحياء متسائلاً: أليس من حق المرء أن يعتنق الملة التى يراها صوابًا ويستسيغها فبدون التسليم بهذا الحق لعجزت المسيحية أن تقوم لها قائمة. ثم يعود فيتساءل بأى حق يشن أتباع الملة البرسبتيرية هجومهم على الكاثوليك فى حين أن الكاثوليك لديهم وجهة نظر تستحق الالتفات إليها.

وعندئذ يرد عليه المبشر قائلاً إن الكاثوليك من أتباع البابا شأنهم فى ذلك شأن اليهود يسيرون فى طريق الغى والضلال. وهنا تتزايد شكوك سلندر فى صحة ما يسمع وفى التناقضات الدينية مدركًا خطر التعصب الذميم.

إن كتابات الأدباء الأمريكيين اقتصرت على الهجوم على بنى إسرائيل فى قديم الزمان دون أن تمتد إلى أحفادهم المعاصرين. وهذا ما نستشفه من الطريقة التى يستخدم بها فرينو اسم شيلوك فى العديد من قصائده، فهو يستخدمه بهدف الهجاء السياسي. فشيلوك فى أشعاره هو المرادف للشخص المقيت من الناحية السياسية دون أن يدل هذا - كما جرت العادة - على الطمع فى اكتناز المال أو الجشع فى ممارسة الربا.

رويال تيلر Royall Tyller يكتب عن اليهود المعاصرين :

ويلاحظ أن الرواية الأمريكية احتوت على إشارات قليلة إلى اليهود فى العقود الثلاثة الأولى منذ القرن الثامن عشر. ولعلنا نجد أول إشارة فيها إلى اليهود المعاصرين فى تلك الرواية التى ألفها رويال تيلر فى رواية «أسير الجزائر» (١٧٩٧) التى انصرف جزء منها إلى معالجة اعتداء القراصنة من شمال أفريقيا على السفن الأمريكية الموجودة فى البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. وهى مشكلة قاست أمريكا الأمرين منها منذ القرن السابع عشر فصاعداً. فقد اعتاد القراصنة العرب الاستيلاء على هذه السفن وأسر ركابها وبحارتها وإخضاعهم للعبودية والمساومة عليهم لإرغام الأمريكيين على دفع جزية نظير إطلاق سراحهم. وقبل حصول أمريكا على استقلالها من الإمبراطورية البريطانية اضطلعت بريطانيا بمسئولية التفاوض مع الخاطفين لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى. ولكن هذه المسئولية أصبحت فيما بعد مسئولية الولايات المتحدة بعد حصولها على الاستقلال. وضاقت أمريكا ذرعًا بهذه التهديدات المستمرة لسفنها الأمر الذى دعاها عام ١٧٩٤ إلى البدء فى إنشاء أسطول بحرى قوى يمكنها من ردع القراصنة العرب. ولم يمض وقت طويل حتى استطاع ديبلوماسى أمريكى مغامر اسمه وليم إيتون أن يقنع وزارة الخارجية الأمريكية بعدم جدوى اتباع سياسة الاستسلام لابتزاز القراصنة حتى انتهى الأمر عام ١٨٠٣ بإرسال قوة بحرية ضاربة إلى شمال أفريقيا بالإضافة إلى قوة برية لمحاصرة طرابلس فى ليبيا يقودها وليم إيتون نفسه الذى تمكن من الإطاحة بحاكمها وتعيين أخ الحكم المخلوع وتحويله إلى أداة طيعة فى يد وزارة الخارجية الأمريكية. وفيما بعد أحرز ستيفن ديكاتور عام ١٨١٦ انتصاراً بحريًا على حاكم الجزائر وأرغمه على الاستسلام واضعًا بذلك نهاية لتهديد شمال أفريقيا للمصالح الأمريكية فى الأطلسى والبحر المتوسط.

وفى تلك الفترة احتدم الصراع فى الجزائر بين أقوى عائلتين يهوديتين فى عالم المال والصرافة هما عائلتا البكرى وبوشناق اللتان كان الأمريكيون فى مسيس الحاجة إلى وساطتهما للتفاهم مع الجزائر حول إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين وخاصة لأنهما كانتا تتمتعان بنفوذ عظيم لدى حاكم الجزائر. ويقول جويل بارلو الذى أرسلته أمريكا عام ١٧٩٦ للتفاوض مع الخاطفين العرب إن عائلة بكرى لعبت دوراً

بارزاً فى المفاوضات التى أجرتها أمريكا مع الحاكم الجزائري. غير أن هذا لم يمنع تعرض بعض زعماء العائلتين اليهوديتين لبطش حاكم الجزائر. ويتضح لنا من تقارير القناصل الأمريكيين فى شمال أفريقيا أن هؤلاء القناصل كانوا يعتمدون اعتماداً كبيراً فى عملهم على مساعدة أثرياء اليهود هناك فى التوسط بينهم وبين أهل البلدة وأيضًا فى اقتراض الأموال الطائلة منهم لدفع الفديات والديات التى يطلبونها من أجل إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين. ولكن هذا لم يمنع من حنق الأمريكيين عليهم بسبب تواطئهم مع الفرنسيين والإنجليز ضد المصالح الأمريكية والعمل على عدم حل مشكلة الأسرى الأمريكيين حلاً جذريًا. فلا غرو إذا رأينا إيتون يشكو يوم ٦ ديسمبر عام ١٧٩٩ من المؤامرات الفرنسية ومن غدر اليهود وخيانتهم وتكسبهم من وراء الوساطة بين أمريكا وبلاد شمال أفريقيا.

وبسبب قنوطه من المؤامرات التى حاكها الفرنسيون ضد الأمريكيين ومن غدر اليهود بهم كتب إيتون بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٠٠ يقول إنه لن يلجأ إلى طلب المساعدة من اليهود على الرغم مما يعانيه من شح الموارد المالية. ولكن يبدو من شكاوى القناصل الأمريكيين ضد اليهود أنه لم يكونوا يحملون العداء للسامية بل فقط يعبرون عن ضيقهم بتصرفات فئة قليلة من رجال الأعمال اليهود. ويذكر رينال كين فى تقرير أعده عام ١٨١٤ أن الوسيط اليهودى المغربى الذى كان يتفاوض مع حاكم الجزائر قال له إن هذا الحاكم طلب فدية قدرها مليونا دولار للموافقة على توقيع معاهدة مع الأمريكيين بشأن الفدية المطلوبة أجابه بكرى فى هدوء بأن الأسطول الإنجليزى القوى سوف يتمكن من تدمير الأسطول الأمريكى برمته الأمر الذى سوف يضطر الأمريكيين إلى بناء أسطول جديد. وسوف يكبدهم هذا نفقات أكبر بكثير من الفدية المطلوبة. وفى جميع الحالات طلب حكام شمال أفريقيا الفديات الكبيرة من الأمريكيين وبادر أثرياء اليهود بالتعبير عن رغبتهم فى ضمان الأمريكيين لدى الحكام العرب. ويتضح لنا هذا مما كتبه اليهودى المرموق موردخاى م. نوح الذى اشتغل بالكتابة وتأليف المسرحيات إلى جانب ممارسة النشاط السياسي. والجدير بالذكر أن هذا اليهودى البارز عمل قنصلاً لأمريكا فى تونس فى الفترة من ١٨١٣ إلى ١٨١٥ ويعترف لنا موردخاى نوح أن أحد الأسباب التى دفعته إلى تعيينه فى

هذه الوظيفة هو قيامه بجمع المعلومات المؤكدة الخاصة بعدد اليهود المقيمين فى شمال أفريقيا وطباعهم الشخصية وحجم مواردهم المالية. يقول لنا نوح موردخاى إن اليهود كانوا القوة المحركة فى شمال أفريقيا فهم يتولون إدارة مصلحة الجمارك ويشرفون على الميزانية العامة ويصدرون عدداً من البضائع ويحتكرون بعضها الآخر ويديرون دار سك النقود ويحتفظون فى خزانتهم بمجوهرات الحاكم أو الباى ونفائسه أمانة لديهم. فضلاً عن اضطلاعهم بأعمال السكرتاية والترجمة ويمارسون الطب والعلوم والفنون. ولم يكن الباى وحده هو الذى يركن إليهم ويأتمنهم على ثروته بل إن وزراءه اقتدوا به فى الركون إلى بعض أعوانهم ومستشاريهم اليهود. فلا غرو إذا تعاظم نفوذ اليهود لدرجة أخافت الموظفين العموميين ودفعتهم إلى استرضائهم ونيل الحظوة لديهم. أى أن الاضطهاد الذى لحق باليهود من آن إلى آخر لم ينجح فى تقليص سلطانهم. ويختتم القنصل موردخاى نوح قوله بأنه وقف عاجزاً أمام المؤمرات التى حاكمها التجار اليهود فقد اكتشف أن الباى وأخاه وولديه والعديد من موظفيه كانت لهم مصلحة فى أن يكون لهؤلاء التجار اليد الطولى وفى إملاء شروطهم على موردخاى .. واستطاع هؤلاء اليهود أن ينالوا الحظوة لدى الباى بفضل مهارتهم فى ممارسة التجارة وتضييق الخناق على المسيحيين والبربر.

ويلاحظ الدارس للدراما والرواية الأمريكية التى تعالج اليهود الموجودين فى شمال أفريقيا أن شخصياتها اليهودية تتمتع بالثراء وأنها شخصيات مستمدة من الواقع. ولكن هذا الأدب الدرامى والروائى يخلو من تصوير الأغلبية الفقيرة من اليهود ويكتفى بتصويرهم كصيارفة وسماسرة. ويشير موردخاى نوح إلى وجود عدد كبير من اليهود الفقراء. والجدير بالذكر أنه ألف عام ١٨٢٠ مسرحية تعالج موضوع القرصنة التى يمارسها شمال أفريقيا ضد السفن الأمريكية بعنوان «حصار طرابلس» ولكن نوح تعمد أن تخلو مسرحيته من الشخوص اليهودية. وأيضًا نرى فى الفصل الذى كتبه بطلر عن اليهود فى الجزائر أنه يتجنب الإشارة إلى وجود يهود فقراء فى الجزائر. ولد اليهودى موردخاى مانويل نوح Mordecai Manuel Noah فى فيلادلفيا عام ١٧٨٥ وارتبطت حياته بمدينة نيويورك حيث وافاه الأجل المحتوم فى ١٨٥١ وكما سبق أن ذكرنا لم يكن كاتبًا مسرحيًا فحسب بل داعية وسياسيًا واقعيًا

وصاحب رؤية طوبوبه. وفى يومنا الراهن يذكر العالم مشروعه لاستعادة جبل أرارات الوارد ذكره فى العهد القديم وأيضا سعيه إلى إقامة دولة يهودية على الجزيرة الكبيرة الواقعة فى نهر نياجرا بين الولايات المتحدة وكندا. ومن ثم فهو صهيونى رائد سبق فى صهيونيته كلاً من موسى هيس وثيودور هرزل. تقلد نوح مناصب عظيمة فى حياته فهو دبلوماسى ومأمور وقاض وقائد ميلشيا وزعيم المنظمة الديمقراطية التى سيطرت على الجو السياسى فى مدينة نيويورك. وفى عام ١٨١٦ أصبح محرر صحيفة «المدافع القومي» ومؤسس جريدة «نيويورك إنكويرر» فى عام ١٨٢٦ التى تغير إسمها فيما بعد إلى «كورير وإنكويرر» التى تركت بصماتها الواضحة فى الرأى العام الأمريكى على امتداد العديد من السنوات. وفيما بعد قام نوح بتحرير جريدة «نيويورك صن» إلى جانب مجلة أدبية بعنوان «تايمز آند ويكلى ميسنجر».

ويصفه أحد معاصريه واسمه جورج ب. موريس عام ١٨٢٩ بقوله: «كان من الناحيتين الأدبية والسياسية يحتل مكان الصدارة فى مدينة نيويورك كما كان أفضل راوية للحكايات ومتحدثًا مفوها وأفضل مؤلف مسرحى بين كل معاصريه يبعث الحياة والروح فى كافة الدوائر التى يتحرك فيها. كما كانت نكاته الذكية تتردد فى كل مكان. وكان الناس فى نظرتهم إليه كمحرر وناقد ومؤلف يحملون له نفس الاحترام والتقدير الذى يحملونه نحو الكاهنة العرافة فى المعبد».

اشتهر نوح فى الأدب الأمريكى بالتأليف المسرحى ويرجع أول عهده بهذا التأليف إلى عام ١٨٠٨ حيث ألف مسرحية بعنوان «قلعة سورنتو» وهى مسرحية رومانسية تدور حول زوجة وفية ترتدى ملابس الرجال حتى تتمكن من تخليص زوجها من السجن الذى زجه فيه أعداؤه ظلمًا وعدوانًا. غير أن هذه المسرحية لم تمثل. وبالنظر إلى أن نوح كان يتطلع إلى اقتناء مكتبة تضم جميع الأعمال المسرحية المنشورة فإنه أعطى مسرحيته لناشر فى نيويورك اسمه دافيد لونجورت مقابل اقتنائه نسخة من كل مسرحية يقوم هذا الناشر بإصدارها. وفى عام ١٨١٢ قدم المسرح الأمريكى مسرحية ألفها عام ١٨١٢ بعنوان «بول الكسيس أو أيتام الراين».

اهتم نوح بتأليف عدد من كتب الرحلات والمسرحيات التاريخية فى مقدمتها كتابه «رحلات إلى إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وشواطئ البحر الأبيض الغربية فى الأعوام من ١٨١٣ إلى ١٨١٤ و١٨١٥» وفى عام ١٨١٩ نشر مسرحية تاريخية بعنوان «سوف تصبح جندية أو سهول شيبوا» تدور حول حرب ١٨١٢ وبعد عامين ظهرت له مسرحية أخرى بعنوان «ماريون أو بطل بحيرة جورج» ثم ألف مسرحية تاريخية عن بلاد اليونان التى تقاوم الاحتلال التركى وهو الموضوع الذى شغل بال الشاعرين بيرون وشلى وأوحى إليهما بنظم عدد من القصائد الغنائية. وتحمل مسرحية نوح عن نضال اليونان العنوان التالي: «الأسير اليونانى أو سقوط أثينا».

لقد سبق أن أشرنا بالتفصيل إلى مسرحية نوح «حصار طرابلس» التى تدور أحداثها حول وقوع بعض الأمريكيين أسرى فى شمال أفريقيا وهو موضوع ليس بالجديد فقد ألفت سوزانا هازويل روسون عام ١٧٩٤ مسرحية حول نفس الموضوع بعنوان «عبيد فى الجزائر أو نضال من أجل الحرية» وتتميز هذه المسرحية بأنها أول مسرحية أمريكية تحتوى على شخصيات يهودية على عكس مسرحية نوح التى خلت تمامًا من اليهود بسبب عدم رغبته فى الإساءة إليهم فقد توقع جمهور المسرح أن يصور المؤلف اليهود على نحو مقيت وخاصة لأن معظم المسرحيات الإنجليزية التى كانت تعرض على المسارح الأمريكية ازدرت اليهود وحطت من شأنهم وسخرت منهم. وهو نفس الشيء الذى فعلته السيدة روسون فقد حذت حذو المسرح الإنجليزى فى تصوير الشخصية اليهودية النمطية على نحو بغيض يثير الاشمئزاز والاحتقار. فاليهودى كما تصوره السيدة روسون وغد حقير وخائن يعتنق الإسلام إذا رأى فى ذلك مصلحة أو منفعة له. وقد تم عرض مسرحية السيدة روسون فى فيلادلفيا وبوسطن ونيويورك وهارتفورد. وأوحت هذه المسرحية التى تزرى باليهود المؤلف جيمس إليسون أن يؤلف عام ١٨١٢ مسرحية مماثلة بعنوان «الأسير الأمريكى أو حصار طرابلس» تصف شخصية اليهودى إشماعيل بالبخل والحقارة والغدر. ومعنى هذا أن مسرحيتى كل من سوزانا روسون وجيمس إليسون سبقتا مسرحية نوح «حصار طرابلس» ومادمنا قد ذكرنا المؤلف المسرحى اليهودى موردخاى مانويل نوح

يجدر بنا أن نعرض لمعاصريه من المسرحيين اليهود وهم صامويل ب.هـ جوداه وجوناس ب. فيلبس وإسحق هاربي. ولكنه قبل أن نفعل ذلك لابد أن نستكمل حديثنا عما كتبه رويال تيلر عن معاصريه اليهود.

وفى عام ١٧٩٧ نشر تيلر المولود فى بوسطن عام ١٧٥٧ روايته «أسير الجزائر». وفى أخريات عمره أصبح تيلر رئيس محكمة فيرمونت العليا وشغل وظيفة أستاذ القانون فى جامعة فيرمونت. ألف تيلر عدداً من المسرحيات المعاصرة التى تدور حول موضوعات دينية ذات صلة بالكتاب المقدس. والجدير بالذكر أن تيلر دافع عن استقلال أمريكا الثقافى ونادى بخلق أدب قومى مستقل. وفى تصديره لروايته «أسير الجزائر» نراه يدافع عن تأليف الكتب الأمريكية المستقلة التى تدور حول تصرفات الأمريكيين وسلوكهم. وتدل رواية «أسير الجزائر» على نزعة مؤلفها إلى التحرر والاستنارة، كما تتضمن سخرية من التعليم الكلاسيكى ومن مهنة الطب والتزمت الدينى البيوريتاني. وتدور أحداث الرواية حول شاب أمريكى يبوء بالفشل فى ممارسة الطب فى كثير من الولايات الأمريكية فيقرر أن يصبح طبيبًا بحريًا على إحدى السفن التى تقل الزنوج العبيد من أفريقيا. وتتيح له هذه الوظيفة الفرصة فى التعبير عن عدواته المشبوبة ضد نظام العبيد وتجارة النخاسة. يقول هذا الطبيب واسمه أبدايك أندرهيل فى معرض هجومه على تجارة العبيد الرائجة فى أمريكا إن جبينه يندى خجلاً لممارسة بلاده لهذه التجارة البشعة الأمر الذى يجعل زملاءه البحارة يسخرون منه ويستهزأون به. ويزيد هذا الاستهزاء من تصميم الطبيب على الاستمرار فى هجومه على تجارة العبيد ويقسم بأنه سوف ينذر حياته لمحاربة هذه التجارة عندما يعود إلى أمريكا. ولكن سخرية الأقدار تشاء أن يقع هذا المدافع عن حرية العبيد أسيراً فى أيدى الجزائريين الذين يتخذون منه عبداً لهم يبيعونه إلى إحدى العيادات الطبية الجزائرية التى تحاول الاستفادة من تجاربه ومهارته الطبية الأمر الذى يوفر له قدراً من حرية التنقل والتصرف فيقوم بزيارة حى اليهود حيث يضطلع بعلاج ابن أحد أثريائهم وينجح فى شفائه فتنشأ صداقة تتوطد عراها بين الطبيب المعالج والابن الذى تم شفاؤه. ويعبر تيلر فى روايته عن موقفه من اليهود بطريقة عابرة إلى جانب ذلك الفصل من الرواية الذى يتناول وضع اليهود فى الجزائر.

ويتضح لنا من هذا الفصل أن عطف المؤلف على اليهود لا يمنعه من لومهم على عدم اعتناق الدين المسيحى وعدم الإيمان بالمسيح كمخلص للبشر. ويتناول هذا الفصل بإيجاز ما يتعرض له اليهود فى الجزائر من استغلال الحاكم الجزائرى لهم والاستفادة من أموالهم نظير توفير الحماية لهم من تحيز الأهالى ضدهم واستعدادهم للفتك بهم. وفى عام ١٩٦٠ وجهت إلى اليهود تهمة ارتكاب عمليات قتل جماعى لممارسة طقوسهم الدينية الأمر الذى دفع بالشعب إلى الفتك بهم. ولكن الحاكم الجزائرى لم يشأ أن يفقد أناسًا على هذه الدرجة الكبيرة من الفائدة فتدخل لحمايتهم من فتك الأهالى بهم، مصرحًا بأنهم أبرياء من التهمة الموجهة إليهم. ورغم أن المؤلف تيلر يظهر تعاطفًا مع اليهود فإنه يصفهم بأنهم جنس لئيم ويوبخهم لعبادتهم للمال. وتدل بقية أحداث الرواية على تكالب اليهود على المال. فقد اطمأن الطبيب الأمريكى إلى صديقه اليهودى فعهد إليه بحفظ ثروته. غير أن المنية وافت هذا الصديق اليهودى فيطالب الطبيب الأمريكى ابنه بإرجاع المال الذى كان قد أودعه لدي والده المتوفى. فينكر الابن أنه يعرف أي شيء عن هذا الموضوع ويرفض إعادة المال إلى صاحبه. وتشاء الظروف أن يسقط هذا الابن الطماع مريضًا فلا يجد من يداويه غير الطبيب الأمريكى البارع فيشعر بوخز الضمير فيعده بإعادة ثروته إليه بعد إبلاله من مرضه. ولكنه يعود إلى سابق لؤمه وخداعه عندما استرد عافيته وشعر بزوال الخطر الذى يتهدد حياته. فيعطى الطبيب آلاف الدولارات ثم يتفق مع طغمة من الأشرار على مهاجمته واسترجاع المال منه والقيام بأسره ولا ينقذ الطبيب من هذا المصير البائس غير سفينة حربية برتغالية تعود به من الجزائر إلى أمريكا أرض الحرية.

وينتمى الكاتب المسرحى اليهودى جوناس ب. فيلبس Jonas B. Phillips إلى عائلة مهاجرة من التجار اليهود عاشوا فى تشارلستون وفيلادلفيا. بدأ جوناس بتأليف المسرحيات الميلودرامية واختتم حياته بأن أصبح محاميًا محترمًا ومساعداً للنائب العام فى منطقة نيويورك. وتعتبر مسرحيته «العين الشريرة» التى كانت تمثل من وقت إلى آخر فى الفترة من ١٨٣١ و١٨٩٩ أبرز أعماله المسرحية. ثم ألف مسرحية مأساوية بعنوان «كاميليوس» تأثر فيها بمسرحية كوريولانوس لشكسبير قدمت فى فيلادلفيا على المسرح لأول مرة عام ١٨٣٣ وتدور هذه المسرحية حول عودة

حاكم رومانى من المنفى إلى بلاده من أجل إنقاذها من غارات قبائل الغال عليها. واتبع جوناس نفس سياسة نوح فى النأى بنفسه عن مناقشة مشاكل اليهود من خلال الأعمال المسرحية.

فضلاً عن أن المؤلف المسرحى إيزاك هاربى Isaac Harby (١٧٨٨ - ١٨٢٨) اتبع نفس سياسة عدم معالجة الشخصيات والمشكلات اليهودية فى الأعمال المسرحية. وهاربى أحد رواد حركة الإصلاح اليهودى اشتهر بكتابة المقالات والنقد الأدبى والمسرحيات. وعندما بلغ السابعة عشر من عمره ألف أول مسرحية له - وهى كوميديا من خمسة فصول- بعنوان «الكسندر سيفيروس». وحين بلغ الثامنة عشر ألف أول مسرحية تقدم على خشبة المسرح بعنوان «العقدة التى ليس لها حل أو أسباب ونتائج». وهى ميلودراما رومانسية عن الانتقام وتنتهى نهاية سعيدة. ثم ألف مسرحية أخرى بعنوان «ألبرتي» رأت طريقها إلى خشبة المسرح فى عام ١٨١٩. ويرى الدراسون أن مسرحية «ألبرتي» أفضل وأكثر إحكامًا من مسرحية «العقدة التى ليس لها حل».

واشتغل هاربى ناقداً مسرحيًا فى صحيفة «نيويورك إيفننج بوست» وانتقد عرضًا لمسرحية شكسبير المعروفة «تاجر البندقية» واعترض على مؤلفها شكسبير لخطئه فى تصوير شخصية شيلوك. فليس من المعقول على حد قوله أن يتقدم شيلوك إلى المحكمة شاهراً سكينه فى يده ومطالبًا بحقه فى اقتطاع رطل لحم من غريمه المسيحى أنتونيو فى مدينة البندقية التى اشتهرت بسوء معاملة اليهود والزراية بهم. وعبر هاربى عن أسفه لأن شكسبير رغم عقله الجبار سمح لنفسه أن يتأثر بالعواطف والأذواق الزائفة التى سادت بين عامة الناس فى عصره. وعندما مات هاربى نعته الكاتبة بنينا مويس فى صحيفة المركيورى الصادرة فى ٢٧ ديسمبر ١٨٢٨ حيث وصفته بأنه النور الذى أضاء شبابها وألهم روحها كما قرظت دعابته الذكية وحيويته الدافقة.

وإذا كان نوح وجوناس قد تجنبا تصوير الشخصيات اليهودية فى المسرحيات التى قاما بتأليفها فإن الكاتب المسرحى اليهودى صامويل ب.هـ جوداه لم يجد أية غضاضة فى تصويرها فى أدبه. ولكنه فعل ذلك تحت اسم مستعار ودون أن يحمل

أى حب أو مودة نحو بنى جلدته. ولد جوداه فى مدينة نيويورك عام ١٧٦٩ ولكنه اختفى من الحياة فى نهاية آيامه لدرجة أن الدراسين ليسوا متأكدين من أنه توفى بالفعل عام ١٨٧٦. وبدأ جوداه التأليف المسرحى بكتابة الميلودراما مثل «سيل الجبل» التى ألفها عام ١٨٢٠ و«وردة أراجون» عام ١٨٢٢. وهو يفخر بأنه تمكن فى غضون أربعة أيام فقط أن يفرغ من كتابة مسرحية تاريخية بعنوان «حكاية ليكسنجتون» استقبلها النظارة على حد قوله بالتهليل والتكبير عندما مثلت فى نيويورك فى يوم إعلان استقلال أمريكا عن بريطانيا عام ١٨٢٢. ولكن مستقبله المسرحى سرعان ما آل إلى زوال وهو فى العشرينيات من عمره بسبب الهجائية الشعرية الفاضحة «جوثام وأهل جوثام» (١٨٢٣) التى تهكم فيها على اليهود وعلى موردخاى نوح فانتهى الأمر بالزج به فى السجن بتهمة التشهير والقذف. وبعد خروجه من السجن أصبح محاميًا ومارس المحاماة عام ١٨٢٥ رغم سجنه. وصار موفور الثراء مما مكنه من نشر مؤلفاته تحت اسم مستعار. ومن هذه المؤلفات مأساة مأخوذة عن العهد القديم بعنوان «عذراء ميديان» وهى مأساة تستقى أحداثها من المجزرة التى أمر النبى موسى بارتكابها ضد أسرى ميديان. ولكن هذه المسرحية لم تر طريقها إلى خشبة المسرح بسبب ما تضمنته من تطاول على الدين اليهودي. ويقول الدراسون إنه ألف قصيدة للإنشاد من النوع المعروف بالبالاد بعنوان «معارك يوشع» تحت اسم مستعار. ومرة أخرى يصور المؤلف هذه الشخصية الدينية على نحو قمىء ويرميها بالقسوة وغلظة القلب. وإذا كان كثير من اليهود قد تحرجوا من معالجة الموضوعات اليهودية بل تحرجوا من مجرد إظهار يهوديتهم أمام الملأ فإن الكتاب الأمريكيين كانوا على سجيتهم وأخذوا راحتهم حين عالجوا مثل هذه الموضوعات فبعضهم لم يتحرج قط فى الدفاع بقوة وصراحة عن اليهود.

كتابات وأقوال مدافعة عن اليهود :

تصدى بعض الخطباء من الأمريكيين غير اليهود للدفاع عن اليهود والإشادة بإنجازاتهم فضلاً عن الدفاع عن حقهم فى الحصول على حقوقهم المتساوية مع حقوق الأمريكيين. ويتجلى لنا هذا من الخطاب الذى ألقاه نائب بالتيمور جون س. تيسون فى مجلس ميرلاند التشريعى عام ١٨٢٩ وطالب فيه بإلغاء القيود المفروضة على

اليهود والتى تؤدى إلى تعذيبهم. يقول تيسون فى هذا الخطاب: «من الذى جعلهم يهوداً؟ هو نفس الخالق الذى جعلكم مسيحيين. إنهم لا حول لهم ولا قوة أمام القوة التى جعلت منهم نسل إبراهيم مثلما أنتهم عاجزون عن تغيير القوة التى جعلت منكم شعبًا مسيحيًا». ويستطرد الخطيب قائلاً إنه لا عجب فى أن يؤمن اليهود - أول نسل أو شعب يعرفه التاريخ - بعقيدتهم التى أنزلها عليهم الله فوق جبل سيناء وسط الرعد والبرق والتى رضعوا لبنها منذ نعومة أظفارهم وترسخت فى أعماقهم بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد... لا عجب أن يستمروا فى الإيمان بدينهم. إن اليهود لا ذنب لهم فى أنهم صاروا يهوداً كما أنه لا فضل للمسيحيين فى أنهم أصبحوا مسيحيين. فإذا عن لإنسان أن يلوم اليهود على عدم إيمانهم بالمسيحية فإنه بذلك يقف فى وجه إرادة الله العلى القدير الذى يمسك فى يده بمصائر البشر والذى خلقهم يهوداً لحكمة لا ندركها.»

يقول بعض الدراسين إن الجهود التى يبذلها المبشرون المسيحيون لهداية اليهود إلى الدين المسيحى لا تعود إلى أية عداوة يكنها المسيحيون لهم ولكن مبعثها الإشفاق على اليهود الطيبين من السير فى طريق الضلال والرغبة فى تجنيبهم الهلاك. وعندما قامت الجمعية الأمريكية لتحسين أحوال اليهود عام ١٨٢٣ بإنشاء مجلة بعنوان «المدافع عن إسرائيل» لتبشيرهم بالإنجيل فإن هذه المجلة فشلت فى مهمتها فشلاً ذريعًا وآل أمرها فى العام التالى إلى التوقف عن الصدور. وأثارت هذه المجلة حنق يهودى اسمه س.هـ جاكسون الذى دفعه الزهو بيهوديته إلى نشر مجلة مضادة بعنوان «اليهودي» نذرت صفحاتها للذود عن شعب إسرائيل ضد أعدائه وضد هجوم مجلة «المدافع عن إسرائيل» عليه ونشرت مجلة «اليهودي» فى عددها الصادر فى نوفمبر ١٨٢٤ موقف اليهودى موسى مندلسون المتحدي من دعوة بعض رجال الكنيسة له باعتناق الدين المسيحى إذا عجز عن دحضه أو تفنيده. ولكن هذا الفيلسوف اليهودى امتنع عن الهجوم على الدين المسيحى غير أن أصر على الاحتفاظ بحقه فى أن يظل على يهوديته. وبعد حصول الولايات الأمريكية على استقلالها وإعلان النظام الجمهورى ساد الجمهورية الوليدة جو من التسامح الدينى نحو اليهود. فلم تعد هناك حاجة إلى إضعاف وشائج الصلة التى تربط اليهودى بدينه لأنه كان من السهل على اليهود أن يتمثلوا الكيان الأمريكى ويصبحوا جزءاً منه بل إن بعض اليهود لم يجدوا غضاضة فى تغيير دينهم بسبب رغبتهم فى الزواج

من فتيات مسيحيات.

كان اليهود النازحون إلى الحدود الأمريكية النائية يعملون كباعة متجولين. وتدور الأيام فيصبح هؤلاء الباعة المتجولون أصحاب أكبر محلات لبيع الملابس. وبوجه عام درجت الروايات الأمريكية على اتخاذ موقف متعاطف منهم على عكس الروايات الإنجليزية المفعمة بالزراية من اليهود المشتغلين بتجارة الملابس القديمة مثل رواية ديكنز المعروفة «أوليفر تويست» ويتضح لنا هذا التعاطف من الرواية التى ألفها أوتو رابيوس Otto Rappius عام ١٨٥٧ بعنوان «البائع المتجول» وهى مستمدة من علاقة مؤلفها.. الفعلية بعدد من الباعة الجائلين الألمان المنحدرين من أصل يهودي. وهى تختلف عن رواية «مدينة طائفة الكويكرز» (١٨٤٥) التى ألفها جورج ليبارد الذى حذا حذو الرواية الإنجليزية فى إعطاء صورة بغيضة للبائع المتجول اليهودى والتى سوف نتناولها فى وقت لاحق عند الحديث عن الرواية الشعبية قبل الحرب الأهلية الأمريكية.

ولد رابيوس عام ١٨١٩ واضطر بسبب اشتراكه فى إشعال ثورة ١٨٤٨ الألمانية إلى الفرار من ألمانيا إلى الولايات المتحدة حيث اشتغل بتدريس الموسيقى. وفى ولاية كنتكى تعرف على عدد من اليهود الروحانيين الذين يتطلعون إلى القداسة والحياة القويمة. واندلع حريق كبير فى بيته عام ١٨٥٣ فاضطر إلى النزوح إلى ميلووكى حيث أصدر مجلة باللغة الألمانية. وبعد مضى ستة أعوام انتقل إلى سانت لويس حيث خالط عدداً كبيراً من اليهود الألمان. وفى فترة إقامته فى ميلووكى تعرف على بعض الباعة المتجولين من اليهود الذين أصبحوا فيما بعد أصحاب متاجر كبيرة يشار إليها بالبنان. وهناك سجل فى روايته المذكورة تجاربه مع هؤلاء الباعة الذين اتسموا بالأمانة والطيبة وحميد الطباع. والجدير بالذكر أن هذه الرواية تتضمن جانبًا من سيرة حياة مؤلفها فهى تدور حول مثقف شاب ألمانى يعمل بالمحاماة اضطرته الظروف إلى مغادرة ألمانيا بسبب انخراطه فى العمل السياسى الثوري. وفى أمريكا يتعرض هذا الشاب غير اليهودى الساذج والغرير لعملية نصب يفقد فيها كل ماله. ولكن بائعًا متجولاً يهوديًا طيب القلب يحنو عليه ويخف لنجدته ويلحقه بالعمل فى مزرعة فى ألباما. وهو ينقذه من الدمار أكثر من مرة ويعطف عليه لدرجة أنه يترك له ثروته بعد وفاته.

وتروى لنا الوثائق واليوميات حكاية شاب يهودى اسمه إبراهام كوهن جاء من بافاريا إلى أمريكا عام ١٨٤٢ عندما كان فى الثالثة والعشرين من عمره. وآلم هذا الشاب آلًا ممضًا عندما اكتشف بعد هجرته أنه يتعين عليه أن يحمل بضائعه على ظهره ويجوب المناطق الأمريكية من أدناها إلى أقصاها. وحز فى نفسه أن يترك بلده الأصلى ويفارق أهله وناسه من أجل عمل مضن بمثل هذه الوضاعة. وبمرور الأيام يفتح الله عليه ويرزقه رزقًا وفيراً فيصبح صاحب متجر كبير فى مدينة شيكاغو. بل إنه اشترك فى إعداد حملة الدعاية الهادفة إلى إعادة انتخاب إبراهام لينكولن كرئيس للولايات المتحدة. وفى شيكاغو يحسن الأهالى معاملته فتتضاعف ثروته ويجد من اليسير عليه الاندماج فى الحياة الثقافية الأمريكية.

وليس أدل على حسن معاملة أهل شيكاغو لليهود من أن صحيفة الشيكاغو تريبون نشرت عام ١٨٥٥ مقالاً بعنوان «ساعة مع أبناء إسرائيل»، يكيل الثناء لهم. جاء فيه «إن اليهود فى هذه المدينة كثيرون وكلهم تقريبًا أثرياء وينعمون باحترام كل من يعرفهم. وليس هناك مواطنون أفضل منهم فهم لا يرتكبون الفحشاء والجريمة وسوء السلوك أبدا. وهم لا يتسولون كما أنهم لا يشتركون أبداً فى المؤامرات السياسية أو يتورطون فى المؤتمرات التى يقيمها الديماجوجيون السياسيون. إنهم مثل أعلى فى الاجتهاد ورجاحة العقل والقصد فى إنفاق المال. وهم أفضل بكثير من الكثيرين ممن يكنون لهم الاحتقار ويعاملونهم بازدراء.»

ولم تكن صحيفة الشيكاغو تريبون الوحيدة التى امتدحت اليهود، فقد نشرت صحيفة «سان فرانسيسكو صن» فى عددها الصادر يوم ١٤ سبتمبر ١٨٥٥ مقالاً يدافع عن اليهود بقوة جاء فيه أن أية شائبة قد تشوب الشخصية اليهودية ترجع إلى ما تعرضت له من اضطهاد عبر العصور المختلفة حيث اعتاد الجنود الوقحون وبعض الأوغاد أن يبصقوا فى وجوههم ويضربونهم. فإذا اعترض اليهود على الاضطهاد الواقع عليهم هجمت عليهم الجماهير الهائجة لتمزقهم إربًا إربًا. ومن ثم فالفضل يعود إلى الدستور الأمريكى الذى أعاد إلى اليهود حقوقهم الدينية والسياسية. فهم على قدم المساواة مع أى مواطن آخر ومعابدهم فى مأمن من التدمير والاعتداء ولا تفرض عليهم أية ضرائب استثنائية أو يحرمون من شغل أية مكانة

عالية. وأيضًا نمتدح صحيفة سان فرانسسكو صن ولاء اليهود الوطنى لأمريكا فإخلاصهم لها لا يقل عن إخلاصهم لدينهم . وهم يحترمون القوانين ولا ينتهكوها إلا نادراً. وهم يستخدمون ثرواتهم فى التعمير وتوسيع المدن فضلاً عن اهتمامهم بالفنون. هذا السيل من المديح إن دل على شيء فإنما يدل على ما تمتع به اليهود عادة من سماحة عند وصولهم إلى الأراضى الأمريكية.

ثم جاءت ليديا ماريا تشايلد الداعية إلى تحرير العبيد فى بوسطن لتقول نفس الشيء ولم يغب عن بالها قط أن إيمانها بوحدانية الله مستمد من إيمان اليهود بوحدانيته. وهى أبداً تحيط اليهود بهالة من الرومانسية. وقد انضم إلى صفوف المدافعين عن اليهود كوكبة من الكتاب والمفكرين مثل جون جرين ليف ويتز وهنرى وادزورت لونجفيلو الذى سوف نعرض له فيما بعد. وأيضًا أشاد باليهود الزعيم السياسى دانييل ويستر على أساس تاريخى باعتبارهم شعب الله المختار. وكتب ويستر إلى المؤلف المسرحى موردخاى م. نوح بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٤٩ جاء فيها أنه يشعر دائمًا بالاحترام والعطف نحو نسل شعب إسرائيل العظيم الذى آمن وسط الجهالة والوثنية بوجود إله واحد أو كائن روحى أسمى. ثم يردف قائلاً: «إننى أعتبر كتاب اليهود المقدس المصدر الذى نستقى منه جميعًا معرفتنا بالعالم الذى يحيط بنا وبأنفسنا ومصيرنا كمخلوقات ذكية وأخلاقية ومسئولة».

وقد ذهب شعراء نيو إنجلاند العظام هذا المذهب فقاموا بتمجيد تاريخ اليهود التليد وإحياء أساطيرهم شبه المنسية. وحمل هؤلاء الشعراء أمثال هنرى وادزورث لونجفيلو وجون جرينفيلد وثير وأوليفر وندل لليهود وافر الاحترام. وثلاثتهم ينتمون إلى شعراء المدفأة الذين سوف نعرض لهم فى وقت لاحق.

الروائى جيمس بتلر James Butler يكتب عن اليهود :

وأيضًا يجد القارئ إشارة إلى اليهود فى رواية أمريكية أخرى ألفها جيمس بتلر فى عام ١٧٩٧ - ١٧٩٨ «كرة قدم الحظ» التى تدور أحداثها فى انجلترا حول شخصية ماركوشيو الذى يقع فى غرام فتاة يهودية يرفض والدها زواجه منها لأن يريد تزويجها إلى سمسار يهودى ثرى اسمه افرايم. ويضطر ماركوشيو إلى الرحيل

عن انجلترا ويذهب إلى فرنسا وإيطاليا وبعض البلاد الأخرى حتى يصل إلى بلاد الفرس. وتحتوى الرواية على شخصية يهودية أخرى تحمل اسم آرون ليفى وهى شخصية نمطية تمثل اليهودى الطيب القلب التى سبق للروائى الانجليزى صمولیت أن قدمها إلينا عام ١٧٥٣ فى رواية «مغامرات فيردناند كونت فاثوم» ويبادر أرون ليفى بفعل الخير وتقديم المساعدة إلى أصدقاء ماركوشيو ودفع الفدية المطلوبة لتحريرهم من العبودية حتى يرد إليهم الجميل الذى سبق أن أسدوه عندما خفوا لتقديم العون إليه لانتشاله من الضائقة المالية التى يمر بها. وعندما يعلم القنصل البريطانى أن اليهودى ليفى دفع الفدية المطلوبة لتحرير بعض الانجليز من العبودية يرد إليه المبلغ المدفوع ويعبر عن شديد امتنانه له فيجيب اليهودى الطيب القلب بأنه يود لو كان فى امكانه أن يخلص جميع الذى يقعون فى أيدى القراصنة من الأسر والعبودية والجدير بالذكر أن الروائيين الأمريكيين السالفى الذكر يصوران اليهود من منظور المال فقط ولا شيء غير المال. فإقدامهما على عمل الخير يكمن أولا وأخيراً فى تقديم العون المالى إلى الغير. فضلا عن أن الروائيين تيلر وبطلر لا يقدمان الينا صورة اليهود فى أمريكا بل صورة اليهود فى البلاد غير الأمريكية.

الروائى تشارلس بروكدن براون يرسم صورة غير تقليدية لليهود:

ولعل أول يهودى أمريكى يظهر فى الرواية التى تحمل عنوان «آرثر ميرفن». وهى من تأليف تشارلس بروكدن براون الذى نشر الجزء الأول منها عام ١٧٩٩ والثانى عام ١٨٠٠ وقد عنى الروائى براون برسم صورة امرأة يهودية أمريكية اسمها أسشا فيلدنج. وهى أرملة شابة ثرية فى السادسة والعشرين عمرها. وتختلف صورة هذه المرأة عن الصورة اليهودية النمطية التى تركز كل عنايتها على الاهتمام اليهودى التقليدى بالمال. ولعل أبرز وجه للخلاف مع هذه الصورة التقليدية يتلخص فى أنها ليست موفورة الجمال كما درج المؤلفون على تصوير المرأة اليهودية. فهى تخلو من جمال التقاطيع وإن كانت لا تخلو من جمال الروح الذى يخلب لب كل من يقترب منها. ويذهب بعض النقاد إلى أن الروائى براون استمد صورة اسشا من الواقع. فقد وقع غرام فتاة جذابة للغاية رغم افتقادها إلى جمال الوجه اسمها سوزان أ بوتس.

وليس هناك ما يدل على أن المؤلف براون خالط اليهود وعرفهم عن كثب. ولكن من المرجح انه كان يراقبهم فى فترة اقامته فى كل من فيلادلفيا ونيويورك. ولكن يبدو أنه كان يعرف عن كثب تاجراً يهوديًا يعيش فى نيويورك اسمه سوبلون سيمبون . ويحتمل أيضًا أن السبب الذى حدا بمؤلفنا أن يولى اليهود اهتمامه أنه اصبح صديقًا ليهودى اسمه روزنبرج واللافت للنظر أن معالجة براون لشخصية اسشا اليهودية لا تعدو أن تكون معالجة سطحية. وأغلب الظن أن المؤلف لم يعرف معاداة اليهود شأنه فى ذلك شأن غالبية رواد التنوير الأمريكيين على عكس الكثير من رواد التنوير فى أوروبا مثل فولتير الذين حملوا المقت والموجدة لليهود. وقد سعى براون فى روايته إلى رسم صورة لليهود محببة إلى النفس بعيدا عن الصورة التقليدية المقيتة لهم. ورغم خلوه من معاداة السامية فقد احتفظ المؤلف فى ثنايا روايته ببعض المظاهر الملطفة والمخففة الدالة على معاداة اليهود مثل الاشارة إلى عينهم الشريرة. وتروى لنا اسشا أنها تلقت فى المدارس الإنجليزية تعليمًا علمانيًا جعلها لا تأبه بالدين أو تقيم له وزنًا. وساعد على ذلك أن أبويها اللذين يحبانها امتنعا عن فرض الديانة اليهودية عليها. وتتزوج اسشا من رجل انجليزى يطمع فى مالها ويشترط عليها حماها أن تنضم إلى الكنيسة المسيحية. ويخيب أمل الزوج الطامع عندما يكتشف أن حماه اليهودى رجل مفلس وليس ثريًا كما كان يظن وهكذا تنتهى حكاية اسشا نهاية حزينة إذ يهجرها زوجها عندما يكتشف املاقها ويهرب مع امرأة أخرى. وتهاجر أسشا إلى أمريكا الحرة حيث تتمكن من جمع ثروة كبيرة وتبدأ حياة زوجية جديدة.

هيو هنرى براكنبريدج Hugh Henry Brackenbridge يزرى باليهود :

والجدير بالذكر أن ننبه إلى أن هيو هنرى براكنبريدج مؤلف رواية «الفروسية الحديثة» سبق الروائى براون فى الكتابة عن اليهود. غير أن براكنبريدج لم يرسم فى روايته أية شخصيات يهودية بل اكتفى بمجرد الإشارة إليهم. ولم يكمل براكنبريدج روايته دفعة واحدة بل ظل يضيف إليها منذ أن نشرها لأول مرة عام ١٩٧٢ حتى أتمها فى شكلها النهائى عام ١٨١٥ أى قبل عام واحد من وفاة مؤلفها. وتشن هذه الرواية هجومًا على ما يصاحب العمليات الانتخابية من ديموجاجية فضلاً عن

السخرية من مباذل النظام الديمقراطى وممارسة النخاسة وتجارة العبيد ويستشهد الروائى براكنبريدج بأقوال بنى إسرائيل فى الكتاب المقدس لشرح وتوضيح المشكلات السياسية المعاصرة كما أنه يستخدم فى نفس الوقت الأكليشيهات المعتادة الهادفة إلى النيل من اليهود والزراية بهم. وفى ختام روايته يدعو براكنبريدج الأمريكيين إلى الامتناع عن اقتراض المال من اليهود كما يفعل القصر وغير الراشدين.

وإذا كانت رواية «الفروسية الحديثة» تحتوى على مجرد إشارات إلى اليهود دون أن ترسم أية شخصيات يهودية فإن الروائى الأمريكى البارز واشنطن أرفنج لايحفل بتصويرهم فى رواياته على الإطلاق باستثناء عدد ضئيل للغاية من الإشارات إلى اليهودى المتجول أو الهائم على وجهه فى الرواية التى نشرها عام ١٨٠٧ - ١٨٠٨ بعنوان «سالما جندي» أما الإشارة الثانية إلى اليهود فنطالعها فى معرض تأملاته عن أصل اليهود فى كتابه «تاريخ نيويورك» (١٨٠٩). ويذهب واشنطن أرفنج إلى أنه لا يصدق الرواية التى تقول إن الكنعانيين عند طردهم من الأراضى اليهودية أصابهم الرعب والفزع وفروا هاربين حتى تمكنوا من العثور على ملجأ آمن فى أمريكا. ويضيف أرفنج قوله إن هؤلاء اليهود فى فرارهم المتعجل تركوا ورا هم لغتهم القومية وأسلوبهم فى الحياة بل وملامح وجوههم وأبدانهم.

وباختصار يمكن للمرء أن يقول إن الأدب الأمريكى ابتداء من عام ١٨٣٠ أظهر تسامحًا قوميًا واعيًا نحو اليهود بالرغم من قلة الإشارات إليهم فى الأعمال الأدبية فى أول الأمر.

٢- الرواية الشعبية قبل الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥)

زيادة هجرة اليهود إلى أمريكا :

يمكن القول إن تغيراً طرأ على وضع اليهود فى أمريكا منذ نحو عام ١٨٣٠ بسبب الزيادة الكبيرة فى عدد المهاجرين منهم من ألمانيا. فقبل ذلك التاريخ كان عدد اليهود الذين يعيشون فى أمريكا ضئيل للغاية. ورغم أن معظمهم كانوا ينتمون إلى أصل اشكنازى فإنهم كانوا يتبعون نفس الطقوس التى يتبعها السفارديم. وبمرور الوقت استطاع هؤلاء اليهود أن يتمثلوا - إلى حد كبير - الحياة الأمريكية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وساعد على نزوح اليهود من ألمانيا إلى أمريكا ما لاقوه هناك من تحيز وتمييز وسوء معاملة. ووصلت هذه الهجرة ذروتها بعد نجاح السلطات الألمانية فى قمع ثورة ١٨٤٨. وتلقى الإحصاءات التالية الضوء على الزيادة المطردة فى عدد اليهود النازحين إلى أمريكا ففى عام ١٨٣٠ لم يزد عددهم عن ثلاثة آلاف. وبعد عقدين فقط من الزمان ارتفع عددهم عام ١٨٥٠ إلى نحو خمسين ألف يهودى جاء ثلاثة أخماسهم من ألمانيا وحدها. وفى الفترة بين عامى ١٨٥٠و ١٨٦٠ بلغ عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة ثلاثة ملايين مهاجر كان عدد اليهود بينهم نحو مائة ألف يهودي. وبحلول عام ١٨٦٠ أصبحت هناك جاليات يهودية منظمة فى نحو خمسين مدينة أمريكية، كما كانت هناك جماعات يهودية غير منظمة فى عدد من المدن الأمريكية الأخرى. ففى نيويورك وحدها بلغ تعداد الجالية اليهودية نحو أربعين ألف شخص. كما بلغت الجالية اليهودية فى مدينة سيناتى ستة آلاف، فضلاً عن وجود عدة آلاف يهودى فى مدينة أورلياتز. وفى ١٨٦٠ عاش نحو ١٥٪ من يهود الولايات المتحدة فى الجنوب واستطاع المهاجرون إلى أمريكا - سواء كانوا يهوداً أم غير يهود - أن يندمجوا بسرعة فى الاقتصاد الأمريكى السريع النمو فى مجالات الزراعة والصناعة والنقل.

كان اليهود فى أمريكا يتمتعون منذ البداية بقدر وفير من الحرية الاجتماعية والاقتصادية لم يعرفه اليهود فى أوروبا قط لأن يهود أوروبا اصطدموا بموروثات أيديولوجية مسيحية تحط من شأنهم تحملهم وزر ما فعله أجدادهم الذين سفكوا دم المسيح. غير أنه من الخطأ أن نعتقد أن أمريكا خلت تمامًا من كل أثر للتحيز والتمييز ضد السامية فقد ارتبط اليهود فى أذهانهم باسم شيلوك المرابى الجشع كما أن الأيديولوجية المسيحية التى ورثتها أوروبا جيلاً بعد جيل لم تتلاشى تمامًا من أذهان الأمريكيين. ولكن الجدير بالذكر أن مثل هذه التداعيات الأوروبية التقليدية عن اليهود أثرت بعض الشيء فى أفكار الأمريكيين دون أن تؤثر فى مسلكهم إزاء اليهود. ولكن مع زيادة أعداد اليهود المهاجرين إلى أمريكا برزت الأيديولوجية المسيحية التى تدين اليهود لرفضهم الإيمان بالمسيح كمخلص للبشرية كما قويت واتضحت صورة المرابى الجشع الذى ينحصر كل تفكيره فى المال. وليس فى هذا ما يدعو للغرابة والعجب فهو نتيجة طبيعية لزيادة انخراط اليهود فى معترك الحياة الاقتصادية الأمريكية بشكل أوثق وأوضح من ذى قبل .

وفى أوائل عقد الأربعينيات كان اليهود فى أمريكا يمتلكون حوانيت صغيرة ويعيشون فى أكواخ متواضعة فى مدينة نيويورك حيث ازدحم شارع تشاتنام بمخازنهم التى تتاجر برهوناتهم القديمة. ويتضح لنا هذا من الوصف الذى تركه لنا كورنيلوس ماتيوز عام ١٨٤٥. ويمكن القول إن اليهود بدأوا يظهرون فى الأدب الأمريكى عندما أخذوا يظهرون فى المجتمع الأمريكى ويصبح لهم وجود واضح . وفى فترة ما قبل الحرب الأهلية الأمريكية شاعت رواية مدينة الكويكرز التى ألفها جورج ليبارد. نشر لابارد هذه الرواية مسلسلة فى صحيفة ساتردى إيفنبج فى سبتمبر ١٨٤٤ ثم نشرها بين دفتى كتاب فى العام التالي. وبلغ ذيوع هذه الرواية مبلغًا جعلها تظهر فى ثلاثين طبعة فى خلال فترة لا تتجاوز الأربعة أعوام. والجدير بالذكر أن الروائى جورج لابارد جمع فى أدبه بين العطف على الفقراء وكراهية الأجانب وعداوة السامية فى آن واحد.

الأديب جورج ليبارد GEORGE LIPPARD واليهود :

ولد جورج ليبارد فى فيلادلفيا عام ١٨٢٢ واتجه إلى دراسة اللاهوت التى ما لبث أن هجرها عندما اقتنع بأن المسيحية تنطوى على كثير من مظاهر النفاق. ثم اشتغل كاتبًا قانونيًا. غير أنه أيضًا انصرف عن القانون عندما تبين أن القانون لا يكفل تحقيق العدل بين الناس. وعندما بلغ لابارد العشرين من عمره احترف الصحافة وأخذ يكتب القصص القصيرة والمقالات فى المجلات. ولكنه يبدو أنه أنهك نفسه فى الكتابة لدرجات أدت إلى اعتلال صحته. ومما زاد من حنقه على طبقة الأغنياء أن أحد البنوك جار على حقه فى الإرث وامتنع عن إعطائه عشرة آلاف دولار وزادته هذه الحادثة اقتناعًا بأن الأغنياء لا يكفون عن استغلال الفقراء وخداعهم وأن الطبقة الحاكمة فى فيلادلفيا طبقة عفنة فاسدة ينخر فيها السوس الأمر الذى حدا به إلى أن ينذر حياته للهجوم على الأغنياء.

وفى عام ١٨٤٣ وقعت جريمة قتل بشعة ومثيرة أوحت إلى ليبارد بتأليف حبكة روائية تعبر عن احتقاره وزرايته بطبقة الحكام والوجهاء الأمريكيين. فقد قام أحد وجهاء فيلادلفيا بقتل زميل له من نفس طبقته لأنه اختطف أخته وانتهك عرضها واضعًا إياها فى أحد بيوت الدعارة. وعندما عرضت القضية على المحكمة بادر المحلفون بتبرئة القاتل بعد جلسة قصيرة للغاية لم تدم أكثر من نصف ساعة. ونجح ليبارد عن طريق روايته أن يألب الرأى العام ضد طبقة الأثرياء. وعندما أعلن البعض عزمه على تحويل الرواية إلى عمل مسرحى لتقديمه على خشبة المسرح تملك الخوف حكام فيلادلفيا وانتابهم الفزع فقد خشوا من أن تضمهم المسرحية وتتفضح حياتهم الخاصة مما سيثير ضغينة الشعب ضدهم. ولهذا السبب أصدر عمدة فيلادلفيا أمراً بحظر المسرحية خوفًا من أن تثير الشغب والقلاقل. وفى فترة الخمسة شهور التى أعقبت حظر تمثيل المسرحية بلغ عدد النسخ المباعة من رواية ليبارد ثمانية وأربعين ألف نسخة الأمر الذى شجعه على تأليف المزيد من الروايات. والجدير بالذكر أنه كان صديقًا للشاعر الأمريكى المعروف إدجار ألان بو وساعد هذا الشاعر الذى اعتلت صحته على القيام بآخر رحلة له إلى الجنوب الأمريكى عام ١٨٤٩.

وتسعى رواية ليبارد «مدينة الكويكر» إلى الزراية بالجنس الأدبى المعروف بالرواية القوطية حيث تجوس الأرواح والجان على نحو يخلع قلوب القراء. وكذلك تصور الرواية أحد بيوت الدعارة التى اعتاد بعض الرهبان ارتيادها. وأيضًا تدور بعض أحداث الرواية حول واقعة غش وتزوير يرتكبها يهودى اسمه جابرييل فان جيلت لصالح رئيس دير. ولا يكتفى فان جيلت بهذا التدليس الذى يحصل نتيجته على عشرة آلاف دولار بل يقتل الأرملة سمولى التى تحتفظ بهذا المبلغ مستوليًا على ثلاثة آلاف دولار من مدخراتها.

وكذلك تحتوى الرواية الأخرى التى ألفها ليبارد عام ١٨٥٣ بعنوان «مدينة الإمبراطورية» على شخصية يهودى شرير يعكس فساد الحياة فى نيويورك وهناك كاتب آخر من نيويورك اسمه تشارلس آى بريجز يعالج اليهود فى روايته على نحو مماثل فى روايته المنشورة عام ١٨٣٩ بعنوان «مغامرات هارى فرانكو». وهارى فرانكو صبى غرير قام اليهودى أيزاكس بخداعه وإيقاعه فى حبائله. ويحضر هذا الغلام الساذج إلى مدينة نيويورك سعيًا وراء الرزق ويذهب إلى مزاد فى أحد محلات برودواى ويقترب منه اليهودى النصاب أيزاكس ويطلب منه دخول المزاد وشراء صندوق مزركش، وبالفعل يشترى الصبى الساذج الصندوق بخمسين دولار. ويتعهد له اليهودى المحتال أن يشتريه منه فى اليوم التالى بنصف الثمن. غير أن هذا المحتال يختفى عن الأنظار دون أن يترك وراءه أى أثر. ويكتشف الغلام المخدوع أن اليهودى النصاب أحد العاملين بالمحل الذى انعقد فيه المزاد. ويسقط فى يده ويجد نفسه مضطراً إلى بيع الصندوق إلى صاحب المزاد نظير خمسة دولارات فقط.

الكاتب بريجز BRIGGS يرسم صورة كاريكاتورية منفرة لليهود:

وأيضًا كتب بريجز عام ١٨٤٣ رواية بعنوان «التاجر الذى تسكنه الأرواح الشريرة» ترسم صورة مشابهة لليهودى فان جيلت فى رواية ليبارد «مدينة الكويكر» التى نشرت فى وقت لاحق الأمر الذى يوحى بأن ليبارد استمد فكرة روايته من رواية «التاجر الذى تسكنه الأرواح الشريرة» التى تدور حول توم وفريد تاك اللذين يستأجران يهوديًا اسمه جاكوبز لسرقة وصية عمهما. ولكن جاكوبز يخطئ ويعطى

هذا العم جرعة مخدر زائدة فيقتله، فضلاً عن أنه يخطئ فيسرق وصية غير المطلوبة. ويخشى ابنا العم افتضاح أمرهما فيحرضان جاكوبز على الهرب من المدينة. غير أن البوليس يتمكن من القبض عليه قبل أن يلوذ بالفرار. وتنتهى أحداث الرواية بأن يلقى الشرطة القبض على ابنى العم الشريرين اللذين يتآمران على حياة عمهما البريء، ويحكم عليهما بالسجن مع اليهودى الشرير والمزور جاكوبز.

يتضح مما تقدم أن الروائى الأمريكى بريجز يرسم صورة منفرة لليهود فى روايته «التاجر الذى تسكنه الأرواح الشريرة». وهو يستمر فى رسم هذه الصورة النمطية المنفرة فى روايته «صنع ممر» (١٨٤٤) حيث يقابل البحار الشاب جاك بلاسكيث خادمة يهودية تتحول إلى المسيحية تدعى أنطوانيت ويقع فى غرامها ولكنه يغرق فى إحدى رحلاته. ويدفع الشوق والحنين هذه الفتاة إلى رؤية أخوتها وأخواتها وتقوم بزيارتهم سراً. غير أن أباها يضبطها ذات مرة فيطردها شر طردة من بيته بسبب عقوقها واعتناقها الدين المسيحي. والجدير بالذكر أن المؤلف الأمريكى بريجز يترفق فى معاملته بهذه الفتاة لأنها تحولت إلى المسيحية فى حين أنه استمر فى رسم صورة منفرة لليهود بوجه عام.

الروائى جون بوشامب جونز John Beauchamp Jones يعادى السامية:

وألف الكاتب الأمريكى (المسيحي) جون بوشامب سلسلة من الروايات التى تعبر عن عداوته للسامية لأسباب اقتصادية. وتلقى هذه الروايات الضوء على التحايل وأعمال النصب التى يلجأ إليها التجار اليهود فى تنافسهم غير الشريف مع غيرهم من التجار. فالتاجر اليهودى موسى توبال فى روايته، «التاجر الغربي»، (١٨٤٩) يفتتح محلاً فى هانيبال بولاية ميسوري. ويدخل هذا اليهودى اللئيم فى روع زبائنه أن البضاعة التى يقوم ببيعها مسروقة، ولهذا فهى أرخص من البضائع التى يتاجر فيها لوقا منافسه المسيحي. ومعنى ذلك أن هذا اليهودى النجس لا يجد أية غضاضة فى التضحية بسمعته فى سبيل الكسب واجتذاب الزبائن، ويعطينا التاجر المسيحى الأمين لوقا صورة منفرة للتجار اليهودى الذين يمارسون أعمال

النصب والاحتيال دون أى وازع من ضمير ويرى المؤلف جون بوشامب أنه حتى ولو كان متحيزا بعض الشيء ضد اليهود فإن تجاربه فى الحياة أقنعته بأنه على حق فى تحيزه. وتنشب بين التاجر اليهودى موسى والتاجر المسيحى لوقا حرب اقتصادية ضارية يحاول فيها كل منهما أن يدمر الآخر. ومن جانبه لا يتورع التاجر المسيحى عن الإيقاع بالتاجر اليهودي. وأخيراً أشهر التاجر اليهودى إفلاسه على غير الحقيقة حتى يتمكن من نقل بضائعه إلى متجره الجديد فى مكان بعيد. ويعلق لوقا عن ذلك بقوله إن التجار اليهود يجدون أن مصلحتهم تقتضى منهم التنقل الدائم من مكان إلى آخر وفى المنظر الأخير من الرواية يقابل االتاجر المسيحى لوقا غريمه موسى فى ميناء سانت لويس حيث يهرب بضائعه إلى المحل الجديد الذى يفتتحه فى مدينة جيفرسون.

ويواصل الكاتب جون بوشامب جونز رسم نفس الصورة المنفرة للتاجر اليهودى وأترابه فى المدن الجديدة المنشأة فى ولاية ميسورى وأيضًا فى رواية أخرى بعنوان «حياة ومغامرات تاجر فى الأرياف» (١٨٣٤) التى تدور أحداثها حول نشاط يهودى اسمه موسى راين. ويشكو أصحاب الحوانيت أن موسى يخطف زبائنهم عن طريق بيع بضائعه بسعر أرخص من السعر الذى يبيعون به. ولكن أحد التجار المنافسين له ينشط فى ترويج إشاعة مضادة تهدف إلى تحطيم موسى. ومنها أن موسى استأجر مساعداً له فى تجارته أتى به من ألمانيا وأن هذا المساعد يجهل اللغة الإنجليزية جهلاً تامًا. وتنتهى الرواية باشتعال النيران فى محل موسى اليهودى واحتراقه بالكامل ونجاحه فى الحصول على التعويض المناسب لما لحق به من أضرار رغم أن البعض اشتبه فى أنه قام بنفسه بإحراق مخازنه. ويبيع هذا اليهودى بقية البضائع التى نجت من الحريق ثم يغلق محله ويشد رحاله إلى مدينة أخرى دون أن يسدد ما عليه من ديون. تختلف هذه الرواية بعض الشيء عن سابقتها فى أنها تجنح إلى معالجة اليهود بزراية تمتزج بالدعابة فى حين أن سابقتها «التاجر الغربي» تستهزئ بهم بكل وضوح وجلاء.

غير أن المؤلف جون بوشامب جونز لا يلبث أن يهجر تناول موضوع التنافس بين التجار اليهود وغير اليهود ليعود إلى معالجة موضوع اشتغال اليهود بالرهونات

فى روايتيه اللاحقتين وتحمل إحداها عنوان «آل ألونكلز» التى ألفها عام ١٨٥٥. وتدور أحداثها حول بعض الطلبة فى برستون الباحثين عن التسلية وإزجاء وقت الفراغ بأن يتظاهروا بانهم يرغبون فى رهن ماسة فى محل يهودى أمريكى يدعى إبراهام ليبان. ولكن صاحب المحل ليبان يشك فى جديتهما، ويدل الجزء الأول من أحداث الرواية أن مؤلفها لا يقسو فى هجومه على اليهود ولكن قسوته فى الحكم عليهم تتضح عندما يأتى إليه شاعر اسمه بولن يهدى إليه قصيدة عصماء فلا يكترث بها ويقبل اليهودى رهنها مقابل مبلغ زهيد من المال. وعندما تتحسن ظروف الشاعر المالية ويفك رهن قصيدته يتضح له أن الفوائد قد تراكمت عليه على نحو يجعله عاجزاً عن السداد.

وفى عام ١٨٥٩ ألف جونز رواية أخرى بعنوان «حرب الحدود» هاجم فيها اليهود بنفس الضراوة السابقة وتتنبأ الرواية بوقوع الحرب الأهلية الأمريكية التى لم يمر عامان فقط على صدورها حتى كانت هذه الحرب قد وقعت بالفعل. وتصور هذه الرواية اليهود على أنهم وحوش كواسر يدخلون مزادات المفلسين للانقضاض على ممتلكاتهم بأبخس الأثمان. وتحدثنا الرواية عن يهودى جشع اسمه سولومون ماوزر يحتفظ بكنز فى صندوق فى حجرة فوق السطوح وعندما يهب لاسترجاع كنزه يكتشف أن البعض يدعون ملكيتهم للصندوق وأن شرطيًا قد عين لحراسته. ،ويحاول اليهودى أن يقنع الشرطى بأن واحداً من غلمانه سرق منه الصندوق دون جدوى أو طائل. بالعكس يعبر الشرطى الحارس عن ابتهاجه لعودة الكنز إلى ضحاياه الغلابة أصحاب الثروة الحقيقيين.

جورج ج فوستر GEORGE G. FOSTER يهاجم اليهود بضراوة

ونحن نطالع هجومًا شديد الوطأة على اليهود فى الكتاب الشائع الذى ألفه جورج ج فوستر عام ١٨٥٠ بعنوان «نيويورك فى ضوء مصابيح الغاز» حيث يدلف المؤلف إلى عالم الجريمة فى نيويورك. ويحتوى هذا الكتاب على فصل بعنوان «خمس نقاط» يتناول حياة اليهود الأمريكيين، وكيف أنهم يتاجرون فى المسروقات التى يشترونها من اللصوص بأبخس الأثمان، ويذكر فوستر عن هؤلاء التجار اليهود أنهم كانوا يعيشون خلف حوانيتهم وينجبون كثيراً من العيال. ،يعطينا المؤلف وصفًا

لخصائص اليهود الجسدية فيقول إنهم يتمتعون بخفة الحركة ويتصفون بلمعان العيون والأنوف المقوسة التى تبث الخوف والفزع والاحتقار فى كل من يراها. فهولاء اليهود يبدون كالوحوش الكواسر.

ولا يختلف وصف فوستر لليهود عن وصف بيتر هاملتون ماير المنحل والبذيء لهم فى روايته الميلودرامية التى ألفها عام ١٨٥٤ بعنوان «وريث البخيل». وتدور هذه الرواية حول بطلها الذى يمر بضائقة مالية فذهب إلى يهودى يدعى دافيد هيكس فى متجره الشبيه بالجحر المظلم ويطلب منه أن يقرضه بعض المال. ،ويدعى التاجر اليهودى أنه فى عوز شديد. ولكنه رغم ذلك يوافق على إقراضه المبلغ المطلوب بشرط أن يعيده إليه عشرة أضعاف. وهكذا يظهر لنا اليهودى المرابى كوحش كاسر يفترس ضحيته. ومما زاد من شيوع هذه الرواية أنها ظهرت فى طبعة شعبية رخيصة فضلاً عن التحسن آنذاك فى تقنيات الطباعة وانتشار محو الأمية بين أبناء الطبقة العاملة.

جوزيف هولت إنجراهام Goseph Holt Ingraham يقدم أنماطًا يهودية

ويعتبر الروائى الشعبى جوزيف هولت إنجراهام المولود عام ١٨٠٩ والمتوفى فى مسيسبى عام ١٨٦٠ واحداً من أكثر الكتاب استفادة من التحسن الذى طرأ مؤخراً على تقنيات الطباعة واتساع نطاق إلمام عامة الناس بالقراءة والكتابة. ويتضح لنا فى الخطاب الذى سطره لونجفيلو يوم ٢٢ أكتوبر ١٨٣٨ أن إنتاج إنجراهام الروائى كان وفيراً وغزيراً بشكل غير عادي. فقد كتب ثمانين رواية منها عشرين رواية فى عام واحد. وكان من عادته أن ينشر رواياته مسلسلة فى الصحف والمجلات ويتقاضى عليها نحو ثلاثة آلاف دولار سنويًا. والجدير بالذكر أن إنجراهام - بعد أن أصبح قسيسًا بروتستانتيًا - أصدر ثلاثية روائية تعالج الدين فاقت فى ذيوعها كل ما سبق له نشره. ويبدو أن إحدى المجلات الشهرية الصادرة فى نيويورك قابلت ارتداءه ملابس الكهنوت بامتعاض شديد فقد ذكرت هذه المجلة أنه بعد أن أصدر فى عشرة أعوام أكثر الكتب إباحية وانحلالاً نراه الآن يرتزق من الدين.

قدم إنجرهام إلى قرائه أنماطًا للشخصية اليهودية فى بعض أعماله الروائية

مثل رواية «مولوخ المرابى أو اليهودية الحسناء» التى نشرها عام ١٨٤٥ ثم أعاد نشرها عدة مرات. والمرابى اليهودى مولوخ يتصف بقسمات شرقية ويتحدث اللغة الإنجليزية بنوع من العجمى فى حين أن ابنة أخيه الحسناء التى تساعده فى عمله واسمها راشيل تتحدث الإنجليزية كما يتحدثها أهلها. ويقع دولنج وهو ابن غير شرعى لدوق إنجليزى فى براثن مولوخ بسبب لعب القمار والاستدانة. ويعبر هذا المسيحى المستهتر عن شدة زرايته بالمرابى اليهودي. ويخل اليهود. ولا يكترث مولوخ بهذا بل يعرض أن يخلص دولنج من ورطته بأن يقرضه المال بالربا الفاحش. ويستشيط المسيحى غضبًا من هذا العرض ويهدد بالتبليغ عن اليهودى لانتهاكه قوانين منع الربا فيهدده اليهودى بدوره بالتبليغ عن قيامه بتزوير توقيع والده الدوق على أحد الشيكات. فيتراجع دولنج عن تنفيذ تهديده ويقبل المصالحة.

ومن الأكليشيهات الأدبية التقليدية فى أدب جوزيف هولت إنجراهام الروائى أنه حذا حذو المؤلفين الآخرين عندما رسم صورة جميلة للمرأة اليهودية رغم احتقاره للجنس السامي. ويتضح من الرواية أن المرابى اليهودى مولوخ فى تعامله مع دولينج كان دائمًا يسعى إلى إذلاله والانتقام من والده الدوق الذى سبق أن أهانه إهانة بالغة فى أكسفورد لأنه رفض أن يعترف بأن يسوع هو المسيح. ويستغل مولوخ ورطة مدينه دولينج المالية فيرغمه على الزواج من ابنة أخيه اليهودية. ويقبل دولنج الزواج منها صاغراً وينسيه جمالها احتقاره للجنس السامي. ويستشيط الدوق غضبًا عندما يعلم بهذا الأمر ويقرر حرمان ابنه من الميراث ويلومه على وضاعته التى لا حد لها والتى جعلته يفقد كل إحساس بالكرامة والشرف بقبوله الزواج من يهودية.

وكذلك ترسم رواية إنجراهام «روميرو» صورة أخرى منفرة للتاجر اليهودى البخيل. وتقع أحداث هذه الرواية فى أسبانيا حيث نرى الكنيسة تمر بضائقة مالية فتضطر إلى رهن حجة ملكيتها عنده. وتعجز الكنيسة عن سداد ديونها وعن فك الرهنية حتى اليوم الأخير المتفق عليه. وفى اللحظة الأخيرة يحضر روميرو (وهو قرصان سابق أصبح رئيس دير) ونفر من اتباعه ويقومون بتقييد اليهودى واستعادة حجة الكنيسة بالقوة دون أن يشعروا بأدنى ذنب وبأنهم يرتكبون معصية.

وبالإضافة إلى هذا ألف إنجراهام رواية ثالثة عام ١٨٦٠ بعنوان «الجنوب المشمس» تدور حول شخصية من العصر الحديث. وتتكون هذه الرواية من مجموعة رسائل تكتبها مربية من الجنوب الأمريكى تدافع عن نظام نخاسة العبيد الذى انتشر هناك. ولا تجد هذه المربية غضاضة فى أن تقول إن الرجل الأفريقى سعيد بعبوديته.

وهناك أيضًا إشارات أخرى إلى اليهود تخالف الصورة الشريرة لليهود التى درج المؤلفون على رسمها. ولعل هذا يرجع إلى السمعة الحسنة العريضة التى حققها فى الحياة الأمريكية سياسى يهودى وعضو مجلس الشيوخ هو السيناتور جوداه ب. بنيامين. ويعلق البعض على اختيار هذا اليهودى لشغل هذا المنصب المرموق بأنه دليل دامغ على بعد المجتمع الأمريكى عن التفرقة الدينية. ويذهب هذا البعض إلى أنه ليس بمستبعد أن يختار الأمريكيون رئيسًا يهوديًا يحكم الولايات المتحدة. ولا غرو فهم نسل داود وإسحق وإبراهيم وسليمان. ويتعجب هذا البعض من أن ملامح اليهودى لم تتغير أو تتبدل عبر الزمان وعبر القرون الطويلة من الغربة والشتات. فاليهودى فى يومنا الراهن له نفس ملامح اليهودى فى العهد القديم وفى أيام المسيح. ثم يعرض هذا البعض لوصف مفصل للشكل المميز للعين اليهودية وكيف أنها تختلف عن عيون بقية الخلق وسائر البشر فى أنها تجمع بين الحزن واللمعان. فضلاً عن أن نسل اليهود يؤكد أن نبوءة الإنجيل عن عودتهم من شتاتهم إلى أرض الميعاد وإلى بيت المقدس لابد أن تتحقق. وفى رأيه أن المعجزة اليهودية الحقيقية تتلخص فى قدرة اليهود على التواصل والاستمرار فى الاحتفاظ بهويتهم القومية ورفضهم الانصهار فى بوتقة المجتمعات والشعوب المختلفة التى يعيشون فى ظلها، وعندما يعود اليهود إلى وطنهم إسرائيل فسوف يزحفون للاستيلاء على أورشليم أو بيت المقدس الذى سوف يصبح ملكًا خالصًا لهم. وسوف تصير القدس مركز التجارة فى العالم وسوف تمتلأ بالفضة والذهب والجواهر النفيسة التى ينقلها إليها التجار اليهود فى كل بقاع المعمورة. وإذا كان هذا يعنى شيئًا فإنه يعنى أن حلم هرتزل الصهيونى بإقامة دولة يهودية كبرى فى فلسطين لم يأت من فراغ.

الروائية إما دوروثى إليزا نيفيت Emma Dorothy Eliza Nevitte

وأيضًا ذاعت شهرة كاتبة أخرى من الجنوب الأمريكى اسمها إما دوروثى إليزا نيفيت التى تكبر الروائى جوزيف إنجراهام بعشرة أعوام. ولدت نيفيت عام ١٨١٩ وتوفيت عام ١٨٩٩ قاضية جانبًا كبيراً من حياتها فى مدينة واشنطن ولم تدم حياتها الزوجية طويلاً إذ سرعان ما دب الخلاف بينها وبين زوجها وانفصلت عنه. وفى ليلة عيد ميلاد السيد المسيح عام ١٨٤٤ خطر لها - بعد أن أخذت أطفالها إلى الفراش - أن تؤلف قصة بعنوان «اللاجئ الأيرلندي» لنشرها فى المجلة التى أصدرها الدكتور سنود جراس بعنوان «زائر بالتيمور اليومي». ولقيت هذه القصة نجاحًا كبيراً الأمر الذى شجع مؤلفتها على الاستمرار فى الكتابة. وقد اشتغلت نيفيت بالتدريس فى المدارس حتى أصبحت ناظرة مدرسة. ونحو عام ١٨٤٧ قامت دار نشر هاربر بنشر أولى رواياتها بعنوان «الانتقام». وفى أواخر عقد الخمسينيات من القرن التاسع عشر وقعت عقداً بنشر مسلسل روائى بين دفتى كتاب. وتحولت روايتها «اليد الخفية» (١٨٥٩) إلى عمل مسرحى بلغ حداً من الشعبية إلى درجة أنه نافس رواية «كوخ العم توم» الذائعة الصيت. ونشرت نيفيت فى حياتها ما بين خمسين وستين رواية ظلت المطابع تنشر جانبًا منها حتى عقد الثلاثينيات من القرن العشرين.

كانت إما نيفيت تعتمد على اللهجات الدارجة التى يستخدمها الزنوج واليهود فى خلق جو من الدعابة. وتشتمل خمسة من رواياتها على أقل تقدير على الشخصيات اليهودية. وتحتوى إحدى رواياتها وهى بعنوان «عرس إيفا» (١٨٦٤) على شخصية يهودى يمتلك محلاً للرهونات ترهن فيه لورا خاتمها الثمين الذى يصل ثمنه إلى مائة جنيه نظير خمسة جنيهات فقط لا غير. ونطالع نفس الغش والتلاعب والاحتيال اليهودى فى الرواية التى ألفتها عام ١٨٦٥ بعنوان «دير أولورث» وفى رواية أخرى منشورة على حلقات فى الفترة بين عامى ١٨٥٤ و١٨٥٥ بعنوان «ميريام المنتقمة» نرى المؤلفة نيفيت توضح لنا نذالة الانتقام وخسته وخلوه من الأخلاق. والرواية تضم ثلاث شخصيات يهودية هى ميشيل وماريان وميريام.

والجدير بالذكر أن روايتيها «إشمائيل» (١٨٦٤) و«القائمة من تلقاء نفسها» (١٨٦٥) حققتا ذيوعًا هائلاً ونجاحًا منقطع النظير فقد بلغ عدد النسخ المباعة من كل من هاتين الروايتين مليونى نسخة. وتصور رواية «القائمة من تلقاء نفسها» شخصية امرأة يهودية تدعى بيرنيس تتميز بالفضيلة وتتحلى بحميد السجايا نتيجة اعتناقها الدين المسيحي.

الكاتب الأيرلندى المهاجر فيتز جيمس أوبرين Fitz James O'Brien

ونحن نشاهد صورة اليهودى المعاصر فى قصة بعنوان «عدسة من الماس» سطرها الكاتب الأيرلندى فيتز جيمس أوبرين ونشرها لأول مرة عام ١٨٥٨ فى مجلة «شهرية الأطلنطي». ولد أوبرين فى أيرلندا عام ١٨٢٨ ثم هاجر إلى الولايات المتحدة وهو فى الرابعة والعشرين من عمره. ومات عام ١٨٦٢ أثناء مقاتلته للمتمردين. وتحكى هذه القصة عن أمريكى يدعى لينلى تستهويه فكرة اختراع ميكروسكوب قوى للغاية. ويحتاج لينلى إلى ماسة ضخمة تعينه على اختراعه ويتعرف على يهودى لص خسيس اسمه سيمون يتاجر فى العبيد ويشتغل بالنخاسة، وفى إحدى نوبات سكره يعترف له هذا اليهودى بأنه يحتفظ سراً بماسة هائلة الحجم كان قد سرقها من أحد الزنوج. ويستبيح لينلى لنفسه سرقة مثل هذا اليهودى المجرم واللص فى سبيل خدمة التقدم العلمى واختراع ميكروسكوب شديد القوة.

ونحن نرى صورة اليهودى كمجرم من طراز مختلف عن بقية المجرمين متمثلة فى الرواية التى ألفها جوزيف أ. سكوفيل عام ١٨٦٤ بعنوان «العنفوان». كان سكوفيل يعمل صحفيًا ماليًا ومؤرخًا لدى بعض الشركات فى نيويورك كما كان شديد الإعجاب بقدرة اليهود الفائقة فى إدارة أعمالهم وشركاتهم. ولهذا بدا غريبًا أن يقدم إلينا شريراً يهوديًا فى روايته على قدر كبير من الفسق والمجون ينفق أمواله على شهواته وملذاته. وفى زيارة له إلى دار الأوبرا يقوم هذا اليهودى بمضايقة فتاة حسناء تجلس أمامه فيغتاظ أخوها ويتشاجر معه ويصيبه إصابة مميتة. غير أن الرواية تصور أيضًا بعض المرابين اليهود الشرفاء. وبذلك يكون سكوفيل قد قلب الآية فبرأ التاجر اليهودى من الشرور فى حين أنه يضفى الشر والإجرام على اليهود غير التجار.

الروائى ناثانييل باركر ويليس يحتقر اليهود Nathanial Parkar Willis

ويعبر الروائى ناثانييل باركر ويليس عن شديد احتقاره لليهود فى روايته غير الطويلة التى ألفها عام ١٨٣٦ بعنوان «غجرية من ساردييس». وتدور أحداثها حول الحب الأفلاطونى الذى ينشأ بين شاب أمريكى وفتاة غجرية من آسيا الصغرى يلتقى بها فى عام ١٨٣٤. وتذهب الفتاة الغجرية إلى القسطنطينية فى حماية حبيبها الذى يصطحب معه مترجمًا يهوديًا للتفاهم مع أهل البلد. وهو يهودى سيء ينشرح قلبه كلما وجد إنسانًا فى محنة أو ضائقة. ويبدو أن رواية ويليس القصيرة تتسم بالضحالة وتفتقر إلى العمق شأنها فى ذلك شأن قصائده الشعرية التى تعالج موضوعات دينية مستقاة من العهدين القديم والجديد. والجدير بالذكر أن ويليس لا يتناول اليهود فى أمريكا بل يتناول اليهود الذين يعيشون فى بلاد أجنبية.

جون لوثروب موتلى يتحدث عن اليهود فى بلاد أجنبية

John I. Motley

وأيضًا يعتبر جون لوثروب موتلى أحد الروائيين الأمريكيين الذين يتناولون اليهود فى البلاد الأجنبية. ويتضح لنا هذا من الرواية التى نشرها عام ١٨٣٩ بعنوان «أمل مورتون» التى تدور أحداثها حول سعى رجل جشع غير يهودى من الزواج من فتاة يهودية فاتنة على جانب كبير من الثراء تدعى جوديث. ولكن والدها يعترض على هذا الزواج غير المتكافئ فيلجأ الرجل الجشع إلى ابتزازه عن طريق شخص آخر يعرف جميع أفعال اليهودى القذرة ويهدده بفضح أسراره.

س . ب. بيكيت S.B. Beckett يتناول اليهود كأجانب وأغراب

وتستخدم بعض القصص الأمريكية أحيانًا الشخصيات اليهودية لرسم صورة غريبة وغامضة وجذابة لها كما نرى فى تلك القصة القصيرة التى ألفها س. ب. بيكيت بعنوان «يهودية القاهرة» المنشورة عام ١٨٤٠ - ١٨٤١ فى مجلة «المرشد إلى سيدات البيوت». وتروى لنا هذه القصة حكاية شاب أمريكى يدعى فرانسيس ولجيت يسافر إلى القاهرة حيث يخلص حسناء يهودية اسمها نعومى من براثن أعوان

الموالى الذين يحاولون خطفها من أجل إرضاء شهواته غير أن جنود الوالى ينجحون فى إلقاء القبض عليه بالقرب من الأهرامات حيث كان يزمع الهرب بمساعدة والد الفتاة اليهودية. ويظن الشاب أن والد الفتاة اليهودية خانه وأسلمه غدرا إلى الباشا الذى يأمر باقتياده إلى السجن. غير أن نعومى الجميلة تتمكن من دخول السجن خلسة فتساعد مخلصها على الهرب. وينجح أعوان الباشا للمرة الثانية فى القبض عليه كما تنجح نعومى بمساعدة والدها فى تهريبه. ويتضح لنا من أحداث الرواية أن هذا اليهودى وابنته نعومى ليسا من سكان القاهرة بل إنهما جاءا إليها من سوريا لتقديم العون إلى الشتات اليهودى فى مصر. وترسم الرواية صورة للحياة الفخمة التى يحياها أثرياء اليهود فى الشرق. وتتطور أحداث القصة حتى تصل إلى خاتمتها حيث يرجع الشاب الأمريكى إلى أمريكا بلاده ليكتشف أن نعومى قد سبقته إليها، وأيضًا يكتشف أنها ليست سوى صديقة لأخته. وهكذا تنتهى الرواية نهاية سعيدة بزواج الشاب الأمريكى فرانسيس ونجيت من الحسناء اليهودية الثرية نعومي. واللافت للنظر أن اليهود فى هذه القصة أناس طيبون لا يضمرون الشر لأحد.

اليهودية تتحول إلى مسيحية فى رواية سيلفانوس كوب

Sylvanus Cobb

وهناك أيضًا فتاة يهودية حسناء فى رواية ميلودرامية غثة ألفها سيلفانوس كوب بعنوان «المملوك» تحت اسم مستعار هو ب. بارلى بور جوديث فيتراك. وتخبرنا أحداث هذه الرواية أن هذه الحسناء اليهودية حضرت إلى أرض مصر فقام أعوان الحاكم بخطفها من مدينة الإسكندرية. وتوسلت الحسناء إليه أن يطلق سراحها ولا يضمها إلى حريمه. ولا ينقذها من مصيرها المحتوم سوى مملوك اسمه عثمانلى يقاتل فى صفوف جيش نابليون. وعندما ترتفع عقيرة جوديث بالغناء أمام نابليون ينتشى من جمال صوتها ويقترح عليها أن تسافر إلى باريس كى تنضم إلى فرقتها للإنشاد الأوبرالي. ومن جانبه يصيب الغم والحزن أباها موردخاى الذى يأسى لفراقتها عنه ويسعى جاهداً للبحث عنها فيترك بيته الفخم فى بلاد الشرق ويذهب إلى باريس حيث يجد أن ابنته تغنى على مسارحها. ويعبر الأب عن غضبه من الحياة

التى تحياها ابنته ويرفض زواجها من منقذها عثمانلى ويرغمها أن تعود معه إلى الشرق. ولكن الفتاة تهرب منه وتتزوج من عثمانلى حبيبها بعد أن يسدد البعض طعنه مميتة إلى أبيها فى شوارع باريس.. وتتحول الفتاة إلى الدين المسيحى وتنتهى الرواية نهاية سعيدة عندما تكتشف الفتاة أن حبيبها عثمانلى هو فى حقيقة الأمر ابن لأم إنجليزية وأب أمريكي. ولهذا يقرر العروسان الهجرة والعيش السعيد فى الولايات المتحدة.

اليهودى الشرير فى روايات تيودور سيدجويك فاى

Theodore Sadgwick Fay

ونحن نرى فى الروايتين اللتين ألفهما تيودور سيدجويك فاى نفس صورة اليهودى التقليدية ففى الرواية التى ألفها عام ١٨٤٠ بعنوان «الكونتيسة إيدا» التى تقع أحداثها فى برلين فى نهاية القرن الثامن عشر نجد رسمًا لشخصية يهودى بولندى شرير استأجره رجل أعمال يهودى من أجل اغتيال رجل أعمال منافس له. ورغم أن اليهود فى هذه الرواية لا يحتلون مركز الصدارة وأن تواجدهم هامشى فمن الواضح أنهم طغمة من الأشرار.

وفى عام ١٨٣٩ نشر فاى رواية أخرى بعنوان «سيدنى مكيفتون» تحتل فيها الشخصيات اليهودية مكانة رئيسية. وفى بداية الرواية يقارن فاى بين وضع اليهود فى العالم القديم ووضعهم فى العالم الجديد. يقول فاى فى هذا الشأن إن اليهود فى العالم القديم كانوا لعبة فى يد الطغاة فى حين أنهم فى ظل الدستور الأمريكى أصبحوا يتمتعون بالمساواة والامتيازات. ومع ذلك فإن اليهود لا يزالون يرزحون تحت وطأة التحيزات الفردية والقومية ضدهم. ويذهب فاى إلى أن اليهودى الحديث يستحق عطف المسيحيين والمحسنين عليه. لقد فرض اليهودى على نفسه العزلة عن المجتمع المحيط به عبر القرون فكان فيما مضى يعتز بدينه ويفاخر ويستمسك به فى جلال حزين وعظمة متجهمة. ويشرح فاى التغيرات التى طرأت على اليهود عبر الزمن وكيف أن حماسهم القديم المقدس وذلك الوهج المتقد الذى مكنهم من البقاء أحياء فى البرية قد انحسر، وكيف أن عبقريتهم التى صاغت لغتهم الملهمة تبددت وباتت تائهة فى تفاصيل المعاملات التجارية التافهة. ورغم ذلك فإن

اليهودى لا يزال يحتفظ بين جنباته بشيء من وهجه القديم ونبالته الغابرة.

إن شخصية اليهودى كما رسمها الروائى فاى تمثل ضياع المجد اليهودى الغابر الذى تحول عبر القرون إلى الانشغال بالتفاهات والاهتمام بالربح والمكسب، مما ترك أسوأ الأثر وسبب تلفًا قبل الأوان فى أعصاب المرابى اليهودى إيزاك صامويل. ويستدين الشرير دى ليل من هذا المرابى مبلغًا كبيراً من المال فيمضى المرابى فى استغلاله. ورغم جشعه وخسته فإن المرابى اليهودى صامويل يحب ابنته الجميلة راشيل حبًا عظيمًا. ويتقرب الوغد المدين دى ليل إلى راشيل حتى يتمكن من الإيقاع بها فى حبائله طمعًا فى ثروة والدها. ويكتشف المرابى أن هذا الوغد غرر بابنته فيصمم على الانتقام منه فيطارده عند هربه إلى إنجلترا وينجح فى قتله فى مبارزة ثم يقوم بقتل نفسه.

جوزيف جوناس ومجلة الغرب وغيرها Joseph Jonas

ورغم أن هذه الصورة غير الحميدة لليهودى وأشباهها تحمل فى طياتها العداوة تجاه اليهود فإن هناك ما يشير إلى تعاطف بعض المسيحيين معهم ومؤازرتهم لهم. ومن دلائل هذا العطف تلك المجلة الشهرية التى أصدرها عام ١٨٤٤ بعنوان «الغرب» رجل اسمه جوزيف جوناس الذى استقر فى سنسياتى عام ١٨١٧. ويروى جوناس فى مجلته اليهودية الشهرية مساهمة غير اليهود فى تشييد بعض المعابد اليهودية يقول جوناس إن عدد المساهمين من المسيحيين وغير اليهود فى تشييد المعبد اليهودى فى جبال اليجهانى كان كبيراً لدرجة أن القائمين على المعبد لم يستطيعوا دعوتهم جميعًا لدخوله وحضور الصلاة فيه فاكتفوا فقط بدعوة رجال الإكليروس المسيحى وبعض الذين أجزلوا العطاء والتبرع لبناء المعبد. ويؤكد لنا ليبولد ماير العلاقة الطيبة التى كانت تربط بين المسيحيين واليهود وكيف أن كثيراً من اليهود كانوا يشغلون وظائف رسمية مثل فرق الإنقاذ كما أنهم كانوا يشاركون المسيحيين فى حفلاتهم ومهرجاناتهم.

وفى فترة بحث المهاجرين إلى أمريكا المحموم عن الذهب كان اليهود أول من جاءوا إلى سان فرانسيسكو للتنقيب عنه. ولم يجد هؤلاء اليهود أى تعصب

أومعارضة تذكر بل إن عدداً كبيراً منهم تولى مناصب رسمية. وفى عقد الخمسينيات من القرن التاسع عشر كادت صناعة الملابس فى سان فرانسيسكو أن تكون فى أيديهم. وعندما بدأت الجالية اليهودية فى إقامة معبد لهم رحبت جريدة سان فرانسيسكو المسماة إيفننخ بيكايوم فى عددها الصادر فى ١٥ مارس ١٨٥١ بهذا الحدث مؤكدة أن الأمريكيين سعداء بهم وأشارت إلى أن اليهود فعلوا خيراً عندما اختاروا العيش فى ظل حكومة توفر أقصى درجة من الحماية لحرية الأديان كما أن هذه الحكومة توفر لجميع المواطنين مبدأ تكافؤ الفرص. غير أن الأعمال الروائية ما لبثت أن عادت إلى إعطاء صورة منفرة لليهودى كمراب ورجل أعمال وصاحب محل رهونات. ويذهب بعض المعلقين أن مثل هذه الروايات تعكس المشاعر المعادية لليهود ولكنها لا تعنى بحال من الأحوال أن هذه المشاعر المناوئة لليهود تحولت إلى سلوك عدوانى ضدهم، الأمر الذى يجعل من العسير التحقق من وضع اليهود فى المجتمع الأمريكى آنذاك، وخاصة لأننا نطالع مقالاً يدافع عن اليهود منشوراً عام ١٨٥٦ فى مجلة «أمريكا الشمالية» يدحض فيه كاتبه اتهام اليهود بالانشغال الملتاث بجمع المال. فضلاً عن أنه يمتدح أمانتهم فى كل معاملاتهم المالية. ولكن مثل هذا الدفاع الجاد عن أمانة اليهود المالية اقتصر على المقالات فى حين كانت صورة اليهودى فى الأعمال الروائية الأمريكية مغايرة لذلك.

ونحن نطالع فى الرواية الأمريكية اعتراضًا على فكرة زواج المسيحى أو المسيحية من اليهودية أو اليهودي. وبطبيعة الحال أدى هذا الاعتراض إلى زيادة المشاعر المعادية للسامية. ولكن الرواية الباكرة التى ألفها تشارلس بروكدن براون بعنوان «آرثر ميرفن» تخلو من هذا الاعتراض فليس فيها ما يدل على وجود أية موانع تحول دون هذا التزاوج. ونحن نقرأ عن نفس هذه المشكلة فى الرواية التى نشرتها ماريا إدجورث عام ١٨١٧ فى إنجلترا بعنوان «هارنجتون» الذى يقع فى غرام يهودية. ولكن هذه المؤلفة وجدت حلاً لمشكلة الحب الذى ينشأ بين المسيحيين واليهود بأن كشفت فى نهاية روايتها أن الفتاة ليست يهودية بل إنها فى حقيقة الأمر مسيحية تبنتها عائلة يهودية. وهو نفس المخرج الذى سبق للأديب الألمانى لسنج أن لجأ إليه فى كتابه المعروف «ناثان الحكيم».

سماحة الروائية سارة هول Sarah Holl

وتتميز الروائية الأمريكية المحدودة الشهرة سارة هول بموقفها المتسامح من اليهود، وتناقش السيدة هول مشكلة التزاوج بين المسيحيين واليهود التى أثارتها ماريا إدجورث. والرأى عندها أن إدجورث فى روايتها تسعى إلى تأكيد حقيقة مفادها أن الدين عائق وعقبة لا يمكن التغلب عليها. ولهذا فإنها ترى أنه كان يجدر بإدجورث أن تنهى روايتها بعدم إتمام الزواج بين الحبيبين لاختلافهما فى الدين وأن يضحيا بحبهما فى سبيل الاستمساك بدينهما. وتنكر سارة هول زعم إدجورث انتشار التزاوج بين اليهود والمسيحيين فى الولايات المتحدة دون أن يؤثر هذا فى ديانة الزوج أو الزوجة. وعلى أية حال يبدو أن المجتمع الأمريكى شاهد حالات تزاوج تحول فيها أحد الزوجين إلى ديانة الزوج الآخر إلى جانب عدم الاكتراث الكامل بالدين. ومع هذا فإن سارة هول تعترف بأن العائق الدينى حقيقة واقعة لا يمكن تذليلها أو التغلب عليها. وتضيف سارة هول إلى ذلك قولها إن اليهود أنفسهم لا يرغبون فى الزواج من غير اليهود لأنهم أشد ما يكونون حرصًا على سلامة ونقاوة جنسهم.

قصة مجهولة المؤلف : جوديث بنسادي

وفى عام ١٨٢٨ ظهرت قصة قصيرة بدون توقيع بعنوان «جوديث بنسادي» حكاية مأخوذة من الحقيقة» فى مجلة «السوفينير» المنشورة فى فيلادلفيا. وفيما بعد أعاد المؤلف صياغة هذه القصة القصيرة وحولها إلى رواية نشرها عام ١٨٣٩ فى «الرسول الأدبى الجنوبى». وذكرت هذه المجلة أن مؤلفها هو الدكتور هنرى رافنر رئيس جامعة واشنطن وتدور أحداث هذه الرواية حول التقاء شاب أمريكى يدعى وليم جارام فى أثناء ترحاله بفتاة يهودية حسناء اسمها جوديث بنسادى كانت بصحبة أخيها لى الذى يموت غرقًا ويترك أخته المحزونة وحيدة. فيحن قلب جارام لها. وتحدثنا الرواية عن العوائق التقليدية التى تحول بين زواج غير اليهود من اليهود. وأيضًا تتضمن الرواية دفاعًا عن نظام العبيد السائد فى الجنوب الأمريكي. فأخو الفتاة اليهودية يدعو إلى تحرير العبيد فى حين أن أخته تعارضه قائلة أنها تعتقد أن

العبيد فى أمريكا أفضل حالاً من العمال الإنجليز الذين يفترض أنهم يتمتعون بالحرية.

ويقع جارام فى غرام جوديث التى لا يعلم أنها يهودية حتى تعترف له بذلك. ويرتاع هذا الشاب من فكرة الزواج من يهودية. وتعترف له جوديث أنها تحبه حبًا خالصًا وعميقًا ولا تمانع فى الزواج منه مؤكدة حبها واحترامها للدين المسيحى ولكنها تطلب من جارام أن يفكر مليًا ويستشير عائلته قبل أن يقرر الزواج منها. وعندما يفاتح الشاب أهله فى موضوع الزواج تعترض الأم اعتراضًا شديداً على زواجه من يهودية ولكنها تعدل عن رفضها عندما يقنعها ابنها بأنها تميل إلى اعتناق الدين المسيحي. فضلاً عن أنها سوف ترث عن أمها ثروة طائلة ويرسل الشاب الأمريكى إلى فتاته اليهودية خطابًا يطلب فيه يدها. ولكن يهوديًا يخفيه حتى لا يصل إلى يدها. وتنتهى الرواية بأن تقابل الفتاة شابًا آخر يهديها إلى الدين المسيحى فتتزوج منه. ويتحسر جارام على ضياع الفتاة الجميلة وثروتها الطائلة منه.

وقد لقيت قصة رافنر الآنفة الذكر نجاحًا كبيراً الأمر الذى شجع مؤلفها على استكمالها فى رواية أخرى بعنوان «سيكو سافل» التى قيض لها أن تبوء بالفشل بسبب تعقيد أحداثها المفرط. وتدور هذه الرواية حول رجل يدعى جارام الذى أصبح محاميًا ناجحًا وثريًا. ويكتشف الأمريكى جارام أن حبيبته اليهودية جوديث فى الرواية المستكملة لم تتزوج كما كان يظن وأنها فقدت ثروتها الأمر الذى اضطرها إلى الهجرة إلى أمريكا فيعقد قرانه عليها. ورغم إخفاق الرواية الثانية من الناحية الأدبية فإن أهميتها ترجع إلى أنها تعكس الكراهية المسيحية التقليدية نحو اليهود.

ويجدر بالذكر أن مثل هذه الكراهية الدينية لليهود لم تحل دون تزاوج عدد من المسيحيين والمسيحيات بعدد من اليهود واليهوديات وخاصة من السفارديم. ولكن من الصعب للغاية إحصاء أو تقدير هذه الزيجات. وينبغى ألا يفوتنا أن قبول القارئ الأمريكى المسيحى لشخصية جوديث اليهودية يرجع إلى نبذها الدين اليهودى واعتناقها الدين المسيحى.

ونحن نستخلص من عرض لرواية «سيكوسافل» منشور بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٣٩ عدم ارتياح اليهود لمعالجة البروفيسور رافنر للجوانب السلبية فى شخصيتهم. فالأنقياء والطاهرون فى هذه الرواية يتخلون عن ديانتهم اليهودية ويتحولون إلى الديانة المسيحية الأمر الذى يعطى الانطباع أن النقاء يتنافى مع الشخصية اليهودية. إن اليهود فى أدب رافنر الروائى يزدادون طهراً ونقاوة باعتناقهم الدين المسيحي. وهو أمر يغضب اليهود الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار. وعلى النقيض من ذلك يروق هذا فى عيون القراء المسيحيين الذين ألحوا على مجلة «الرسول الأدبى الجنوبي» أن تعيد نشر رواية «جوديث بنسادي» فى عددها الصادر فى أغسطس ١٨٥٠.

اليهود يحتكرون بعض المهن قبل الحرب الأهلية

ويذكر الدارسون أن العقود السابقة على نشوب الحرب الأهلية شاهدت تحولاً اقتصاديًا واجتماعيًا لعب دوراً بارزاً فى تطور الحياة الأمريكية. يقول هؤلاء الدارسون إن اليهود فى أمريكا أوشكوا أن يحتكروا عمل الباعة المتجولين. وخاصة لأن هذه الحرفة لا تحتاج إلى رأسمال، وكان اليهود المهاجرون من ألمانيا أول من سارعوا إلى اتباع هذه الحرفة. وبحلول عام ١٨٦٠ بلغ عدد الباعة الجوالة فى أمريكا نحو ١٦٦٠٠ معظمهم من اليهود. بدأ البائع المتجول الأمريكى حياته يحمل بضائعه فوق ظهره والتجول من قرية إلى أخرى بحثًا عن الزبائن. فإذا راجت تجارته اشترى عربة وحصانًا للاستعانة بهما فى تنقله من مكان إلى آخر. وإذا راجت تجارته أكثر وأكثر افتتح متجراً فى إحدى القرى أو المدن. ويعطينا مهاجر ألمانى اسمه أوتو رابيوس كان قد هرب من ألمانيا إلى أمريكا فى أعقاب الثورة الألمانية التى اندلعت عام ١٨٤٨ صورة واقعية لتحول مثل هذا البائع المتجول إلى صاحب متجر فى رواية باللغة الألمانية ترجمت إلى الإنجليزية عام ١٨٥٧ «بعنوان البائع المتجول: الحياة الأمريكية الرومانسية.»

ويذكر أن الأدب الأمريكى السابق على الحرب الأهلية لم يتطرق - إلا فى حالات قليلة - إلى موقف اليهود من نظام العبيد الزنوج الراسخة أركانه فى الجنوب

الأمريكي. غير أن الروائى الأمريكى ناثان ماير نشر بعد الحرب الأهلية رواية بعنوان «الخلافات» تتناول هذا الموضوع. والحقيقة أن اليهود كأفراد ورجال دين انقسموا فيما بينهم حول هذا الأمر. فمنهم من هاجم نظام العبيد بضراوة ومنهم من دافع عنه بقوة. ولكن ليس هناك ما يدل على أن المجتمع اليهودى فى أمريكا اتخذ موقفًا موحداً منه. ومن الواضح أن اليهود تأقلموا بسهولة مع تجارة الرقيق الأسود الرائجة فى الجنوب ويتضح لنا هذا مما كتبه كورن فى هذا الصدد فهو يخبرنا أن اليهود فى الجنوب الأمريكى احتلوا مراكز اجتماعية وسياسية مرموقة أكثر من يهود الشمال بسبب اشتغالهم بتجارة العبيد. ومعنى ذلك أن اليهود الأمريكيين ساروا على نفس الدرب الذى سار فيه سائر الأمريكيين. ويلفت كورن أنظارنا إلى أن أمريكا - شمالاً وجنوبًا - عرفت بعض أشكال التحيز ضد اليهود. ولعله من المفيد أن نذكر فى هذا المقام أن بعض رجال الدين اليهودى فى أمريكا آثروا أن ينأوا بأنفسهم عن الخوض فى موضوع تجارة العبيد الشائك مفضلين اتخاذ موقف محايد منه باستثناء صحيفة «الرسول اليهودي» الصادرة فى نيويورك بتاريخ ٢٦ أبريل ١٨٦١ فقد عبرت هذه الصحيفة دون مواربة عن تأييدها للشمال الذى يستنكر نظام العبيد منادية بالوحدة ضد الجنوب الذى يكرس هذا النظام ويدعو إلى الانفصال عن الشمال.

٣- شعراء المدفأة

كان إقبال الأمريكيين فى القرن التاسع عشر شديداً. وبرز فى مجال شعر المدفأة خمسة من الشعراء يعرفون بشعراء المدفأة لأن العائلات الأمريكية دأبت على الاستمتاع بقراءة شعرهم وهم جالسون بجوار نار المدفأة فى بيوتهم. وهؤلاء الشعراء الخمسة هم بريانت وويتيار ولونجفلو وهولمز ولوويل. كان بريانت المولود عام ١٧٩٤ والمتوفى عام ١٨٧٨ أكبر هؤلاء الشعراء سنًا فى حين كان لوويل المولود عام ١٨١٩ أصغرهم سنًا. وكان آخر من توفى من هؤلاء الشعراء الخمسة هو هولمز الذى مات عام ١٨٩٤. ولا مناص من القول إن شعراء المدفأة شاهدوا تحولات جذرية فى المجتمع الأمريكى من الزراعة إلى التصنيع. والملاحظ أن شعراء المدفأة نشروا معظم أشعارهم قبل الحرب الأهلية ومن ثم فهم ينتمون أساسًا إلى المجتمع الزراعي. يشترك شعراء المدفأة الخمسة فى كراهية نظام العبيد السائد فى أمريكا. ولكنهم اختلفوا فى درجة مقتهم لهذا النظام. ولعل الشاعر ويتيار كان أشدهم بغضًا لهذا النظام فى حين كان بغض هولمز له أقل حدة. وبالنظر إلى أن هؤلاء الشعراء الخمسة عاشوا وتأثروا بالغ الأثر بالحياة فى المجتمع الأمريكى الزراعى فإنهم لم يدركوا تمام الإدراك تحول هذا المجتمع إلى التصنيع.

ولم يقم شعراء المدفأة أية صلة مباشرة باليهود. فضلاً عن أنهم لم يفهموا المشكلة اليهودية فهمًا جيداً. ومنهم من أظهر تسامحًا عظيمًا معهم ومنهم من اتخذ موقفًا غامضًا منهم. وباستثناء هولمز استمسك هؤلاء الشعراء على نحو ليبرالى متحرر بالموقف المسيحى التقليدى من اليهود. ولهذا فإن الصواب لم يجانب حول ليبتزن حين قال بكل وضوح وجلاء إن هؤلاء الشعراء يعبرون فى الأساس عن مواقف مسيحية وليس عن مواقف يهودية. ولهذا نراهم يعبرون عن إعجابهم بتاريخ اليهود كما جاء فى التوراة ويتسامحون معهم فى الوقت الحاضر دون اكتراث بمستقبلهم.

ويشذ الشاعر برانيت عن رفاقه من شعراء المدفأة فى أنه لم يتطرق إلى موضوع اليهود فى أى من قصائده. ولكنه يمكننا أن نستشف موقفه من اليهود من ثنايا كتاباته النثرية. غير أنه من الواضح أن اهتمامه بقضايا اليهود لم يكن كبيراً. يقول برانيت فى مقال له بعنوان «المجتمع الأمريكى كمجال لكتابة الرواية» إن اليهودى الأمريكى باستطاعته أن يصلى فى معبده دون أن يتحرش به أحد. وعندما تناول برانيت زيارته إلى إنجلترا عام ١٨٤٩ لم يفته أن يذكر المناقشات الحامية الوطيس التى جرت آنذاك فى مجلس العموم البريطانى حول أحقية اليهود الإنجليز فى عضوية البرلمان الإنجليزي. ويقول برانيت معلقًا على ذلك بقوله إن معظم الآراء حبذت قبولهم فيه. وأيضًا تنبأ برانيت بأن اليهود سوف يستغلون انضمامهم إلى مجلس العموم لشن هجوم شديد الوطأة على مصالح المؤسسات الإنجليزية الحاكمة وإنه لن يكون مستغربًا - عما قريب - أن نسمع عن اليهود الإنجليز أنهم أصبحوا من حملة الألقاب الأرستقراطية وأن يدخل بعضهم مجلس اللوردات. وقد أثبتت الأحداث صحة تنبؤاته فقد نجح اليهود فى إنجلترا فى الفوز بمقاعد اللوردات.

ورغم ما أظهره برانيت من تسامح نحو اليهود فقد كانت لديه بعض التحفظات عنهم. وهى تحفظات يبدو أنه استقاها من الصورة النمطية التى درج الأدباء الأوربيون على تقديمها. ففى عام ١٨٦٦ كتب فى مقاله عن شيلوك إن اليهود لديهم شهوة وظمأ لا ينطفئ لجمع المال. فضلاً عن أن برانت يرى أن شكسبير كان على حق عندما هاجم محبتهم للأصفر الرنان. غير أنه يغيب على شكسبير أنه لم يشرح لنا أن السبب فى هذا يرجع إلى اضطهاد اليهود وحرمانهم من الاشتغال بأى عمل محترم أو شريف. ويرد برانت ما نراه الآن من تسامح مسيحى نحو اليهود إلى أن المسيحيين أنفسهم بدأوا يحبون المال ويسيرون على نفس الدرب الذى يسير عليه اليهود.

وأيضًا يعيب برانت على شكسبير أنه ينسب الرغبة فى الانتقام إلى اليهود فالرأى عنده أن الرغبة فى التشفى والانتقام ليست إحدى الخصال اليهودية. ويذهب برانت إلى أن شكسبير يخطئ عندما ينسب إلى جسيكا احتقارها الشديد لأبيها شيلوك فالعلاقات داخل العائلة اليهودية مشهود لها بالمتانة والحب والوفاء الذى

يجمع بين أفراد الأسرة اليهودية الواحدة.. ولم يغب عن بال بريانت مطلقًا أن معاداة السامية جزء من التجربة اليومية. وبريانت لا يشكو لأن شكسبير يدين الشخصية اليهودية المنفرة ولكنه يلومه لأنه يتجاهل عظمة وجلال شعب إسرائيل. فحتى إذا كانت الشخصية اليهودية منفرة فلا مناص من الاعتراف بجلالها وقوتها الذهنية والروحية وقدرتها على مواصلة الحياة رغم كل ما تعرضت له من اضطهاد. فالفضل يرجع إلى اليهود فى أنهم أعطوا الإنسانية أنبل النواميس وأعظم ما أنتجته القريحة الإنسانية من شعر وموسيقى. وهكذا يتضح أن بريانت يؤمن بثنائية الشخصية اليهودية التى تجمع بين الشهوة المنحطة للمال وسموقها العقلى والروحي.

جون جرينليف ويتيار John Greenleaf Whittier

يخلو شعر الشاعر جون جرينليف ويتيار من الشخصيات اليهودية النمطية. ودعا إلى حرية كافة الشعوب وضرورة تحرير العبيد. وينتمى هذا الشاعر (الذى يتناول تحويل اليهود إلى المسيحية) إلى عائلة من المزارعين فى ولاية ماساشوستس كما ينتمى إلى الملة المسيحية المعروفة بالكويكرز ونحن نرى مشاعره المتعاطفة مع الفقراء والحانية عليهم فى القصيدة التى نظمها بعنوان «الملك سليمان والنمل». وتحدثنا القصيدة عن خروج موكب الملك سليمان ترافقه ملكة سبأ من أورشليم ليقابل فى طريقه رهطًا كبيراً من النمل، ويشكو النمل من أن موكب الملك العظيم سوف يسحقه تحت أقدامه. وتقول ملكة سبأ إنه ينبغى على الوضعاء أن يشعروا بالسعادة لأن أقدام العظماء تدوسهم. ولكن سليمان الحكيم يعترض على هذا بقوله: «إنه يتعين على الحكماء والأقوياء أن يسعوا إلى توفير السعادة للضعفاء. فتتأكد ملكة سبأ من حكمة الملك وعظمته. وأيضًا نادى الشاعر جون ليف ويتيار بضرورة توفير الحرية لكل الأديان والعبادات.

بدأ ويتيار حياته بالتعبير عن طائفة من الموضوعات الدينية المتصلة بالكتاب المقدس مثلما نرى فى قصيدته «حزقيال». وتدل قصيدته «الصلب» على أنه لا يحمل اليهود مسئولية صلب السيد المسيح. وتعتبر قصيدته الباكرة «فلسطين» استرجاعًا للروح الرعوية الساحرة التى ارتبطت فى الأذهان بأرض

الميعاد. فضلاً عن أن ويتيار نظم قصيدتين عن أحبار اليهود أولاهما عام ١٨٨١ بعنوان «الحبر اليهودى إشماعيل» حيث نرى هذا الحبر يتضرع إلى الله كى يترفق بعباده ويرحم ضعفهم فيستجيب له الله. وتحدثنا قصيدته الأخرى وهى بعنوان «الحبران اليهوديان» عن حبر طاهر الذيل لم يعرف الخطيئة إلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. ويذهب هذا الحبر الخاطئ ليعترف لحبر آخر مشهود له بالطهر. غير أن الحبر الآخر يفاجئه بأن يعترف أنه هو أيضًا راودته بعض الأفكار الآثمة. ومن ثم يحاول كل من الحبرين أن يسرى عن الآخر ويواسيه ويهون عليه.

أوليفر ويندل هولمز Oliver Wendell Holmes

يخلو شعر أوليفر ويندل هولمز من أية دعوة أو إشارة إلى هداية اليهود إلى الدين المسيحي. وحذا هذا الشاعر حذو أبيه القسيس أبييل هولمز فى إظهار التسامح الحقيقى مع اليهود. ولا غرو فقد قبلهم كيهود ولم يخطر فى باله مطلقًا أن يحولهم إلى اعتناق المسيحية. وأيضًا آمن هولمز أن اليهود كانوا فيما مضى شعب الله المختار فى حين أصبحت أمريكا فى العصر الحديث أمة الله المختارة، أى أن أمريكا أصبحت فلسطين الجديدة أو بيت المقدس الجديد. وتتجلى سماحة هولمز نحو اليهود فى قصيدة ألقاها فى حفل غداء عام ١٨٤٣ فهذه القصيدة تخلو من أى اعتقاد بأن خلاص اليهود سوف يتحقق عندما يؤمنون بالمسيحية وأن العهد القديم مجرد تمهيد للعهد الجديد. وتجلى موقف هولمز المتسامح من اليهود فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر عندما اشتدت حدة المشاعر المعادية لليهود فى الولايات المتحدة فقد كان واحداً من أبرز المدافعين عن اليهودى جوزيف سليجمان عندما رفض فندق جراند يونيون عام ١٨٧٧ السماح له بالدخول فيه.

والجدير بالذكر أن هولمز كان واحداً من أبرز المؤلفين الأمريكيين الذين طرح عليهم فيليب كوين المحرر بجريدة «اليهودى الأمريكي» أربعة أسئلة تدور حول ظاهرة التحيز ضد اليهود. وهذه الأسئلة الأربعة هي: ١- هل مررت بتجارب شخصية تبرر كراهية اليهود؟ ٢- هل التعاليم المسيحية هى الأصل فى المشاعر المعادية للسامية؟ ٣- هل السلوك اليهودى يختلف عن سلوك المسيحيين المنتمين

إلى نفس الطبقة الاجتماعية؟ ٤- ماذا ينبغى عمله لتبديد التحيز ضد اليهود ووضع نهاية له؟

ويتضح من ردود هولمز على هذه الأسئلة تحرره من التحيز. وهو لا يذكر أن هذا التحيز كان له أى أثر فى تعليمه الدينى باستثناء التراتيل التى ينشدها وقداديس الأحد التى يحضرها. وأضاف أن ظروف الحياة اليومية لم تجعله يحتك بما فيه الكفاية بمسلك اليهود بحيث يستطيع أن يصل إلى حكم عام عليهم. ويذهب هولمز إلى أن القضاء على التحيز ضد اليهودى يقتضى أن يتصف المسيحيون بالتواضع والاتضاع. ورغم أن معرفة هولمز باليهود فى الحياة اليومية كانت محدودة فإنه صادف عدداً منهم عندما سافر للدراسة فى أوروبا عام ١٨٣٤، فقد أتاحت له هذه الفرصة مقابلة مختلف أنواع البشر فى كل أرجاء العالم. يقول هولمز فى هذا الصدد إنه لاحظ أن اليهود لا يختلفون عن غير اليهود كما قد يعتقد البعض.

ويواصل هولمز التعبير عن رأيه فى اليهود وتجربته معهم فى قصيدة بعنوان «حول فناجين الشاي» حيث يعترف بالتغير الذى طرأ عليه. ففى شبابه كان يؤمن بالفكرة المسيحية التقليدية المنادية بأن اليهود شعب ملعون من الله لأنه رفض فى عناد الإيمان بالمسيحية. ولكنه سرعان ما أدرك تحيزه ضدهم وآمن بضرورة التسامح الدينى معهم . وفى عام ١٨٥٦ نظم قصيدة بعنوان «البانتوميم» أو «التمثيل الصامت» ثم قام بمراجعتها عام ١٨٧٤ ونشرها بعنوان «حكاية يهودية». وتصف لنا هذه الحكاية حضوره فى ليلة صيف قائظ حفلاً حيث وجد أن يهوداً كثيرين يزاحمونه فى الدخول وشعر هولمز فى بادئ الأمر بالضيق والبرم الشديد من هذا الزحام اليهودى ولكنه غير رأيه عندما تفرس فى وجوههم ليجد أن ملامحهم هى نفس الملامح البشرية التى كان يسوع المسيح يحملها.

هنرى وادزورث لونجفيلو: Henry Wadsworth Longfellow

لم يكترث الشاعر لونجفيلو باستقصاء حياة اليهود المعاصرين والمحدثين ممن هاجروا إلى الولايات المتحدة. ولكن اهتمامه انصب على اليهود القدامى الذين خلفوا وراءهم تراثهم الثقافى وإنتاجهم الأدبي. ولعل الشيء الوحيد الذى يدل على أنه

أظهر شيئًا من الاهتمام بمشكلات اليهود المعاصرين يتلخص فى القصائد السبعة الضعيفة التركيب والبنيان التى نظمها فى الهجوم على نظام العبيد وذلك فى أثناء عودته من إنجلترا عام ١٨٤٢. والصواب لا يجانب الناقدة إما لازاروس حين تقول عن الشاعر عقب وفاته عام ١٨٨٢ إنه مشدود إلى الماضى بجوانبه الأسطورية والتاريخية الساحرة.

وتعطى كتابات لونجفيلو الانطباع بأنه يتعامل مع اليهود الذين صادفهم فى أثناء رحلاته إلى البلاد الأوروبية وكأنهم مجموعة من الكائنات الغريبة التى ليس لها وجود فى أمريكا. وفى وصفه لليهودى الذى التقى به فى أثناء زيارته لألمانيا عام ١٨٣٥ نراه ينحى المنحى التقليدى فى وصف ملامحه المثيرة للضحك وإفراطه فى الحرص على المال فهو يسافر آناء الليل وأطراف النهار حتى لا يدفع ثمن المبيت فى فندق وأيضًا نجد لونجفيلو يتبع نفس المنحى التقليدى فى القصيدة التى ألفها عام ١٨٣٥ بعنوان «هاواثا» التى تعالج مسئولية اليهود عن صلب السيد المسيح.

وفى عام ١٨٧١ كتب لونجفيلو مسرحية شعرية بعنوان «التراجيديا المقدسة» التى تشكل الجزء الأول من ثلاثيته عن المسيح وفيها يحمل الشاعر اليهود مسئولية سفك دم المسيح. وعندما ينتقل لونجفيلو إلى الجزء الثانى من الثلاثية نراه يسخر من شعائر اليهود وطقوسهم المصاحبة لقتل المسيح.

ويتمثل موقفه من اليهود فى واحدة من أبدع قصائده وهى بعنوان «جبانة اليهود فى نيوبورت». يقول الشاعر فى هذه القصيدة إن رجلاً عجوزاً مهذبًا يحتفظ بمفاتيح الجبانة اصطحبه يوم ٩ يولية ١٨٥٢ لزيارتها. ثم يضيف إلى ذلك قوله إن جالية السفارديم اليهودية التى ازدهرت فى الماضى لم يعد لها أثر فى الحاضر بسبب استيعابها وتمثلها فى المجتمع المسيحى من ناحية وهجرة ما تبقى من يهود عن مدينة نيوبورت من ناحية أخرى. ويبدو أن لونجفيلو قد انتهى إلى نتيجة مفادها أن دولة اليهود قد دالت. فالأمم الميتة - على حد قوله - لن تبعث من جديد. ومعنى ذلك أن الشاعر كان مقتنعًا بأن الشعب اليهودى فى طريقه إلى الاندثار وأن كيانه الجماعى فى سبيله إلى الانقضاء. ولم ينس لونجفيلو التعبير عن إدانته للاضطهاد الذى لقيه

اليهود فى الماضى وليس أدل على كراهية لونجفيلو للسياسة من أنه تعمد حذف واستبعاد كل إشارة إلى حياة اليهود المعاصرة من نسخته المعدلة للقصيدة.

وبوجه عام يمكن القول إن اهتمام لونجفيلو الرئيسى باليهود كان فى الأساس اهتمامًا ثقافيًا ومدرسيا. فقد دعاه اهتمامه باللغويات وبالأدب المقارن إلى دراسة التلمود واللغة العبرية . ولكنه فشل فى امتلاك ناصية هذه اللغة.

وتشير قصيدته «أبيات مرثية» إلى إلمامه باللغة العبرية. ولا شك أن معرفته بالمهاجر الثورى فيتاليس شيرب أثارت فيه اهتمامه باللغة العبرية. ويوضح لونجفيلو فى يومياته بتاريخ ٨ نوفمبر ١٨٤٩ كيف اعتاد هذا الصديق زيارته فى المساء ليكرر على مسامعه بعض المزامر بلغة غريبة وغامضة هى اللغة العبرية وهى نفس اللغة التى سبق للنبى داود أن تغنى بها وسبق لأرميا أن تنبأ بها. وفى عام ١٨٥٧ ألقى صديقه الألمانى شيرب على مسامعه سفراً ألمانيًا أوحى إلى الشاعر بقرض قصيدة بعنوان «ساندولفين» أو «ملاك الصلاة» بعد أن استعان بالمرجع الذى ألفه جوى بيتر ستهلين بعنوان «تقاليد اليهود» المنشور فى لندن عام ١٧٣٢

ويتجلى اهتمام لونجفيلو الثقافى بدراسة الشعب اليهودى من حكاياته الأربع التى نشرها بعنوان «حكايات فندق على جانب الطريق» التى حذا فيها حذو كل من بوكاشيو وتشوسر. ويحدثنا الشاعر فى هذه الحكايات عن مجموعة من الأشخاص تتكون من يهودى أسبانى وموسيقار نرويجى وشاعر وطالب وهو يؤكد أنه استقى أشخاصه من الواقع وأنه استمد صورة اليهودى الأسبانى من يهودى حقيقى اسمه إسحق ولد فى مراكش وعاش فى طنجة وأورشليم وأمستردام ولندن قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة. والجدير بالذكر أن الصورة التى رسمها لونجفيلو لليهود تختلف تمامًا عن الصورة التقليدية المقيتة التى ورثتها أوروبا عن العصور الوسطى التى دأبت على تصور الروائح الكريهة المنبعثة من أجساد اليهود. فالشاعر يصور لنا الرائحة الزكية العاطرة التى تنبعث منها، الأمر الذى يدل على تعاطف الشاعر مع اليهود. ونحن نجد أن حكايتين من الحكايات الأربع التى ألفها لونجفيلو تعالجان موضوعات يهودية بهدف إظهار اليهود بمظهر حسن ودحض لهفتهم على جمع المال.

جيمس راسل لوويل James Russell Lowell

بالرغم من أن جيمس راسل لوويل كان أصغر شعراء المدفأة سنًا فقد كانت تربطه باليهود علاقة أكثر تعقيداً من العلاقة التى ربطت أقرانه بهم. ويعتبر موقفه من اليهود بمثابة نقطة انتقالية بين عطف الشعراء الآخرين على اليهود وبين عداوة المثقفين للسامية التى أخذت تظهر فى الجيل التالى على يد هنرى آدمز وأمثاله. كان عقل لوويل أكثر تحليلاً من عقول أقرانه من الشعراء. والإشارات إلى اليهود فى شعر لوويل نادرة باستثناء إشاراته إلى اليهودى المتجول والهائم على وجهه. ولعل أكثر قصائده إشارة إلى الكتاب المقدس وإلى اليهود تلك القصيدة التى ألفها عام ١٨٤٩ بعنوان «عبدة الكتب». ويعنى لوويل فى هذه القصيدة ذلك الموقف المسيحى التقليدى من اليهود الذين يعتبرهم عبدة طقوس جامدة ومتحجرة ينتهكون النبوءات الواردة فى العهد القديم .

وفى أيامه اللاحقة أصبح موقف لوويل من اليهود أكثر غموضًا. فرغم امتداحه لهم فإن هذا لم يمنعه من رسم صورة نمطية لهم. وفى أخريات أيامه فى عقدى السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر أخذ اهتمامه باليهود يشغل باله ويستولى على فكره نتيجة الهجرة الجماعية لليهود الفقراء. وشاهدت هذه الفترة تصاعداً فى معاداة السامية فى أوروبا ، الأمر الذى جعل عدوى التعصب العرقى تنتقل إلى أمريكا. وفى تلك الفترة التقى بشاعرنا فى باريس عام ١٨٨١ كاتب مجهول كتب عن لوويل عام ١٨٩٧ فى مجلة «الشهرية الأطلسية» يقول إن باله أصبح مشغولاً باليهود على نحو يكاد يكون مجنونًا. ولكن من الخطل تبسيط الأمور بطريقة مخلة بحيث نظن أن معاداة السامية أصبحت سمته البارزة. فبالرغم من أن امتداحه لليهود كان غامضًا فإنه هاجم معاداة السامية بكل صراحة وبدون مواربة كما يتضح لنا من مقاله المعروف الذى يحمل عنوان «الديمقراطية» (١٨٨٤) حيث هاجم الأمريكيين الذين توجسوا خيفة من هجرة اليهود الجماعية إلى أمريكا وسعوا إلى استبعادهم والحد من آثار هجرتهم الضارة عن طريق التشريع وسن القوانين المعطلة لهجرتهم. ويعترف لوويل فى هذا المقال لليهود بالفضل فى نشأة المسيحية وخلق أنقى حافز روحى فى الأدب. ويسترسل لوويل فى تعاطفه مع اليهود

قائلاً إن الأوروبيين ما برحوا يضطهدونهم. ومع ذلك فإنهم تمكنوا من الدفاع عن أنفسهم ضد هذا الاضطهاد بأن صاروا أباطرة البنوك والمال فى العالم كله. ويتضح لنا مما كتبه ليسلى ستيفن عام ١٨٩٢ أن لوويل لم يأل جهداً وبشكل ممل فى إثبات أن عظماء العالم ينتمون بشكل أو آخر إلى شعب الله المختار. وبلغ الأمر به أنه ادعى أن شيئًا من الدم اليهودى يجرى فى عروقه. وهكذا آمن لوويل أن اليهود أصبحوا متغلغلين فى صفوف جميع الأثرياء والأغنياء فى العالم وأنهم تبوأوا بفضل موهبتهم واجتهادهم مكانة سامقة فى الآداب والفنون والعلوم بل إنهم يتحكمون فى الصحافة ويسيرون دفة السياسة فى العالم. ونحن لا نجد نبيلاً أو أرستقراطيًا لا تجرى فى عروقه الدماء اليهودية.

وصورة اليهودى كما يرسمها لوويل أشد ما تكون غرابة فهى تجمع بين أحط الصفات وأسماها فى آن واحد. وهى صورة أشد ما تكون غموضًا. ولكن لوويل - والحق يقال - لم يضمر لليهود أى شر أو ضغينة أو مكروه.

٤- شعراء النهضة الأمريكية

من اللافت للنظر أن شعراء المدفأة لم يسجلوا فى إنتاجهم الأدبى التغير الخطير الذى طرأ على المجتمع الأمريكى المتمثل فى تحوله من مجتمع زراعى إلى مجتمع صناعي. وعلى النقيض من ذلك نرى أن هذا التحول ينعكس بشكل قوى وواضح على جماعة الشعراء التى تعرف باسم شعراء النهضة الأمريكية الذين عاشوا تقريبًا فى نفس الوقت الذى عاش فيه شعراء المدفأة. وهؤلاء الشعراء والأدباء، المعاصرون لشعراء المدفأة هم رالف والدو أمرسون (١٨٠٣ - ١٨٨٢) وهنرى دافيه ثورو (١٨١٧ - ١٨٦٢) وناثانييل هوثورن (١٨٠٤ - ١٨٦٤) وهيرمان ميلفيل (١٨١٩ - ١٨٩١) وإميلى ديكنسون (١٨٣٠ - ١٨٨٦) وإذا كان شعراء المدفأة قد حظوا بشهرة عريضة فى حياتهم فإن معظم شعراء النهضة الأمريكية عجزوا عن تحقيق مثل هذه الشهرة باستثناء إمرسون وهوثورن اللذين حققا الشهرة الواسعة فى حياتهما.

ظهر معظم إنتاج شعراء النهضة الأمريكية (مثل شعراء المدفأة) قبل الحرب الأهلية. وكان عدد اليهود الذين يعيشون فى نيو أنجلاند قبل اندلاع هذه الحرب ضئيلاً للغاية حيث كان من الممكن أن يقضى الإنسان حياته دون أن يقابل أيًا من اليهود. ولم يصادف كثير من الأمريكيين يهوداً فى حياتهم إلا أثناء أسفارهم إلى البلاد الأوروبية.

قابل إمرسون أول يهودى فى حياته أثناء إقامته فى أوروبا وذلك فى روما حين دعاه صديق له من أيام الكلية لحضور حفلة قابل فيها جوستاف ديبشتال المنتمى إلى إحدى العائلات اليهودية الثرية من أصحاب البنوك والمصارف. ولم يكن بالمستغرب ألا يصادف الأديب ثورو أيًا من اليهود فى حياته. فلا غرو إذا رأينا كتاباته تخلو من أية إشارة إلى اليهود المعاصرين له. ولكن يومياته تحتوى على إشارات إلى اليهود القدامى أو بنى إسرائيل. لاحظ ثورو أن سحابة حزينة تخيم

عليهم حتى وهم فى ذروة ابتهاجهم وفرحتهم. ولكن ابتعاد إميلى ديكنسون عن اليهود كان أكثر وضوحًا فقد عاشت هذه الشاعرة عيشة أشد انعزالاً من ثورو. وليس هناك ما يدل على أنها قابلت يهوديًا طيلة حياتها. ورغم ذلك فهى تشير إلى اليهود فى أربعة من قصائدها التى يرجح أنها نظمتها خلال عامى ١٨٦١ و١٨٦٢. وتميل الصورة التى رسمتها لليهود إلى أن تكون نمطية بسبب عدم اتصالها أو معايشتها لأى يهودى حقيقي.

لم يهتم إمرسون قط باليهود المحدثين والمعاصرين. ولعل إما لازاروس اليهودية الوحيدة التى أولاها اهتمامه. وباستثنائها نجد أن إشاراته إلى اليهود المعاصرين غاية فى الضآلة كما أنها إشارات تتسم بالنمطية استقاها الشاعر من التقاليد الفكرية والأدبية الموروثة. وفى عام ١٨٢٨ كتب إمرسون من كامبريدج يشكو لأخيه وليم - المحرر بإحدى الصحف - من أنه يهمله ولا يكتب إليه كثيراً. واسترسل إمرسون فى شكواه من أخيه قائلاً بازدراء أن أخاه ربما كان مشغولاً بالكتابة إلى اليهود الذى يتعامل معهم فى إدارة صحيفته. ونحن نطالع مثل هذه الإشارات القادحة ضد اليهود فى بعض ما كتبه عام ١٨٣١. ويذكر لنا إمرسون فى يومياته بتاريخ ٣ يولية ١٨٣٩ يصف لنا معرضًا للرسم شاهده فى واشنطن. وفيه قام يهود بولندا بعرض لوحاتهم. ويحدثنا إمرسون باحتقار شديد عن هذه اللوحات ورساميها اليهود. ويردف إمرسون واصفًا اليهود بأنهم ملوك العالم فى المال والاقتصاد. ويسير الشاعر على نفس الدرب الذى سار عليه الكثيرون من أدباء عصره. فاليهود الذين يحدثنا عنهم يعيشون فى الخارج ولا يعيشون فى أمريكا مثل اليهود الذين يعيشون فى روما كالكلاب خلف الأبواب الموصدة فى الجيتو اليهودي. غير أن رأيه اتسم بالتضارب والتناقض فهو تارة يشيد بدينهم وتارة أخرى ينال منه.

ولكن إيمان إمرسون بتفوق المسيحية على سائر الأديان تزعزع فيما بعد. ففى عام ١٨٦٩ ألقى خطابًا هاجم فيه الزعم بتفوق المسيحية على غيرها من الأديان. غير أنه ألقى محاضرة فى عام ١٨٥٣ أكد أن اليهود ازدهروا وأينعوا فى المسيح، وأن أمرهم انتهى بإقامة أمة. ثم عاد إمرسون ليندب حظ بنى إسرائيل مبينًا المحاولات المتكررة التى بذلت للتخلص منهم والقضاء عليهم. وليس أدل على ذبذبته

وتأرجحه فى الرأى من أنه قال فى يومياته عام ١٨٦٧ أن الرجل الأبيض الذى يعتنق المسيحية هو المسئول عن الحط من شأن الزنوج واليهود على حد سواء. فهو يسلبهم ما يتمتع به من حقوق وامتيازات .

لقد انقضى قرن كامل على إقامة النظام الجمهورى فى أمريكا كان اليهود المعاصرون فيه كمًا مهملاً ومن سقط المتاع فى نظر إمرسون وغيره من كبار أدباء أمريكا الذين أولوا اليهود القدامى عظيم اهتمامهم وانصرفوا عن اليهود المعاصرين لهم.

ولم يلتفت الأمريكيون إلى أهمية اليهود المعاصرين أو يقيموا لهم وزنًا إلا بعد أن تبوأوا مكانة اقتصادية سامقة فى منتصف القرن التاسع عشر.

لقد كان للكتاب المقدس أهمية بالغة عند أبرز الكتاب الأمريكيين المرموقين. وكان الشاعر الكبير والت ويتمان (١٨١٩ - ١٨٩٢) على رأس هؤلاء الكتاب. فقد اعتبر ويتمان الكتاب المقدس أسمى وأروع تحفة شعرية قيض للإنسانية أن تنتجها. وهى تحفة تعبر عن أرفع وأعمق الأفكار. ورأى ويتمان فى الكتاب المقدس تصويراً لحكاية الجنس البشرى كله حيث يتشابك الخير والشر والمادة والروح والفرد والجماعة فى وحدة عضوية. ولكن هذا الإيمان العظيم بقيمة المسيحية لم يحل دون تقديره الكبير لغيرها من الأديان. بل إن مسيحيته عمقت فيه احساسا بالانتماء إلى الأخوة الإنسانية واعتبار نفسه جزء لا يتجزأ من العائلة البشرية. إن إيمان ويتمان بالديمقراطية لم يكن مجرد إيمان بها من الناحية السياسية بل كان فى المقام الأول إيمانًا عميقًا بالأخوة الإنسانية لا فرق بين أبيض وأسود وغنى وفقير وبين رفيع ووضيع.

وبسبب تقديره العظيم للكتاب المقدس كعمل أدبى رأى ويتمان أن آيات التوراة رغم خلوها من الوزن والقافية تنتمى إلى عالم الشعر وتجسد على خير نحو علاقة الإنسان برغباته وآماله وطموحاته فضلاً عن علاقته بالطبيعة والواجب. ولكن - كما أسلفنا - ليس هناك ما يدل على أن ويتمان اهتم باليهود المعاصرين له. بالعكس نرى فى كتابته الصحفية محاولة للنأى والابتعاد عنهم. واللافت للنظر أن

اليهودى هوراس تروبيل الذى التصق بالشاعر فى أيامه الأخيرة ونشر سيرة حياته فى أربعة مجلدات لم يسجل على الإطلاق أية مناقشة من جانب ويتمان لقضية اليهود المعاصرين له الأمر الذى يدل على أن هذا الموضوع لم يشغل رأسه.

وتحتوى أعمال ويتمان الخلاقة بعض الإشارات القليلة إلى اليهود المعاصرين ففيها نرى شاعرنا يحمل مشاعر ودية نحو الصبى اليهودى الذى صوره فى القصة التى نشرها عام ١٨٤٥ بعنوان «الانتقام وحكم البراءة: حكاية قاتل هارب» فى مجلة «المجلة الديمقراطية»، وأيضًا نحن نطالع اشارات قليلة إلى اليهود المعاصرين فى قصيدته المعروفة «أوراق الحشائش». ويبدو أن قضية اليهود المعاصرين لم تشغل فكره فى حين انصب اهتمامه على اليهود القدامى فهو يقول عن الاضطهاد الذى تعرضت له طائفة الكويكرز فى أمريكا فى القرن السابع عشر أنه يشبه الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى أوروبا فى القرون الوسطى.

٥- ناثانييل هوثورن (١٨٠٤ - ١٨٦٤)

بالرغم من أن تجارب هوثورن مع اليهود كانت محدودة للغاية (ولا غرو فقد كان عدد اليهود الذين يعيشون فى أمريكا فى أيامه محدودا للغاية) فإنهم استولوا على خياله وصاروا وسيلته الهامة فى استجلاء حيرة الإنسان الأخلاقية. وقد أثارت أسطورة اليهودى التائه أو اليهودى الهائم على وجهه بالذات بالغ اهتمامه. وتخلو مذكرات هوثورن ويومياته تمامًا من أية إشارة إلى اليهود المعاصرين له. ومع ذلك فإنه دون فى أوراقه التى سطرها عام ١٨٣٦ حكمة يهودية حديثة تقول إن المرء يجب أن ينفق أكثر مما يستطيع على ملابس زوجته وأقل مما يستطيع على ملابسه وبقدر ما يستطيع على ملابس وأبنائه. فضلاً عن أنه نظم فى عام ١٨٤٥ قصيدة بعنوان «النجم الهادى إلى مكان صلب المسيح» حمل فيها اليهود مسئولية سفك دم السيد المسيح.

وفى مذكراته عن أوروبا أورد هوثورن عدداً أكبر من الإشارات إلى اليهود. وجميع هذه الإشارات مقيتة ومنفرة. ويصف هوثورن فى مذكراته عن إيطاليا الزيارة التى قام بها لأحد معابد اليهود. ولفت نظره فى هذا المعبد الذى يشبه الكنيسة فى شكله قذارته والرائحة غير القدسية التى تفوح منه. وفى روما زار هوثورن قصر البابرينى حيث شدت انتباهه اللوحة التى رسمها درورر بعنوان «المسيح يحاور الأحبار». وفيها يظهر المحاور على يسار المسيح على نحو مقزز ومنفر. فضلاً عن أن هوثورن رسم صورة مقززة للجيتو أو حارة اليهود فى روما فى الكتاب الذى ألفه بعنوان «إله الرعاة الروماني» (١٨٦٠) فالبيوت فى هذا الجيتو شبيهة بالأكواخ ومزدحمة ومتلاحقة كقطعة الجبن العفنة التى تسكنها الحشرات.

ويتضح لنا من أسلوب هوثورن فى تصوير اليهود أنه لا يحمل لهم أية مشاعر حب أو مودة. وليس هناك مناص من الاعتراف بأنه كان بكل بساطة يكره اليهود. وتتجلى لنا كراهيته لهم من وصفه للحفلة التى دعاه إلى حضورها عام

١٨٥٦ دافيد سالومنز وهو أول يهودى يعين عمدة لمدينة لندن. وأورد هوثورن وصفا لهذه المأدبة الرسمية فيما سطره بعنوان «مذكرات إنجليزية». ويدل هذا الوصف على أن هوثورن رسم صورة نمطية لليهود على غرار صورة المرابى شيلوك والخائن يهوذا الأسخريوطي.

ونحن نلاحظ في معرض وصفه لزوجة عمدة لندن خليطًا غريبًا من الإعجاب والاشمئزاز منها الأمر الذى يدل على أن موقف هوثورن منها تأرجح بين الحب والبغض والود والنفور: الحب لها لروعتها وفرط جمالها وكراهيتها لأنها نموذج لما فى شخصية المرأة اليهودية من قبح. وأيضًا نلاحظ تكرار نفس الموقف من زوجها اليهودى الذى يصفه المؤلف باليهودى التائه أحيانًا وشيلوك أحيانًا أخرى ويهوذا أحيانًا ثالثة. ولا يخفى هوثورن كراهيته ليس للزوج اليهودى وزوجته اليهودية فحسب بل للجنس اليهودى كله. والجدير بالذكر أن هذه الكراهية الواضحة الصريحة لم تثر انتباه كثير من النقاد إليها لأنها اقتصرت على مذكرات هوثورن ويومياته. وعند التفكير فى نشرها فى كتابه «بيتنا القديم» أعاد المؤلف صياغتها وقام بحذف الكثير منها حتى يخفى مقته الصارخ لليهود.

ويوضح موقف هوثورن من أسطورة «اليهودى التائه» أو «اليهودى الهائم على وجهه» موقفه من اليهود. ويجدر بالذكر أن هذه الأسطورة كانت شائعة فى كل من أوروبا وأمريكا فى القرن التاسع عشر. وقد شاهدت إنجلترا تأليف عدد من الروايات الإنجليزية المأخوذة عن هذه الأسطورة. ولكن أكثر هذه الروايات شيوعًا كانت «اليهودى الهائم على وجهه» التى ألفها إيوجين سو والتى ذاعت بين الإنجليز والأمريكيين عند ترجمتها إلى الإنجليزية عام ١٨٤٥. ويبدو أن انتشار هذه الأسطورة على نطاق واسع وتصديق عامة الناس لها دفع هوثورن إلى معالجتها على نحو مستخف فى «المختار» (١٨٤٤). ولكن هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى يعالج فيها هوثورن هذه الأسطورة باستخفاف فقد دأب على معالجة هذا الموضوع بجدية تامة.

ومن المحتمل أن اهتمامه بهذه الأسطورة يرجع إلى قراءته لكتاب وليم جودوين «سانت ليون» عندما كان فى السادسة عشرة من عمره.. وقد استمر معه

هذا الاهتمام حتى فى حياته اللاحقة. ويعود اهتمامه بهذه الأسطورة إلى بحثه الدائب عن الرموز والمعانى الخفية فى كل ما يقرأ. ويظهر اهتمامه باليهودى التائه على نحو متكرر فى عدة مواضع فى كتاباته ومنها كتابه «مجموعة الخبير اللوذعي» (١٨٤٢) التى تروى حكاية مرشد يقود مجموعة من زوار أحد المتاحف فيبهرهم بعلمه الغزير ومعرفته الواسعة التى تنبض بالحياة وكأن هذا المرشد قد عايش الماضى وما خلفه من تحف وآثار.

ويسأله أحد الزوار مشدوهًا كيف عرف ما لم يعرفه بشر. فيرد عليه المرشد بقوله إنه استطاع أن يقهر الردى فالسهم الذى يمسكه فى يده كان فى يوم من الأيام سلاح موت فتاك. ولكن هذا السلاح علاه الصدأ عبر آلاف السنين. ولم يعد قادراً على الضرب أو الإيذاء. وهنا صاح زائر المتحف قائلاً: «أنت اليهودى الهائم على وجهه». واقترح المرشد فى ختام جولته بالمتحف أن يعطى الزائر إكسير الحياة حتى لا يذوق طعم الموت أبداً. فيرفض الزائر قائلاً: إن الموت صديقه وهو صديق يرحب به أسعد البشر طراً عندما يأتى فى حينه. وأضاف أن طول العمر فى هذا العالم المادى الشهوانى سوف تخمد جذوة الروح الأثيرية فى الإنسان. فضلاً عن أن إكسير الحياة سوف يحمل الموت معه. فهو لا يمنح غير ظلال الحياة وينهر الزائر المرشد بقوله بأن «اليهودى الهائم على وجهه» لا يعرف سوى الحياة الدنيا دون سواها. وعبثًا يحاول الزائر الحاكى للقصة أن يقنع المرشد بأن استمرار الحياة يقتل الروح ولكن الحياة الدنيا عند اليهودى التائه غاية فى حد ذاتها. وتدفع العقلانية والمادية اليهودى إلى التشبث بها وليس بالروحانيات التى يمجدها هوثورن ويعلى من شأنها.

وفى القصة التى ألفها هوثورن عام ١٨٥٠ بعنوان «اثيان براند» نرى أيضًا أنه يستخدم اليهودى التائه كرمز للموت الذى يصيب الروح ويحولها إلى كتلة صماء باردة برودة الثلج. ويلعب هذا اليهودى التائه دوراً بارزاً فى دفع اثيان براند إلى ارتكاب جريمة نكراء تتمثل فى زراية العقل بقيم الأخوة الإنسانية وعدم احترام الألوهية مما يستوجب العذاب الأبدي.. وهكذا نرى أن اليهودى التائه يلعب نفس دور الشيطان مفستوفيليس فى تشجيع فاوست على عصيان الله وتحديه. ولا يضطلع اليهودى التائه بدور تجميد القلب الإنسانى وتفريغه من الدفء فحسب بل يقوم أيضًا

بدور الشاهد على الماضي.

ونحن نطالع فى قصته التى نشرها عام ١٨٦٠ بعنوان «إله الرعاة عند الرومان» عن تردى الإنسان فى وهدة الخطيئة وفقدانه للبراءة. ويقدم إلينا هوثورن فى هذه القصة لأول مرة صورة للمرأة اليهودية غير المستحبة متمثلة فى شخصية ميريام. وميريام الرائعة الجمال نصف يهودية فى واقع الأمر. فهى ابنة امرأة إنجليزية يهودية وأب إيطالى أرستقراطي. وميريام لا تستمسك بالعقيدة اليهودية فهى على العكس من ذلك تؤمن بالمسيحية. ولعل المؤلف أراد من رسم ميريام كامرأة نصف يهودية إلى أن يحيطها بجو من الأسرار كما اعتاد الأدباء أن يفعلوا. فإدخال شخصية يهودية أو نصف يهودية فى مجتمع يكاد أن يخلو من اليهود من شأنه أن يخلق جواً من الغموض حول هذه الشخصية. ويتقدم رجل يهودى شرير لخطبة ميريام ولكنها تصر على رفضه. ويمثل هذا الخطيب المرفوض صورة اليهودى الهائم على وجهه الذى يزور القبور والمدافن فى ظلام الليل. وهو يرمز إلى اليهود الذين سفكوا دم السيد المسيح وصلبوه على خشبة الصليب. ويطرح هوثورن فى هذه القصة سؤالاً أخلاقيًا محيراً وبالغ الصعوبة. هل معرفة الخطيئة أمر ضرورى لارتقاء الإنسان بنفسه وانتشال نفسه من وهدتها. فبدون الخطيئة يعجز الإنسان عن السمو بروحه. ويرى هوثورن أن انغماس الإنسان فى الخطيئة هو خير وسيلة لاكتساب الحكمة والفهم العميق للحياة. وكذلك اكتساب العنصر الأخلاقى الذى يرتكز عليه الكون. ومعنى ذلك أن الخطيئة تخدم هدفًا أخلاقيًا وأنها وسيلة الإنسان إلى المعرفة والرقى والسمو.

وفى أواخر أيامه أخذت طاقة هوثورن الإبداعية تتلاشى وانصرف تفكيره إلى الحياة الأبدية واستمرار معيشة الإنسان على الأرض إلى أبد الآبدين. وعالج هذا الموضوع فى عمل روائى بعنوان «رومانسية الدوليفر» لم يمهله الأجل لإتمامه. ولكن موقف المؤلف من مشكلة خلود الإنسان على الأرض ليس واضحًا فى هذه الرواية فهى لا تقول لنا إذا كان هذا الخلود. شيئًا نافعًا أم ضاراً. ولكن روايته الأخيرة التى لم يستطع إتمامها وهى بعنوان «سبتيموس فيلتون» وهى أكثر تعقيداً فى حبكتها وبنائها من رواية دوليفر، تلقى ضوءً أوضح على موقفه من خلود الإنسان على

الأرض. ففى عام ١٨٦٠ عاد هوثورن من إيطاليا ليعيش فى مسكن عتيق فى منطقة الواى صايد. وأخبره صديقه الأديب ثورو أن أحد سكان هذا البيت السابقين آمن بأنه يستطيع أن يقهر الموت ويخلد فى الحياة الأمر الذى شد انتباه مؤلفنا وجعله يفكر فى الحياة الأبدية. وحفزه هذا عام ١٨٦١ على تأليف روايته «سبتيموس فيلتون» لمعالجة هذا الموضوع. وتروى لنا أحداث الرواية عن شاب يدعى سبتيموس يبذل قصارى جهده لاكتشاف أكسير الحياة الذى يمنح الإنسان الخلود على الأرض. وينجح سبتيموس فى اكتشاف العنصر المفقود فى إكسير الحياة الذى يمنح الحياة الأبدية فى هذه الدنيا. ويقترح سبتيموس على سيبيل بطلة الرواية أن يشربا سويًا إكسير الحياة. وأيضًا يقترح عليها أن يقوما بتقسيم حياتهما الأبدية إلى حقب بحيث يخصصان كل حقبة لتحقيق هدف معين. ويطلب سبتيموس تخصص قرن بأكمله لممارسة الرذيلة بكل أنواعها الأمر الذى يمنحهما المعرفة والحكمة والفهم العميق. وبعد ذلك يقضيان قرنًا آخر فى تعلم الفلسفة ثم يخصصان قرنًا ثالثًا لإقامة مجتمع تسوده حكومة فاضلة. وهكذا دواليك حتى يتحول سبتيموس فى النهاية إلى نبى يفوق كل الأنبياء الذين سبقوه. ولكن سيبيل تعرف ما يجهله سبتيموس وهو أن العنصر المكتشف لصناعة إكسير الحياة لا يعدو أن يكون سمًا زعافًا. وتتجرع سيبيل إكسير الحياة حتى الثمالة فتسرى برودة الموت فى جسدها. عندئذ يقتنع سبتيموس بعدم جدوى البحث عن الخلود فى هذه الدنيا.

ويتضح لنا مما تقدم أن هوثورن عبر فى أدبه عن عدائه لليهود وخاصة فى طريقة معالجته لشخصيتى ميريام واليهودى التائه الذى يرمز إلى الشر. وتتأرجح رواية سبتيموس فيلتون بين نقيضين. الرغبة العارمة فى الخلود على الأرض والاقتناع الكامل بعدم جدوى مثل هذا الخلود فهو يعجز عن خلق حياة أفضل وأكثر سموًا من الناحية الأخلاقية. والجدير بالذكر أن تحضر هوثورن ورقيه يمنعانه من الزراية باليهود والهجوم عليهم بشكل صريح ومباشر.

٦- هيرمان ميلفيل (١٨١٩ - ١٨٩١) واليهود

تختلف القصيدة الطويلة التى نشرها ميلفيل عام ١٨٧٦ بعنوان «كلاريل» فى تصويرها لليهود عن الشكل النمطى الشائع فى الآداب الأنجلوساكسونية. وتنفرد هذه القصيدة بأهميتها الرمزية وتنوعها وشدة وعيها بشئون اليهود. فضلاً عن أن تصويرها لليهود على نحو إنسانى شيء جديد فى الأدب الأمريكى لم يسبقه فيه أى أديب آخر. والملاحظ أن ميلفيل لم يهتم قبل هذه القصيدة بمعالجة قضايا اليهود المعاصرين فى أدبه. فقد تركز كل اهتمامه على العهد القديم والكتاب المقدس الأمر الذى حدا ببعض النقاد إلى القول إن ميلفيل لم يتأثر فى حياته الأدبية بشيء قدر تأثره بشكسبير والكتاب المقدس بما يتضمنه من ميثولوجيا وأساطير وحقائق رمزية.

وتدل سيرة حياة ميلفيل على أن صلاته باليهود كانت محدودة للغاية وإنه لم يلتق بهم إلا فى فترة زيارته وإقامته فى مدينة نيويورك. والجدير بالذكر أن أعداد اليهود المقيمين فى أمريكا ارتفع من عشرة آلاف فى عام ١٨٤٢ إلى ستة عشرة فى عام ١٨٥٠ ليبلغ أربعين ألف عام ١٨٦٠ .

وفى عام ١٨٤٠ ذهب ميلفيل لزيارة عمه توماس فى جالتيا بولاية إلينوا حيث سنحت له فرصة الالتقاء العابر ببعض اليهود الوافدين أساسًا من شيكاجو فى ذلك العام. وبعد مضى عشرة أعوام قام ميلفيل بزيارة متحف الناشيونال جاليرى حيث أمضى ساعة كاملة فى تأمل صورة اليهودى التى رسمها رامبرانت. ويقال إن ميلفيل أقام علاقة طيبة للغاية بوكيل دار نشر ويلى اللندنية وهو رجل يعتقد أنه يهودى اسمه دافيد دافيدسون. وتخبرنا الوثائق أن ميلفيل تعرف أخيراً فى عام ١٨٧٦ على بائع كتب يهودى معروف فى فيلادلفيا بهدف نشر قصيدته كلاريل. وبالإضافة إلى ذلك علينا أن نذكر أنه لابد وأنه قابل اليهود فى أثناء رحلته إلى فلسطين والشرقين الأوسط والأدنى. وهما المرحلة التى بنى عليها ميلفيل قصيدته كلاريل.

يقول الدارسون إن أدب ميلفيل الخلاق ينقسم إلى مرحلتين فيما يتعلق بموقفه من اليهود. وتتسم المرحلة الأولى التى انتهت عام ١٨٥٦ بموقفه غير الواضح والمتناقض من اليهود الذين رسمهم على نحو نمطى فى حين أن المرحلة الثانية تتميز بعظيم تعاطفه مع اليهود وتبدأ بنشر قصيدته كلاريل الأنفة الذكر.

ونحن نجد أن رواية واحدة فقط - وهى بعنوان «ردبيرن» - فى كل إنتاج ميلفيل الروائى تحتوى على شخصيات يهودية تشتغل بالرهونات. وليس هناك فى ذلك أدنى غرابة فقد كانت صلات ميلفيل باليهود ومعرفته بهم محدودة للغاية. وليس بالأمر المستبعد أن يكون الفصل فى هذه الرواية الذى يصور مقابلة البحار لليهود المشتغلين بالرهونات فى شارع كاثام المزدحم بمحلات الرهونات وبيع الملابس القديمة مستمداً من سيرة حياة المؤلف الذى يجوز أنه حاول أن يرهن بعض الأشياء قبل قيامه بأولى رحلاته البحرية. ويروى لنا هذا الفصل كيف أن ردبيرن توجه إلى محل للرهونات يملكه يهودى يشبه يهوذا الأسخريوطى كى يبيع له بعض الأشياء فيعرض عليه اليهودى شراءها مقابل ثلاثة دولارات فلا يعجبه هذا السعر. ويتوجه الرجل إلى يهودى آخر مقوس الأنف فيعرض عليه شراءها بدولار واحد. الأمر الذى يجعله يعود إلى محل الرهونات الأول فيبخسه صاحبه فى السعر ويعطيه دولارين ونصف فقط فقبل ردبيرن هذا المبلغ كارهًا ولاشك أن وصف الكتاب لصاحب محل الرهونات بأنه يهوذا الأسخريوطى الذى يسلم يسوع المسيح يذكرنا بأسلوب القرون الوسطى فى الزراية باليهود. فضلاً عن أن الإشارة إلى عين اليهودى الشريرة يرجع بنا إلى صورة اليهودى المقيتة التى درجت القرون الوسطى على تقديمها.

ولا يعنى ما تقدم خلو أعمال ميلفيل الروائية الأخرى من اليهود فهناك على الأقل بعض الإشارات العابرة إليهم. ويتطرق ميلفيل فى إنتاجه الروائى من آن لآخر إلى الاضطهاد الذى تعرض له اليهود عبر الأجيال مثلما نرى فى قصته. «أمو» ويصف ميلفيل فى رواية «ردبيرن» حالة المغنى البائس الذى يعانى من الوحشة بأنها تشبه حالة أسرى بابل من اليهود الذين يطلب منهم المستهزئون بهم أن يغنوا لهم.

وفى روايته «الجاكيت الأبيض» يشير ميلفيل إلى أجزاء السفينة المختلفة التى لا يسمح للبحارة العاديين الدخول فيها. ويعلق المؤلف على ذلك قائلاً: «كنت مثل يهودى رومانى فى العصور الوسطى محبوسًا فى حارة اليهود. وكنت ممنوعًا فى حركاتى من تجاوز الحدود المرسومة لي.» وفى نفس الكتاب يثنى ميلفيل ثناء عاطراً على اليهود القدامى فى ثنايا حماسه الشديد للولايات المتحدة. يقول ميلفيل فى هذا الصدد: «نحن الأمريكيين شعب الله المختار المتميزين. نحن إسرائيل زماننا ونحمل راية تحرير العالم. لقد شككنا لفترة طويلة إذا كان المسيح المخلص السياسى قد جاء. ولكنه أتى. ولكنه أتى بالفعل وحل فينا». وأخيراً نجد فى رواية «موبى ديك» إشارات إلى سوء معاملة القرون الوسطى لليهود. يقول ميلفيل فى هذا الشأن إن الحيتان - سواء كانت حية أو ميتة إذا أحسنت معاملتها - ليست مطلقًا نوعًا من المخلوقات التى تنبعث منها روائح كريهة كما أنه لا يمكن التعرف على صيادى الحيتان مثلما كان الناس فى القرون الوسطى يتعرفون على اليهودى فى أية جماعة عن طريق أنفه» ولكن هذه الإشارات المادحة لليهود فى أدب ميلفيل الروائى لا تمنع من وجود إشارات قادحة لهم كما هو الحال فى روايته «الرجل الثقة».

ويتمثل انتقاد ميلفيل لليهود فى الفقرات التى تشيد بالتحرر من التحيزات القومية.. ونحن نرى فى «ردبيرن» أنه أثنى عاطر الثناء على الولايات المتحدة لأنها خليط دولى متميز للمهاجرين من كل أنحاء العالم الأمر الذى يدل على ابتعاد أمريكا عن التحيز القومى وانفتاحها الأكيد على العالم. وهناك إشارة فى «ردبيرن» إلى عودة المسيح الثانية إلى الأرض. وفى أورشليم لاحظ ميلفيل أن اليهود هناك يعيشون عيشة بائسة وشقية. وهو يشبههم بالذباب الذى يعشعش فى جمجمة جيفة. وتعكس يومياته بؤس وشقاء اليهود الذين رآهم يعيشون فى بيت المقدس.

ويذكر ميلفيل فى روايته «كلاريل» أن يهود فلسطين يتلقون المعونات المالية من بنى جلدتهم الأثرياء فى كل أنحاء العالم. ويحدثنا ميلفيل فى يومياته عن المحاولات غير المجدية التى بذلها بعض المبشرين الأمريكيين أمثال سوندرز وزوجته لإنشاء بعض المدارس الزراعية بهدف الارتقاء بالزراعة من ناحية وإغراء اليهود على

اعتناق المسيحية من ناحية أخرى. وتقول إحدى المبشرات واسمها السيدة مينور إن هذه المحاولات العابثة عجزت عن تحويل يهودي واحد إلى الدين المسيحي. فضلاً عن عجزها عن إثارة اهتمام اليهود بالزراعة وتؤكد المبشرة السيدة سوندرز بأن اليهود كانوا يتظاهرون بالاستجابة لجهود المبشرين حتى يتمكنوا من الحصول على الأموال والملابس الممنوحة لهم. ثم لا يلبثون أن يختفوا عن الأنظار. ويدين ميلفيل هذه المحاولات التبشيرية العابثة ويصفها بأنها جهود مضحكة ونوع من اللوثة.

ومن الواضح أن ميلفيل كان يحمل مشاعر المقت والجفاء نحو الدين اليهودي. ويتمثل هذا المقت بشكل واضح فى تأملاته التى سجلها فى يوميات عن الأهرامات. فقد كانت ضخامتها غير الإنسانية وغموضها المروع يعذبانه. والرأى عنده أن موسى عليه السلام استمد فكرة الله المنتقم الجبار من منظر الأهرامات المروعة والهائلة فى ضخامتها. وكما استطاع المصريون الحكماء تحويل الكتلة الأرضية الهائلة والتى ليس لها أى شكل إلى أهرامات سامقة تستحوذ على المشاعر استطاع موسى أن يحول الأفكار التافهة التى تراود جميع الناس إلى فكرة وجود خالق للكون يتجاوز حدود المادة. والدوار والرعب اللذان يغشيان المرء عندما يعتلى قمة الهرم يذكران ميلفيل بالدين اليهودي. وأيضًا يقول ميلفيل إن أنبياء اليهود استمدوا الكثير من أفكارهم اللاهوتية المفزعة من المناظر الطبيعية الشيطانية الموجودة فى أرض فلسطين.

غير أن ميلفيل فى كتابه «كلاريل» يعبر عن تأثره بما يتجشمه اليهود فى فلسطين من صعوبات وما تعرضوا له من اضطهاد. فكلاريل طالب اللاهوت الذى يزور الأراضى المقدسة يلاحظ مدى الكراهية التى يحملها زملاؤه الدارسون نحو الشعب اليهودي. وبعض المقاطع الشعرية التى نظمها ميلفيل تصور أنواعًا مختلفة وغير نمطية من اليهود. ويستخدم ميلفيل شخصية اليهودى مارجوث فى قصيدة كلاريل للتعبير عن الشك الذى أصبح يراود الناس بشأن صحة سفر التكوين الوارد فى الكتاب المقدس بسبب التغيرات الهامة التى استحدثها علم الجيولوجيا وتاريخ الأرض وما كشف عنه كتاب تشارلس داروين الخطير «أصل الأنواع» (١٨٥٩). ورغم أن ميلفيل تشكك فى سلامة قصة خلق الخليقة وفى صحة الدين المسيحى فقد

عجز العلم عن إرضائه وحده بإجابات شافية عن تساؤلاته وذلك نتيجة إيمانه بأن مثل هذه الإجابات الشافية لابد وأن تأتى عن غير طريق العلم. فضلاً عن أن تناوله لشخصية مارجوث ينم عن كراهيته للعلم فمارجوث يدافع عن العلم على نحو ممل يدعو إلى السأم ويصور مارجوث الذى يسخر من الدين بأسلوب مستهجن وبطريقة تنفر القارئ منه ويعبر ميلفيل عن المزيد من الزراية بمارجوث عن طريق تصوير شدة استمساكه بجوانب الحياة النفعية . ويلتقى القارئ بمارجوث لأول مرة عند كومة الروث المجاورة لبوابة أورشليم. ويدافع مارجوث عن التجديف الذى يقلل من شأن وقيمة الأماكن المقدسة التاريخية العريقة. ولا يرجع مقت ميلفيل لشخصية مارجوث إلى عدائه للسامية فمؤلفنا يقول إنه يجب على المسيحية أن تعترف بفضل اليهود عليها وعلى نشأتها. وميلفيل أبعد ما يكون عن معاداة اليهود لأنهم يهود.

وعلى أية حال نجد أن مارجوث لا يحتفظ بيهوديته فقد ارتد عنها. ويعتبره ميلفيل رمزاً مضاداً لما تمثله فلسطين من روحانية. ولا ينسى الحجيج إلى بيت المقدس أبداً أن مارجوث يهودى ولهذا فإنهم لا يكفون عن ذكر ردته عن دينه ومناقشة الانشقاق الدينى فى صفوف اليهود فى فقرة شعرية كاملة. ورغم دهشة بعض القساوسة المسيحيين من ارتداده عن يهوديته فإنهم لا يلبثون أن يذكروا أن تاريخ اليهود شاهد الكثير من حالات الارتداد عن اليهودية.

والرأى عند ميلفيل أن اليهود الذين ينزحون عن ديارهم ووطنهم الأصلى يصيبهم التغير ويضطرون إلى التأقلم مع الحياة الجديدة فى بلاد المهجر رغم أنهم قد يستمسكون بدينهم القديم. ولكن هذا لا يمنع اتجاه بعض اليهود إلى نسف الدين اليهودى من جذوره مثلما فعل أوريل أكوستا وأترابه ممن سعوا إلى تطعيم دينهم اليهودى بالأفكار الأفلاطونية. ولكن هناك يهود آخرون أبوا اعتناق الدين المسيحى رغم الشكوك التى راودتهم بشأن ديانتهم اليهودية ويرى ميلفيل فى هذا الموقف احتفاظًا من جانبهم بأمانتهم الفكرية.

ويعبر ميلفيل عن عطفه الواضح على الشخصيات اليهودية الأخرى الواردة فى «كلاريل» والتى تحظى بتفهم المؤلف واحترامه. مثل شخصية ناثان رب العائلة

اليهودية المنحدرة من أصل مسيحى بيوريتانى متزمت. ورغم أن ناثان كان فى الظاهر يتبع الملة البروتستانتية، حتى لا يغضب والدته فإن الشك فى المسيحية ما لبث أن تسلل إلى عقله فآمن بالمذهب التأليهى الذى دعا إليه الفيلسوف توماس بين فى كتابه «الإدراك السليم» ويقابل هذا الشخص فتاة يهودية اسمها آجار ويقع فى غرامها ثم يتزوجها بعد تحوله إلى الدين اليهودي. ويتأجج شعوره الدينى فيصفى أعماله فى أمريكا ويصطحب زوجته وولديه ويرحل إلى فلسطين حيث يقوم بشراء مزرعة فى سهل شارون. ولكن اعتداء العرب والأتراك المتكرر يرغم الأسرة على الانسحاب من الضواحى والبحث عن العيش الآمن خلف أسوار المدينة.

استقى ميلفيل شخصية ناثان من شخصية واقعية تدعى كريسون قابلها المؤلف فى فلسطين وأشار إليها فى يومياته. وكريسون أمريكى اعتنق اليهودية وتزوج من يهودية بعد أن طلق زوجته المسيحية وهجر ابنه منها وكان هذا الرجل قد أوفد عام ١٨٤٤ إلى أورشليم فى بعثة تبشيرية أمريكية من أجل هداية اليهود والمسلمين إلى المسيحية. ولكنه سرعان ما ضاق ذرعًا بتعصب المبشرين المسيحيين فى الأراضى المقدسة. ولهذا قرر أن يقطع صلته بها. وفى عام ١٨٤٨ أى بعد مضى ستة أعوام لا غير اعتنق اليهودية وأجريت له عملية ختان رغم كبر سنه. ثم عاد إلى فيلادلفيا بأمريكا من أجل تصفية جميع أعماله هناك وقرر بعدها الإقامة بصفة دائمة فى فلسطين حيث غير اسمه المسيحى إلى اسم يهودى هو ميشيل بوذا إسرائيل الأمر الذى دفع زوجته المسيحية إلى رفع قضية ضده عام ١٨٤٩ متهمة إياه بالجنون. غير أن المحلفين حكموا ببرائته من اللوثة ولم يعتبروا أن تغيير دينه سبب يكفى لإدانته بالجنون. وبعد عودته من أمريكا إلى فلسطين عاش كريسون بين الطائفة اليهودية المعروفة بالسفارديم حيث عاش عيشة محترمة حتى وفاته عام ١٨٦٠. وأراد كريسون أن يصرف الانتباه عن خدمات المبشرين وجهودهم فأفتتح مطعمًا فى أورشليم لتقديم الشوربة إلى الزبائن مجانا . ويمكن القول إن أفكار هذا الرجل سبقت بعض جوانب الفكر الصهيونى والجدير بالذكر أن استمساك كريسون بالدين اليهودى كان شديداً وأن حماسه لعودة اليهود إلى وطنهم الأصلى كان عظيمًا وأيضًا يجدر

بالذكر أن ناثان الذى رسم المؤلف صورته على غرار كريسون لقى حتفه كما كان يخشى على أيدى بعض العرب المغيرين.

ويظهر ميلفيل تبجيلاً واحترامًا واضحًا نحو أسرة ناثان اليهودية، فضلاً عن أنه يعبر عن تعاطفه الشديد مع يهودى أسود اسمه عبدون. وإذا كان ميلفيل يقدم إلينا فى شخصية ناثان وعائلته نموذجًا لليهودى المتشبث بدينه والمستمسك به فإنه يقدم إلينا أيضًا صورة مختلفة تمامًا ليهودى فرنسى من ليون لا هم له سوى الاستمتاع بمباهج الحياة ولذاتها والتأقلم مع المجتمعات غير اليهودية تجنبا للمنغصات والمشاكل وسوء المعاملة. والجدير بالذكر أن موقف ميلفيل من تأقلم اليهود مع المجتمعات غير اليهودية غير واضح بالمرة فليس هناك ما يشير إلى إدانته لهذا التأقلم أو الإشادة به. ويتضح لنا مما سبق أن ميلفيل فى أعماله الروائية يتبنى موقفًا تقليديًا من اليهود وأنه يميل فى كثير من الأحيان إلى استخدام الصورة النمطية لهم وخاصة عندما يتناولهم بطريقة عابرة. فى حين أن موقفه منهم فى قصيدة كلاريل مختلف فهو يرسم فيها صوراً إنسانية للعديد منهم.

٧- الدين فى الشعر والرواية

تميزت أمريكا فى القرن التاسع عشر بظهور الأنشطة الدينية العنيفة والمتأججة والعديد من الملل البروتستانتية التبشيرية. ونظراً لأن الدستور الأمريكى نص على استقلال الدين عن الدولة فقد تجلت الحرية الفردية أكثر ما تجلت فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وتفككت الأواصر التى تربط بين الملل والنحل الدينية التقليدية، وشاهد الربع الأخير من القرن الثامن عشر تدهوراً ملحوظًا فى التنظيمات الدينية القائمة وانتشر المذهب التأليهى فى أمريكا على نحو لم يسبق له مثيل. «لكن انفراط عقد التنظيمات الدينية التقليدية ما لبث أن تحول إلى تماسك فى نهاية القرن الثامن عشر، واجتاحت أمريكا موجة عارمة من الإحياء الدينى وانتشرت حركات التبشير بالمسيحية لهداية اليهود وإدخالهم حظيرة الدين المسيحي. وانتعشت الجمعيات الداعية لقراءة الإنجيل الأمر الذى انتهى بإنشاء جمعية الكتاب المقدس الأمريكية عام ١٨١٦ , وفى عام ١٨٢٥ أصدرت الجمعية الأمريكية للمنشورات الدينية عدداً هائلاً من النبذات لنشر التعاليم المسيحية على نطاق واسع، وفى عام ١٨٢٦ اتحدت الجمعيات التبشيرية فى كيان واحد يعرف باسم الجمعية الأمريكية القومية للتبشير.

وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر تصدت الحركات التبشيرية لمحاربة العقلانية والمذهب التأليهى الذى يؤمن بوجود الله ولكنه ينكر الدين وأدى التحمس فى التصدى لهما إلى ظهور حركات تبشيرية عنيفة وجامحة حادت عن طريق الكنيسة الأم ومنها المذهب الينيتارى المعروف برفضه لعقيدة التثليث. وفى عقدى الثلاثينات والأربعينيات انتشرت ملل ونحل دينية أصولية منشقة خرجت من عباءة التنظيمات الدينية التقليدية. وظهر على الساحة التبشيرية أنبياء جدد مثل جون هنرى بويس مؤسس جماعة أونيدا. وأيضًا انتشر الاعتقاد بقرب المجئ الثانى للسيد المسيح وقرب نهاية العالم. وفى عام ١٨٣١ ذهب الداعية الدينى البارز وليم

ميلر أمام الآلاف من أتباعه ومريديه إلى حد التبشير بأن المسيح سوف يعود إلى الأرض عام ١٨٤٣ ليمحق غير المؤمنين به. ورغم أن نبوءته لم تتحقق فى الموعد المحدد فقد وجدت الدعوة إلى قرب عودة المسيح على الأرض ليحكم البشر لمدة ألف عام صدى عميقًا بين الناس، وتعتبر قصيدة توماس هاستنجز «اليوم الآخر» نموذجًا للشعر التبشيري. وقد اشترك هذا الرجل مع الدكتور لويل ماسون فى تأليف الترانيم الدينية السائدة فى الولايات المتحدة ومن بين التطورات الدينية البالغة الأهمية فى أمريكا نشأة الكنيسة المعروفة بكنيسة المورمون بزعامة جوزيف سميث الذى ادعى النبوة ونزول الوحى عليه فى عام ١٨٢٧ والذى ترجم هذا الوحى إلى كتاب مقدس جديد نشره عام ١٨٢٩ بعنوان «كتاب المورمون» واجتذب إليه عدداً غفيراً من المريدين الذين أرغمهم الاضطهاد على النزوح إلى الغرب الأمريكى من ولاية نيويورك إلى مدينة سولت ليك التى ازدهرت فيها كنيسة المورمون.

ومن الناحية المذهبية بالغت طائفة المورمون أكثر مما فعلت الطائفة البروتستانتية المتزمتة المعروفة بطائفة البيورتيان فى المساواة بين المسيحيين فى ذلك العهد وبين العبرانيين أو اليهود القدماء. واعتبر المورمون أنفسهم سلالة القبائل اليهودية التى تعرضت للشتات وتناثرت فى كل مكان بعد سقوط برج بابل. وذهبت طائفة المورمون إلى حد القول إن هذه القبائل اليهودية شقت طريقها إلى أمريكا وخاضت معارك ضارية لم يبق فيها على قيد الحياة سوى مورمون وابنه. واعتبر المورمون أنفسهم شعب إسرائيل الجديد كما اعتبروا أمريكا صهيونهم الجديد وأيضًا اعتبروا أمريكا بلاد صهيون المؤقتة لحين عودتهم إلى فلسطين واستعادة وطنهم الأصلي. غير أن هؤلاء المورمون لم يسعوا قط إلى الاندماج مع اليهود المعاصرين لهم بل ظلوا منفصلين عنهم.

أضف إلى ذلك أن المورمون الذين اعتبروا أنفسهم سلالة شعب إسرائيل القديم لم ينتجوا أدبًا يعبرون فيه عن أصولهم العبرانية باستثناء بعض القصائد العابرة ومسرحية تاريخية واحدة. فقد ألف المحرر إدوارد دابليو تاليدج عام ١٨٧٥ مسرحية بعنوان «بنو إسرائيل» تدور حول عودة اليهود إلى إنجلترا فى عهد الملك

تشارلس الثاني، واللافت للنظر فى هذه المسرحية أن مؤلفها يعتبر نفسه واحدا من شخصياتها.

وأدى هذا الاهتمام الشديد من جانب الأمريكيين بالكتاب المقدس والعهد القديم على وجه الخصوص وما واكب ذلك من نزوع إلى التبشير بعودة اليهود إلى فلسطين وقرب مجئ المسيح إلى العالم للمرة الثانية إلى إصدار سيل منهمر من كتب الرحلات والقصص والروايات والشعر فى عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وازداد اهتمام الكثير من الأمريكيين بالسفر إلى فلسطين التى بدأت تستحوذ على اهتمام الكثير من الكتاب الأمر الذى أدى إلى ظهور العديد من كتب السياحة والأسفار عنها. واستمد معظم المؤلفين الأمريكيين معلوماتهم عن الأراضى المقدسة من كتب الرحلات والأسفار وليس من أية زيارات ميدانية لهذه الأراضي. وليس أدل على ذلك من أن ليو والاس كتب روايته الشهيرة «بن هور» قبل سنوات من زيارته الفعلية لبيت المقدس. والجدير بالذكر أن ثلاثة أدباء أمريكيين فقط قاموا بزيارة الأراضى المقدسة هم وليم كالن بريانت وهيرمان ميلفيل ومارك توين.

وتميزت أغلب الكتابات الأمريكية الوصفية والروائية على حد سواء بتوجهها المسيحى فهى جميعا تحث اليهود على اعتناق الدين المسيحى دون أن تجد فى ذلك أية غضاضة أو خذلان من جانب اليهود لبنى جلدتهم لأن الدين المسيحى والدستور الأمريكى يكفلان المساواة بين سائر البشر لا فرق بين مسيحى ويهودي. ويمكن القول إن موقف الكتاب المسيحيين فى النصف الأول من القرن التاسع عشر اتسم فى مجمله بالتسامح فهم يشجبون ما تعرض له اليهود فى تاريخهم الطويل للاضطهاد مما أفضى إلى اتسام تبشير المسيحيين لهم فى تلك الفترة بالشفقة والحنان، فهم يدعون اليهود إلى الإيمان بالمسيح طواعية واختياراً وليس عنوة واقتداراً. ويتجسد هذا الموقف الحانى والشفوق على اليهود فى الخطاب الذى سطره أحد المسيحيين المنكرين للتثليث عام ١٨٣٣ بعنوان: «خطاب إلى اليهود فى هذه البلاد» حيث نرى الكاتب المسيحى يدين إلحاق الخسف والاضطهاد باليهود ويعتبره شيئًا منافيًا لروح المسيحية الحقة وأيضا لم تكن حناة آدمز الوحيدة فى القرن التاسع عشر التى دعت إلى انتهاج هذه السياسة الحانية على اليهود فهناك قصيدة مجهولة المؤلف

نظمت عام ١٨٣٦ تعبر فى أبياتها عن حنو مماثل.

وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر ظهرت قصيدة من الشعر الدينى نظمها القس وليم كروزيل بعنوان «المحفل اليهودي» وهى القصيدة الوحيدة التى تشير إلى الحياة اليهودية المعاصرة فى أمريكا فى كل مختارات روموس كريسولرد الشعرية المنشورة عام ١٨٤٢ بعنوان «القصائد والشعر فى أمريكا» الأمر الذى يدل على ضآلة الوعى الأمريكى آنذاك بالوجود اليهودى على الرغم من كثرة الإشارات إلى فلسطين وموضوعات الكتاب المقدس. وتصف القصيدة التى ألفها كروسويل زيارة إلى المحفل اليهودى تزخر بالأوصاف المثالية. وكالعادة تنتهى القصيدة بالتعبير عن الأمل فى أن تسقط الغشاوة عن عيون اليهود وأن يقبلوا الإيمان بيسوع المسيح كمخلص لهم.

ونحن نجد وصفًا للمحفل اليهودى أكثر واقعية من هذا نشرته الداعية لتحرير العبيد السيدة ليديا ماريا تشايلد عام ١٨٤١ , ولم تكن ليديا حتى ذلك الوقت قد رأت يهوديًا واحداً رغم أن عدداً كبيراً منهم كان يسكن بوسطن حينذاك.

وما إن جاءت ليديا عام ١٨٤١ إلى مدينة نيويورك لإصدار صحيفة «ستاندرد القومية لمحاربة العبودية» حتى بادرت بحضور قداس منعقد فى محفل جروسبى ستريت وهو أقدم محفل يهودى فى الولايات المتحدة. ولم تستاء هذه السيدة من الغلظة التى عاملها اليهود بها أثناء حضورها الصلاة فى معبدهم. وتذكرت فى المقابل أن العالم المسيحى كان غليظًا معهم ولم يترفق بهم.

غير إنها لاحظت أن القداس اليهودى لا يتسم بنفس الجلال الذى يتسم به القداس الكاثوليكي. وتعلق ليديا ماريا تشايلد على اليهود بقولها إنه رغم انحرافهم عن جادة الطريق وعجزهم عن رؤيته فإنهم فى نهاية الأمر استحدثوا الوحدانية وأن المرء لا يستطيع أن ينزع قداستهم وعطرهم الرومانسي.

وفيما بعد نشرت ليديا تشايلد كتابًا آخر هاجمت فيه بضراوة التحيز أو التعصب الدينى وسوء معاملة المسيحيين لليهود ووصفت هذه المعاملة السيئة بأنها أوسخ بقعة تلطخ التاريخ المسيحي. وتستطرد ليديا تشايلد قائلة إن التعصب

المسيحى الأثيم تسبب فى معاناة اليهود واضطهادهم على يد من يدعون الانتساب إلى الدين المسيحي.

ورغم انتشار الكتابات الأمريكية فى تلك الفترة التى شاع فيها التألم على ما قاساه اليهود من خسف واضطهاد فإنه لم يكن هناك أدنى خلاف بين المؤلفين والكتاب حول استحقاق اليهود للإدانة بسبب إقدامهم على سفك دم السيد المسيح. وفى عام ١٨٤٢ نشر الشاعر الأمريكى جونسون بيرسون ملحمة شعرية طنانة تشرح بالتفصيل النكبات التى أحاقت باليهود القدامى وتروى لنا هذه القصيدة بنغمة قريبة من أسلوب الشاعر جون ميلتون تاريخ اليهود منذ عهد موسى وخروجهم من مصر حتى شتاتهم فى منتصف القرن الثانى الميلادى بعد قيام الرومان بتدمير هيكل سليمان فى أورشليم . يقول الشاعر بيرسون بشأن اهتمامه باستقصاء النكبات التى حلت بشعب بنى إسرائيل إن هذه النكبات تجعل تاريخ اليهود عزيزاً على كل إنسان.

الشاعر وليم وتمور ستورى (١٨١٩ - ١٨٩٥) William Wetmore Story

غير أن الشاعر الأمريكى وليم وتمور ستورى ألف قصيدة مفعمة بالعداء للسامية. ولد هذا الشاعر فى ولاية نيو إنجلاند وهو ابن ستورى رئيس القضاة بالمحكمة العليا. وقد ترك هذا الابن الشاعر خلفه مكتبا للمحاماة والاستشارات القانونية فى بوسطن التى رحل عنها ليستقر فى إيطاليا حيث أصبح نحاتًا وشاعراً.

وقبل مغادرته لبوسطن سطر خطابًا إلى جيمس راسل لوويل بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٨٥٥ عبر فيه عن زرايته الشديدة باليهود. ويخبرنا الشاعر ستورى أن الممثلة الفرنسية راشيل حضرت إلى بوسطن لإقامة بعض الحفلات التمثيلية بمصاحبة عدد من اليهود الذين وصفتهم بالأوساخ. ورغم ما تضمنه خطاب ستورى المشار إليه من عداوة لليهود فإنه نظم قصيدة متعاطفة مع السامية بعنوان «محامى رومانى فى أورشليم» زعم أنه استقاها من مخطوطة مكتشفة حديثًا وضعها محام رومانى وثنى فى القرن الأول الميلادي. وتسعى هذه المخطوطة إلى رسم صورة ليهوذا الأسخريوطى الذى غدر بالمسيح وسلمه إلى جلاديه تختلف كل الاختلاف عن صورته التقليدية

كرجل غدار وخائن. ويطرح المحامى المدافع عن يهوذا عدة أسئلة مثل: هل كان يهوذا ينوى بالفعل أن يخون المسيح وهل كانت له مبرراته؟ يقول المحامى فى مخطوطته إن ليسياس قائد الجند الذى شاهد صلب المسيح قال إن يهوذا الأسخريوطى كان شجاعًا وأمينًا وشديد الولاء للسيد المسيح وإنه الوحيد بين تلاميذه الذى اعتبره ربًا وإلهًا. وتضيف المخطوطة أن يهوذا لم يدافع عن المسيح لأنه كان موقنًا أن الله لن يخذله وإنه سوف يخلصه من براثن رؤساء الكهنة اليهود. هذا اليقين جعل يضع المسيح موضع التجربة كبرهان على أن الله سوف ينقذه من أيدى شانئيه فالمسيح إن هو إلا المخلص الآتى ورب الأرباب وملك الملوك، ويستطرد ليسياس فى تبريره إن المسيح نفسه أراد من يهوذا أن يخونه لأنه هو الذى قال ليهوذا: «الذى تريد أن تفعله اذهب وافعله بسرعة، ويجادل ليسياس قائلاً إن أحداً من التلاميذ لم يحاول أن يتدخل لمنع زميلهم يهوذا من خيانة المسيح لأنهم فهموا أن ذلك كان بناء على رغبة المسيح نفسه. وحين تم الصلب وتبين أن الله لم يخلص المسيح من الهلاك امتلأ قلب يهوذا مسلمه بالألم المر والإحباط الشديد الأمر الذى جعله يتوجه على الفور إلى قائد الجند ويعيد إليه الفضة التى قبضها ثمنًا لتسليم المسيح. ويرى ليسياس أن إقدام يهوذا على شنق نفسه هو أبلغ دليل على براءته. ويختم ستورى قصيدته الغريبة بقوله إذا كان يهوذا خائنًا بالفعل لما شعر بعذاب الضمير.

وأيضًا كتب ستورى قصيدة طويلة بعنوان «الحبر اليهودى فى روما» وتعالج هذه القصيدة أحداثًا وقعت فى القرن الخامس عشر الميلادي. وتحكى لنا قصة الحبر اليهودى بن إسدرون الذى سافر إلى روما كى يعلم حقيقة العالم المسيحي.

والرأى عند هذا الحبر أن يسوع إنسان فى منتهى المثالية تتجلى له الرؤى وأن الصواب لم يجانبه تمامًا فيما وجهه إلى اليهود من نقد وملامة. ويعتقد هذا الحبر أن يسوع كان سيصبح مجرد زعيم أو قائد تقليدى لولا أن اليهود قاموا بصلبه لأن صلبه جعل منه إنسانًا يفوق جميع البشر. وتختلف قصيدة ستورى «الحبر اليهودى فى روما» عن قصيدته السابقة فى أنها أقل حدة فى عدائها لليهود. بل إنها تظهر شيئا من العطف نحوهم. ففى «الحبر اليهودى فى روما» يعجز العالم المسيحى عن إظهار ما يزعمه من حب لكل البشر. ويعتقد الحبر اليهودى أن يسوع كان يهوديا

كاملا وإنه لم يفقد قط إيمانه بالدين المسيحي. وينحى هذا الحبر باللامة على المسيحيين لأنهم ينادون بالسلام والأخوة الإنسانية والتخلى عن مجد الدنيا الزائل فى حين أن أفعالهم تكذبهم فهم يشنون الحروب ويدوسون الفقراء تحت الأقدام ويلحقون الظلم والخسف بالطبقات الفقيرة. كما أنهم يستخدمون اسم الله فى الإتيان بأعمال الشيطان.

ويتمنى بن إسدرون أن تنشأ ملة تضع بالفعل تعاليم المسيح موضع التنفيذ حتى لا يعمه وجهاء روما والبابا سكستوس فى غيهم وضلالهم وترفهم.

ويعدد بن إسدرون صنوف المذلة والمهانة التى يتعرض لها اليهود على أيدى المسيحيين الذين يطأونهم بنعالهم فيفرضون عليهم الضرائب الباهظة ويرغمونهم على لبس الشارات التى تميزهم عن سائر الناس كما أن المسيحيين يضطرونهم إلى العيش فى الحارات والأحياء القذرة بمعزل عن بقية سكان المدينة. وهم أيضا محرومون من شغل الوظائف العامة ولاتقبل المحاكم شهادتهم وهم يجبرون على التسابق أنصاف عرايا كالكلاب المقيدة فى الاحتفالات والكرنفالات التى يقيمها الرومان لا يستر عورتهم سوى القليل من الأسمال. ويحتج بن إسدرون على طريقة اليهود فى تقبل هذه الإساءات بكل خضوع ومذلة.

ويجدر بالذكر أن بن إسدرون تأثر بالشاعر الإنجليزى المعروف روبرت براوننج الذى إلتقى به فى روما وعقد صداقة معه.

ورغم ما يبديه ستورى من عداوة لليهود فإنه يتألم فى كتابه «ملابس روما» من اشتغالهم ببيع الروبابيكيا بعد تنظيفها بأبهظ الأسعار ويستاء من استعدادهم الرهيب للمساومة. ونحن نلاحظ فى خطابه إلى صديقه الروائى الأمريكى الذى تجنس بالجنسية البريطانية هنرى جيمس برمه من قذارة شوارعهم وضيقه من منظرهم. غير أنه يعلى من شأن قدرتهم على الصمود والمحافظة على دينهم فى وجه محاولات المسيحيين المستميتة وغير الناجحة لهدايتهم للدين المسيحي. ويربط ستورى بين جنوح اليهود إلى السرقة وبين اشتغالهم بالملابس القديمة: غير أن اشمئزازه من منظرهم لا يحول دون التعبير عن غضبه من حالتهم الرثة التى تدل على عدم تسامح

المجتمع المسيحى معهم.

كتب ستورى - شأنه فى ذلك شأن كافة شعراء تلك الفترة - عن فلسطين ونحن نراه فى قصيدته «أحزان أورشليم ووحشتها» ينعى الحالة البائسة التى آلت إليها هذه المدينة. وينهى ستورى قصيدته بالأمل فى أن يأتى إليها رب اليهود مرة أخرى وأن يضع التاج على رأس شعب إسرائيل. ولكن طبيعة ستورى المتمردة جعلته لا يحب أو يحبذ فكرة تحويل اليهود إلى الدين المسيحى على عكس الشاعرة كروفورد أن التى تحدثنا فى قصيدتين من نظمها عن المحارب الصليبى الذى يعلن محزونًا لحبيبته أن فراقه عنها أمر لا محيص عنه ولهذا يطلب من حبيبته اليهودية أن يحدثها عن إله المسيحيين وتنتهى القصيدة بأن تؤمن هذه الحبيبة بالمسيح.

وفى نهاية القرن التاسع عشر أعرب المسيحيون المؤمنون بقرب عودة المسيح إلى الأرض عن أملهم فى رجوع اليهود إلى فلسطين. وهو أمل شجع عليه ما طرأ على الساحة السياسية من تطورات علمانية. وقد ألفت فيبى أ. هانافورد عام ١٨٦٨ التى عينت أول قسيسة فى كنيسة هنجهام الكونية بولاية ماساشوستس قصيدة بعنوان «رجوع اليهود إلى فلسطين» نشرتها عام ١٨٧٠ وقدمت فيبى قصيدتها بفقرة اقتطفتها من صحيفة «الفيلادلفيا بريس» تتنبأ بتحقيق أمل اليهود فى العودة إلى فلسطين فى القرن العشرين. وتقول هذه الفقرة أن سلطان تركيا شجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين وأن بعض التلال المحيطة بأورشليم أصبحت فى يد اليهود وأنه ليس من المستبعد أن تعود ملكية مدينة أورشليم (القدس) بكاملها إلى اليهود أصحابها الأصليين.

الرواية الأمريكية فى القرن التاسع عشر :

ولم تقتصر مثل هذه النبوءة على الشعر الأمريكى فى القرن التاسع عشر بل امتدت إلى الرواية الأمريكية فى تلك الفترة. والجدير بالذكر أن الإنتاج الروائى الذى عالج هذه القضية فاق ضخامته الإنتاج الشعرى إن العقود الأولى من القرن التاسع عشر شاهدت إحياء دينيًا مسيحيًا عظيمًا. فلا غرو إذا وجدنا الصحوة الدينية والنزعة التبشيرية بالمسيحية فى أمريكا تجتاح القرن التاسع عشر من بدايته إلى

نهايته. والتهبت المشاعر الدينية المسيحية بين الناس لدرجة مذهلة وارتفع عدد المترددين على الكنائس من (١) على (١٥) فى عام ١٨٠٠ إلى (١) على (٨) عام ١٨٣٥ . ولهذا ظهر سيل عارم من الروايات الدينية التى تستمد أحداثها ومادتها من الكتاب المقدس ومن الفترات التى تمجد الدين المسيحى واشترك عدد غفير من رجال الكنيسة فى أمريكا فى تأليف هذه الروايات باعتبار أنه واجب بفرضه عليهم إيمانهم بالمسيحية. وهذا ما تؤكده هارميت بتشر ستو التى رأت فى تأليف مثل هذه الروايات أفضل طريق إلى خدمة الدين المسيحي.

ثم جاء صاحب النظريات الأدبية جيمس أ. هيل هاوس ذو النفوذ الواسع ومؤلف ملحمة «حاداد» المستمدة من الكتاب المقدس ليدعو إلى ضرورة استخدام مادته فى تأليف كافة الملاحم والتراجيديات وأن مثل هذه المادة الدينية تفوق فى صلاحيتها الأدبية كافة النماذج الأدبية الكلاسيكية ولم يكتف هيل هاوس بوضع الإطار النظرى للإنتاج الأدبى بل قام بوضعه موضع التنفيذ غير أن مسرحياته الشعرية وقصائده لم ترق إلى المستوى الأدبى الرفيع فهى تبعث على الضجر فى كثير من الأحيان.

ويمكن القول إن اهتمام هيل هاوس بموضوعات العهد القديم كان نوعا من الاستجابة الأدبية لانتشار الوعى الدينى المسيحى بين عامة الأمريكيين ورغبة من جانبه لإجتذابهم إلى العقيدة المسيحية وهداية غير المسيحيين إليها أى أن الدافع إلى اهتمامه باليهودية والكتاب المقدس كان الرغبة فى نشر الدين المسيحى باعتبار أن العهد القديم ليس سوى تمهيد لظهور المسيحية ونبوءة بمجئ المسيح.

ماريا ت. ريتشاردز Maria T. Richards

كانت ماريا ت. ريتشاردز كاتبة ذائعة الصيت ألفت سلسلة من الاسكتشات عن العهد القديم بعنوان «الحياة فى إسرائيل» (١٨٥٢)وجاء فى تصديرها لهذه الاسكتشات أن هذه السلسلة عبارة عن حلقات تربط بين التطورات التى أدت إلى مجئ المخلص يسوع المسيح. وتستطرد ماريا ريتشاردز قائلة إنه يمكن تتبع هذه الفكرة من خلال تاريخ اليهود «شعب الله المختار» منذ فجر البشارة بمجئ المسيح فى

العهد القديم حتى وقت التحقيق الكامل لملكة السماء على الأرض على يديه. والرأى عندها أن تاريخ «نسل إبراهيم» يكشف عن مشيئة الله كما أنه شاهد من خلال العصور المختلفة على صدق النبوءة وحقيقة ما يتضمنه هذا التاريخ فضلاً عن أنه شاهد على أن الله اصطفى نسل إبراهيم كأمة مقدسة حتى تقوم بنقل السر العظيم الخاص بتجسد الله فى شخص يسوع المسيح وعظمة الفداء ولطف الرب بالبشر. وبطبيعة الحال كانت مشاعر المسيحيين الأمريكيين نحو اليهود تعكرها الكراهية التقليدية المتوارثة لبنى إسرائيل وهى كراهية خلفتها العصور الوسطى فى أوروبا بما تركته وراءها من أنماط أدبية تقليدية تقطر بالمشاعر المعادية لليهود وأعلت الرواية الأمريكية بما فيها روايات ماريا ريتشاردز من شأن اليهود الذين أمنوا بالمسيح واتبعوا بشارته فهؤلاء هم الصالحون فى حين أن الذين أنكروه وأضطهدوه هم الطالحون.

والجدير بالذكر أن مثل هذه الدعاية للدين المسيحى كانت تهدف فى الأساس إلى مخاطبة الأطفال. ولهذا نشر اتحاد مدارس الأحد الأمريكية عام ١٨٢٤ عدداً من كتب الأطفال الساعية إلى تفسير الكتاب المقدس. وكان من الطبيعى أن يكون الطابع العام لهذه الكتب أخلاقيًا وتعليميًا. وتعتبر رواية «اليتيم اليهودى هاداساه» المجهولة المؤلف والمنشورة نحو عام ١٨٣٤ والتى تحكى قصة أستر وموردخاى فى طليعة هذه الكتابات. وتمتدح هذه القصة الحكمة والفضيلة المتمثلة فى شخص يهودى يدعى موردخاي. ولكنها تذكرنا فى نفس الوقت بأن اليهود الذين نادوا مرحبين بمجئ المخلص المسيح هم الذين صاحوا فيما بعد مطالبين بصلبه. وتنتهى القصة بعبارة مفادها أن الزهو والطموح يقوضان السعادة وأن الصالحين يعيشون فى مأمن تحت رعاية الله والمسيح.

وأيضا نشر اتحاد مدارس الأحد الأمريكية كتبا تخاطب الشباب من تأليف القس جارفيس جريج منها قصة كتبها عام ١٨٣٣ بعنوان «سيلويل» التى تحدثنا عن الأماكن التى ورد ذكرها فى الإنجيل بعد صلب المسيح كما تحدثنا الحكاية عن هداية يهودى اسمه «هيلاه» إلى الدين المسيحى كما تخبرنا أن المسيحية أرحم من الشريعة الموسوية. واليهود مكتوب عليهم الهلاك إذا لم يقبلوا المسيح ويتبعوا

تعاليمه كما يجب أن يتخلى اليهود عن زهوهم القومى ويشعروا بفداحة الذنب الذى اقترفوه عندما أساءوا إلى السيد المسيح. وبعد مرور عامين نشر جريج قصة أخرى بعنوان «إليزاما» استخدم فيها نفس التكنيك كى يروى لنا قصة عن إعادة بناء هيكل اليهود الذى تهدم عندما اجتاح الجنود الرومان مدينة أورشليم. وتشيد القصة بالمسيحية وتؤكد لنا إنها أرفع شأنًا من الدين اليهودى وتشير إلى أن النبى دانيال فى العهد القديم تنبأ بمجئ السيد المسيح. وتقارن القصة بين اليهودية والمسيحية فتصف الشعائر اليهودية بأنها مظهرية ومختالة تزهو بنفسها فى حين أن شعائر المسيحية تتسم بالروحانية والدفء.

وفى عام ١٨٤١ نشر اتحاد مدارس الأحد الأمريكية رواية للشباب غير معروفة المؤلف بعنوان «إيدو» تروى حكاية الحروب الماكابية التى خاضها اليهود من أجل الحصول على استقلالهم. وتوضح القصة الفرق بين اليهود الأوفياء لدين الآباء والأجداد واليهود المنافقين والأدعياء الذين يمارسون العبادات الوثنية. وتعبر هذه الرواية عن الإعجاب الشديد بتقوى اليهود وورعهم وطيبة المؤمنين منهم وكيف إنهم يضربون أروع المثل للقارئ المسيحى وتمجد القصة الدين اليهودى باعتباره الدين الحق قبل ظهور المسيحية كما أن القصة تندد بالذين ألحقوا فيما مضى الخسف والاضطهاد باليهود.

ساره بوجسون سميث Sarah Pogson Smith

فى عام ١٨٣٧ أصدرت السيدة ساره بوجسون سميث قصة شبابية بعنوان «يراه اليهودى المؤمن» واتبعت المؤلفة فيها لأسباب تعليمية أسلوب اقتطاف فقرات كاملة من الإنجيل بالحروف المائلة فى سياق سردها الروائى الذى يحكى لنا قصة صلب المسيح من وجهة نظر أحد الشهود وهو يهودى اسمه زيراه تحول إلى الدين المسيحى وأصبح شديد التمسك بدينه الجديد.

وزيراه متزوج من يهودية شابة جميلة تدعى راشيل يقتلها يهودى شرير وحسود اسمه سانبيلاد. ويسافر زيراه إلى دمشق والأسكندرية ثم إنجلترا وأخيراً إلى روما حيث يشاهد بنفسه الاضطهاد الواقع على المسيحيين. وترسم الرواية صورة

بشعة وكريهة لليهود الذين يرفضون التحول إلى الدين المسيحي. والجدير بالذكر أن الكاتبة إما إليزابيث براون Emma Elizabeth Brown نشرت رواية شبابية تقع أحداثها فى الفترة السابقة على مجئ المسيح تحمل عنوان «من الظلمة إلى النور» (١٨٧٢) وهذه الرواية ترفع من شأن اليهود وتصف ربهم بأنه رب عادل ورحيم.

وفى عام ١٨٨٨ كتب صامويل دافيد أوزبورن قصة شبابية بعنوان «سحر عشتروت» ورغم غموض ما ترمى إليه هذه القصة من هدف فإنه من الواضح أن رب اليهود فيها جبار صارم لا تعرف الرحمة إليه سبيلاً وإنه يريد من عبيده الخضوع الكامل والولاء المطلق. وتدور أحداث هذه القصة حول يهودى شاب وبطل صنديد اسمه يوشع قاد جيشه إلى النصر فى الخليل . غير أنه وقع فى غرام كاهنة عشتروت فنبذ جنسيته اليهودية من أجلها. فضلاً عن أنه - وهو الأدهى والأضل سبيلاً- فضل عشتروت على يهوا رب اليهود. ورغم أن مؤلف القصة لا يفتأ يمجد يهوا فإنه دون قصد منه يعلى من شأن الحب ويجعل من عشق اليهودى الشاب لمعشوقته أمراً ينافس أوامر الله ونواهيه. ولهذا نجد أن الشباب الرومانسى من قراء القصة نهب مقسم بين العطف على العاشقين ومأساتهم وبين الخضوع التام لمشيئة يهوا الجبار.

وفى نهاية القرن التاسع عشر أصدرت جمعية المطبوعات اليهودية عام ١٨٩٨ رواية لا تنطوى على أية مضامين مسيحية بعنوان «الأمير ألمون الضائع». وهى من تأليف مسيحى اسمه لويس بوريجارد بندلتون..... والرواية من أولها إلى آخرها تدور حول العهد القديم ولا تشير بالمرة إلى تنبؤاته بمجئ السيد المسيح وهى تحكى مغامرات أمير وسيم هو آخر نسل داود النبي. ويتصدى هذا الأمير لمحاربة الملكة الشريرة أثاليا التى تتبع غواية الشيطان بعلزبول: ويتمكن هذا الأمير من الانتصار عليها وينجح فى استعادة العرش الذى اغتصبته منه ويعقد العزم على القضاء على عبادة الشيطان بعلزبول. وشجعت هذه الرواية قراءها من الشبيبة على الاعتقاد بأن الخير لابد أن يمحق الشر.

يتضح لنا مما سلف أن الإشارات للعهدين القديم والجديد فى الأدب الروائى الأمريكى لم تكن سوى محاولات للتبشير بمبادئ الدين المسيحي. فضلا عن أن هذا الأدب فى كثير من الأحيان كان يدور حول تحول اليهود وهدايتهم إلى المسيحية.

ولا غرو فقد كانت فكرة مجئ المسيح للعالم للمرة الثانية غائرة فى الوعى الدينى للأمة الأمريكية. وحيث أن عودة المسيح الثانية إلى العالم كانت مرهونة بعودة اليهود إلى أورشليم وتحولهم إلى الإيمان بالمسيحية فقد حرص كثير من المبشرين المسيحيين على التعجيل بحدوث هذا الحدث. وانتشرت الجمعيات المسيحية فى ربوع أمريكا وسعت إلى هداية اليهود فى داخل البلاد وخارجها إلى الدين المسيحى ولكن معظم المحاولات المتكررة لتغييير دين اليهود باءت بالفشل الذريع حيث أظهروا التشبث بدينهم. ولهذا يمكن القول إن هذا الأدب الروائى التبشيرى لا يعكس الواقع أو حقيقة ما جرى فى المجتمع الأمريكى فهو يزخر بحالات اعتناق اليهود للمسيحية فى حين أن الواقع يكذب ذلك لأن اليهود استمسكوا بقوة بدين آبائهم وأجدادهم.

ومن القصص التبشيرى الشائع تلك الرواية التى ألفتها عام ١٨٦٠ بعنوان «التوأمان اليهوديان» سارة سكون ماكر (تتهيل) بيكر تحت اسم مستعار. تقول هذه المؤلفة فى روايتها إن اليهود يشعرون بالأمتنان بسبب ما يتمتعون به من حرية فى أمريكا: «يالها من نعمة وبركة أن يعيش المرء فى بلد آمن يلجأ إليه شعب الله القديم. والتوأمان اليهوديان موبيم وهوبيم يقتربان من المسيحية عن طريق دراستهما للعهد القديم ويقعان تحت تأثير شخصية المسيح المتسامحة الرحيمة والغافرة للخطايا. والرواية رغم تبشيرها بالمسيحية تشيد بأمة اليهود شعب الله المختار فهو الشعب الذى خرج منه موسى والأنبياء والعذراء مريم وتلاميذ المسيح الاثنا عشر. وهو الشعب الذى آثر السيد المسيح نفسه أن ينتمى إليه ويعده بأن يعود إليه ليحكمه إلى يوم البعث. ويفشل الوالدان فى منع ابنيهما موبيم وهوبيم فى اعتناق المسيحية فينفصلان عن والديهما ويعيشان فى بحبوحة ورَغد. ويموت الأب عندما يشب حريق. ويتولى التوأمان الصالحان رعاية مصالح العائلة التى تتحول بأكملها إلى الدين المسيحي. ويترك أحد التوأمين أعماله لينذر نفسه لتبشير بنى جلدته ببشارة السيد المسيح.

وتدور أحداث الرواية التى ألفتها السيدة سي.أ. أوجدن C. A. Ogden عام ١٨٦٧ بعنوان «فى قلب النور أو اليهودية» والمنشور فى سلسلة تعليم الفتاة الأمريكية حول اعتناق فتاة يهودية الدين المسيحي. وليس أدل على ذيوع هذه الرواية

وانتشارها من إنها شغلت أذهان القراء لمدة ثلاثة عقود. وتحتوى هذه الرواية على عدد من الشخصيات اليهودية لعل أسوأهم هو جوزيف فلمنج الذى يهزأ بالمسيح ويرفض أتباع الدين المسيحي. ويحاول هذا الشرير دون جدوى أن يراود عن نفسه فتاة يهودية اسمها ناعومى هاميت. وجوزيف فلمنج صاحب عمل ناجح. ولكن أنانيته وحبه المفرط للمال يدفعانه إلى التخلص من ورقة ملقاة يظن خطأ أنها طلب للمساعدة والإحسان فى حين أنها الورقة التى تثبت تأمينه على تجارته. وتحل بجوزيف فلمنج طامة كبرى عندما يتسرع ويقدم على إحراق هذه الورقة فيضيع حقه فى التعويض على الكارثة التى حلت به. ولم يتعظ هذا الشرير بما حدث له بل إن الكارثة التى وقعت له جعلته أكثر لؤمًا وسوءاً عن ذى قبل. ولم يجد عملاً يرتزق منه سوى فتح مكتب للرهونات.

أما الفتاة ناعومى هاميت التى حاول الوغد جوزيف فلمنج مراودتها عن نفسه دون جدوى فقد استجابت لغرام قسيس مسيحى شاب اسمه هوارس فينسنت كان قد أنقذ أباها روبين من السقوط على الثلج. وروبين يهودى تقى وورع وهو زهرة بنى إسرائيل الحبيب. وتتقرب الفتاة ناعومى من حبيبها لتتزوجه فى آخر الرواية التى تنتهى بأن تتحول ناعومى ووالدها إلى الدين المسيحى مثلما تحول طبيب والدها اليهودى الدكتور مبر وزوجته إلى هذا الدين. وتجرى مناقشة بين الطبيب وحبر يهودى يدى زارا حول تحول الطبيب للمسيحية. وتنتهى المناقشة بهزيمة الحبر اليهودى أمام الطبيب الذى يوكد أن اعتناق اليهود للمسيحية يجعلهم يهوداً مرتين أى يزيد من يهوديتهم بسبب إيمانهم بالمسيح إنسان إسرائيل المقدس واعترافهم بأن إسحق وأشعيا والأنبياء كانوا مسيحيين . والنور الذى يشير إليه عنوان الرواية هو النور المنبعث من الإيمان بالمسيحية. فلا غرو إذا رأينا ناعومى تصلى من أجل تحول شعب إسرائيل بأسره إلى المسيحية وعودته إلى أرض أجداده المقدسة تتوجه هالة من الجلال والمجد والسمو. ولم تقف النزعة التبشيرية لدى المؤلفين المسيحيين الأمريكيين إلى هذا الحد فالكاتبة هاريت دابليو بيكر Harriette N. W. Baker فى الإهداء الذى صدرت به روايتها «ضاع ولكنه وجد: أو أرض الوطن» (١٨٦٦) تحث بنات صديقاتها «أن

يبذلن الجهد ويصلين بحرقة أكثر أن تتحول قلوبهن إلى المسيح الذى وعد أباؤهن به».

ولم يكن الأمل فى تحويل اليهود إلى المسيحية قاصراً على الإهداء الذى صدرت به هاربيت بيكر روايتها بل امتد إلى كثير من الإهداءات الأخرى التى صدر بها المؤلفون المبشرون بالمسيحية رواياتهم. وفى العادة كان أبناء اليهود هم الذين يبدأون باعتناق المسيحية ثم يتبعهم آباؤهم بعد ذلك. ففى قصة «العمة هاتي» نرى المسيحية مسز دانكان تحث ابنها إسحق على محبة اليهود والصلاة من أجلهم بقوة حتى يفتح أعينهم ويهديهم إلى المسيح رغم علمها بما يكنه اليهود للمسيح من زراية واحتقار. وتؤكد الرواية أن هناك لعنة على اليهود فهم لا يكفون عن قتل الأرباب وسفك دم الآلهة. وتستشهد مسز دانكان على وجود هذه اللعنة بقول اليهود بعد صلب المسيح: «دمه علينا وعلى أولادنا». وليس شتاتهم فى أرجاء المعمورة ودوسهم تحت الأقدام إلا العقاب الذى يستحقونه لإنكارهم المسيح وسفكهم دمه. وأيضًا تدين مسز دانكان اليهود وتتهمهم بالتسيب وعدم الوفاء والإخلاص لدينهم. وتنتهى الرواية بنجاح مسز دانكان فى إقناع كل أفراد عائلة سايكاس بالإيمان بالدين المسيحى الأمر الذى يجعل حبر العائلة حزينًا كاسف البال ومغلوبًا على أمره. وأيضًا تنجح الديانة المسيحية فى تحويل سايكاس المتعجرف إلى إنسان وديع لطيف المعشر يحنو على الجميع. كما أنه من فرط حماسه للدين المسيحى يصبح مدرسا فى مدارس الأحد.

وفى عام ١٨٧٩ كتبت مسز بيكر قصة أخرى بعنوان «ربيكا اليهودية» جاء فى مقدمتها: «أن هدف الكاتبة من وراء قصتها سوف يتحقق لو أن طفلاً يهوديا تأثر بها وأصبح يؤمن بأن يسوع هو المسيح والمخلص الحقيقى الذى جاءت البشارة منذ القدم به ومرة أخرى نرى أن تحول اليهود إلى الدين المسيحى يهذب من أخلاقهم ويحسن من طبائعهم ومسلكهم. وتدور أحداث القصة حول فتاة يتيمة وارثة ثرية تدعى ربيكا فى العاشرة من عمرها وهى تشعر فى قلبها بالحزن وبأن الله قد تخلى عنها. وعندما تكبر لا تهتم بشيء غير المظاهر الفارغة والمجوهرات والملابس. ولهذه الفتاة ابنة عم تدعى إستر اعتنقت الدين المسيحى وآلت على نفسها أن تهدى ربيكا

سواء السبيل وأن تقنعها بأن يسوع هو المسيح. وتقرأ ربيكا العهد الجديد ثم «اليهودى الذى اهتدى إلى المسيحية» (وهو كتاب من تأليف القس مستر ليفرمور) فتقتنع بسلامة الدين المسيحى وتنوح على شعب بنى إسرائيل الذى يعيش فى جهالة وضلالة وتستبد بها الرغبة فى هداية بنى جلدتها إلى الدين المسيحي. وتترك ربيكا خطيبها لتتزوج من القس ليفرمور وقرر الاثنان السفر إلى جاميكا لهداية الزنوج هناك إلى المسيحية. وفى جاميكا يداهم المرض ربيكا ويفترسها فتشعر بالنشوة لدنوها من الموت وقرب انتقالها إلى رحاب الله.

سوزان وارنر Susan Warner تتناول الفضائل اليهودية:

فى عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر ذاع اسم الروائية سوزان وارنر ذيوعًا عظيمًا. ألفت هذه الكاتبة سلسلة من الكتب بلغت ذروتها بتحول إحدى شخصياتها النسائية نصف اليهودية إلى الدين المسيحى وتدل الوثائق الإحصائية أن روايتها «العالم الفسيح» هى أول كتاب أمريكى بلغ عدد النسخ المباعة منه مليون نسخة. وأيضا ألفت سوزان وارنر مجموعة من الكتب التعليمية التى تفسر الكتاب المقدس. ورغم أن هذه المجموعة تدور حول فضائل الشعب اليهودى القديم فإنه ينقصه طيبة المسيحيين. وتتلخص نقصيته الأساسية فى إنكاره للمسيح. وكذلك ألفت سوزان وارنر قصتين للشباب هما «بيت فى المدينة» (١٨٧١) و«المتاجرة» (١٨٧٢) اللتان تدوران أحداثهما حول الفتاة المسيحية ماتيلدا والفتى المسيحى نورتون وابن وابنة عمهما اليهوديين جوديث ودافيد. ويقوم نورتون المسيحى بمعايرة دافيد بسبب يهوديته كما يقوم الطلبة فى المدرسة بمقاطعته والابتعاد عنه. ولكنه يتضح لنا على الرغم من يهوديته أنه شخص ودود ولطيف المعشر. أما الفتاة ماتيلدا المسيحية فهى فتاة فقيرة وتقية تبنتها عائلة ميسورة الحال. وهى فتاة شديدة العطف على الفقراء وتتصف بالدوافع الإنسانية الغامرة. وفى رواية سوزان وارنر الثانية «المتاجرة» تكبر ماتيلدا وتتقوى فى الإيمان والتقوى والبر بالفقراء. ويستحسن ابن عمها دافيد مشاعرها النبيلة نحو المعوزين مدللا بأن العهد القديم يأمر بعمل الخير وينص على الإحسان ويتأثر دافيد بشخصية ماتيلدا فيتحول إلى المسيحية ويؤمن بالمسيح كتجسيد وتحقيق للمذهب اليهودى ويعبر دافيد عن سخطه على أخته اليهودية

المتعجرفة التى تعيش فى غى وضلال دون أن تعرف حلاوة التحول للدين المسيحي.

أنـي فيلوز جونستون Annie Fellows Johnston

على الرغم من جو السماحة الدينية الذى ساد غالبية المجتمع الأمريكى فى القرن التاسع عشر فقد استبد الحماس بكثير من الأمريكيين لهداية اليهود إلى الدين المسيحي، ففى عام ١٨٩٦ ألفت أنى فيلور جونستون رواية بعنوان «التحالف مع إسرائيل» دعت فيها إلى تحويل اليهود إلى المسيحية. وهى رواية أبعد ما تكون عن الأدب الجاد ولكنها تفيض بالمشاعر الودية والحانية نحو اليهود. «تروى لنا هذه الرواية أن أحد الزعماء المحليين فى أمريكا واسمه فرانك ماريون يعترف بأن التحيز والتعصب كانا يحميانه فى بدايات حياته لدرجة أنه اعتقد أن شخصية اليهودى فاجين زعيم العصابة الذى صوره ديكنز فى رواية «أوليفرتويست» والمرابى اليهودى شيلوك الذى صوره شكسبير فى «تاجر البندقية» يمثلان أصدق تمثيل شعب بنى إسرائيل بأسره. وأيضًا اعترف ماريون بأن الكثيرين من أعضاء الكنيسة يحملون دون مبرر المقت لليهود ومن ثم يرى أن اليهود معذورون فى عدم الاعتراف بالمسيح بسبب سوء خلق المسيحيين. ثم يضيف قائلاً إنه إذا كان المسيحيون غيورين حقًا على هداية اليهود إلى المسيحية فعليهم أولاً أن يتخلصوا من تعصبهم الأعمى ويسعوا إلى فهمهم. فضلاً عن أن المبشرين المسيحيين يخطئون حين يظنون أنهم معصومون من العيب الذى يأخذونه على اليهود وهو شدة اهتمامهم بالشكل وقلة اهتمامهم بالجوهر. ويوافق ماريون على رأى صديق له يعتقد أنه لم يكن فى الإمكان أن يبقى نسل إسرائيل على قيد الحياة حتى الآن رغم ما تعرض له من أهوال لولا أن الله يحميهم ويظلل بجناحيه عليهم. ويذهب ماريون إلى أنه يتعين على اليهودى حتى يكمل دينه أن يؤمن بالمسيح. وينحى باللائمة على الكنيسة المسيحية لأنها ترسل المبشرين إلى أقاصى الدنيا مثل الصين وأفريقيا فى حين أن الافضل هداية اليهود القريبين منها.

عواقب التحول إلى الدين اليهودي في مذكرات س. جين بيكن

S. Jane Picken

تروى لنا المذكرات التى كتبتها س. جين بيكن عام ١٨٦٠ بعنوان «هنرى لوريا أو المهتدى اليهودى الصغير» قصة دينية وقعت بالفعل فى أمريكا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد أهدت الكاتبة مذكراتها إلى مؤلف دينى شعبى معروف اسمه جوزيف هولت إنجراهام. وكتبت المؤلفة مذكراتها فى منطقة هولى سبرينجز فى المسيسيبى حيث كانت تعيش مع ابنتها المتزوجة وحيث كان إنجراهام يعمل كاهنًا فى إحدى الكنائس. تقول المذكرات إن جين بيكين وقعت عام ١٨٠٦ فى غرام يهودى ابن أحد الأحبار يدعى أ.هـ كوهين الذى أتسم بمستوى ثقافى رفيع وشدة التهذيب. وقبلت بيكن تغيير دينها ونبذت المسيحية من أجل زواجها من اليهودى فانفض عنها أصدقاؤها المسيحيون وقاطعها أهلها. وأنجبت هذه المسيحية طفلاً من اليهودى ولكن الطفل توفى عام ١٨١٤ ففسر أصدقاؤها المسيحيون موته الباكر بأنه علامة على غضب الله لأنها أنكرت دينها وتحولت إلى اليهودية. حتى بيكن نفسها شاركت أصدقاءها هذا الاعتقاد. ويزداد الأمر تفاقمًا عندما يصبح زوجها حبراً للمدينة خلفًا لأبيه. وتعض جين بيكن بنان الندم وتشعر بوخز الضمير بسبب نبذها للدين المسيحى وتصاب بلوثة عقلية تحت وطأة إحساسها بالذنب وتعترف لزوجها بما تكابده من تمزق. وأخيراً ترتد هذه المرأة عن اليهودية وتعود مرة أخرى إلى حظيرة الدين المسيحى فيرتاح بالها وتنعم بالسكينة والسلام. وتشعر المرأة بنشوة روحية عجيبة من جراء عودتها إلى المسيح لم تشعر بها فى حياتها قط.

وتخبر زوجها اليهودى بارتدادها إلى المسيحية فيشق ثيابه ويستشيط غضبًا ويلومها على تجديفها ويهدد بالانفصال عنها إذا هى أعلنت ردتها أمام الملأ. ويتفق الزوجان على استمرار حياتهما بشرط أن تخفى ردتها إلى المسيحية وأن تعيش فى الظاهر كيهودية. ويكبر ابنها هنرى لوريا ويبلغ الرابعة من عمره فيؤمن على نحو غامض بالمسيحية دون أن يكون قد تلقى أى تعليم فيها أو توجيه إليها.

ويداهم المرض هذا الطفل فيبتهل إلى المسيح والملائكة ويطلب من كل

المحيطين أن يتعمدوا. وأخيراً يموت الطفل وهو قرير العين راضى النفس وراضيًا بانتقاله إلى السماء. عندئذ تشعر أمه أنه ينبغى عليها أن تعلن إيمانها بالمسيح أمام الجميع. ويغضب زوجها ويقرر أن يهجرها رغم حبه الشديد لها. وتحذرنا المرأة من مغبة زواج المسيحيات باليهود والمسيحيين باليهوديات وتضرب المثل على ذلك بما كابدته فى حياتها من ألم وعذاب. ورغم هذا فهى تقر وتعترف أنها لم تجد من اليهود غير المودة والشفقة.

القس وليم وير William Ware

ظهرت الراوية التاريخية التى تبشرباعتناق الدين المسيحى فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر الذى ظهر فيه أيضًا كتاب من تأليف القس وليم وير عام ١٨٢١ . وظل وير يمارس عمله ككاهن فى مدينة نيويورك حتى عام ١٨٣٦ ولكنه اقتنع فيما بعد أن العمل ككاهن لا يناسبه وأنه أحرى به أن يكون كاتبًا. فألف عام ١٨٣٧ راوية بعنوان «زنوبيا» لقيت نجاحًا باهراً. ثم ألف بعدئذ راويتين أقل ذيوعًا وانتشاراً هما «بروبوس» (١٨٣٨) و«جوليان» (١٨٤١). وتدور أحداث الراوية الأخيرة وهى جوليان فى أيام المسيح. ويميل الدارسون إلى اعتبار روايتيه الأوليين «زنوبيا» و«بروبوس» عملاً واحداً أو رواية واحدة. وهاتان الروايتان على هيئة مجموعة من الرسائل يبعث بها إلى روما مواطن رومانى اسمه بيزو. وتعالج هذه الرسائل شخصية يهودى رومانى إسمه إيزاك يثير الإعجاب ويستحق الثناء رغم إيمانه الذى لا يتزعزع بالدين اليهودي. غير أن الرواية لا ترسم صورة للدين اليهودى محببة للنفس. ولكنها فى الوقت نفسه تدين الاضطهاد الواقع على اليهود. ويقابل إيزاك بيزو على ظهر سفينة فينجح فى تهويده وأيضًا يلتقى إيزاك بمبشر عنيد شديد المراس اسمه بروبوس يمقت اليهود ويدعوهم إلى اعتناق المسيحية. وينبرى بيزو للدفاع عن اليهود قائلاً لن يستسلموا للاضطهاد الواقع عليهم إلى الأبد ويبشر بأن مجد صهيون آت لا محالة. حينئذ سوف ترتعد فرائص الأباطرة أمام ضحاياهم اليهود. ورغم ما يحمله بروبوس لإيزاك من موجدة وعداء فإنه يعترف بأن روحه تفيض بمحبة البشر الأمر الذى يدفعه إلى استثناء إيزاك من هجومه على بنى إسرائيل.

ونعرف من خلال الرواية أن بيزو سافر إلى الشرق كى ينقذ أخًا له اسمه كالبيرنيوس من الفرس ويريد أن يستعين بإيزاك فى تحقيق ذلك. وفى بادئ الأمر يعتذر إيزاك عن الاستجابة له بسبب فقره وكهولته ولأنه يهودى مستضعف لا حول له ولا قوة شاكيًا من أن الفرس عبدة أوثان يعتبرون أن اليهودى لا يعدو أن يكون كلبًا حقيراً. ثم يضيف أنه يجدر بكالبرنيوس وهو غير يهودى أن يلجأ بنفسه دون وساطة إلى الفرس وهم من الأمم. وشرح له بيزو أنه أقدر من غيره على مساعدته بسبب ما يتمتع به من أمانة ومهارة وماله من صلات ومعارف، وفى معرض حديثه يؤكد إيزاك كراهيته للرومان الذين استذلوا أورشليم وشعب إسرائيل وبعد أن يتم إنقاذ كالبرنيوس على يد إيزاك يشعر بيزو بالامتنان نحو اليهودى لأنه أنقذ أخاه ويمتدح قلبه الطيب. وفى امتنانه يقول بيزو لإيزاك «أرجو من كل قلبى أن يتحقق جميع أمنياتك الخاصة بأورشليم» ويشجع إيزاك هذا الشعور بالامتنان على أن يجأر بالشكوى من زراية الناس باليهود».

ويظهر بيزو فى الرواية الثانية التى تحمل عنوان «بروبوس» وقد عاد إلى روما وتحول بفضل بروبوس إلى المسيحية. ويستمر إيزاك فى النيل من المسيحية. وتؤكد الرواية الثانية تفوق الدين المسيحى على الدين اليهودي. ويدل تمثالا موسى والمسيح الموجودان فى منزل بيزو على الفرق بين مفهوم المؤلف للمسيحية ومفهومه لليهودية. فالنبى موسى يمثل السلطة والصرامة في حين أن المسيح يمثل الرقة والحب. ويتضح لنا هذا الفرق أيضًا من موقف إيزاك الكاره للمسيحيين رغم كل ما يبدونه نحوه من تسامح. ويفقد إيزاك الأمل فى إعادة بيزو وزوجته إلى حظيرة اليهودية. ومع ذلك فإنه لا يتردد فى تحذير بيزو من الخطة التى رسمها الإمبراطور الرومانى أورليان لاضطهاد اليهود. ولكن إيزاك لا يخفى تشفى اليهود من المسيحيين وفرحتهم بقيام الرومان بالنيل بهم. فضلاً عن أنه يقول عن المسيح: «هذا النبى المزيف القادم من الجليل خدع الناس بمعسول الكلمات وشوه إحساس الأنبياء وبذر بذور الفرقة والشقاق فى شعبنا..

ورغم تحذير إيزاك لبيزو من الاضطهاد الرومانى الوشيك للمسيحيين فإن بيزو وزوجته جوليا يرفضان الهرب. ويعجب إيزاك بشجاعتهما فى مواجهة الخطر

ويتذكر شجاعة اليهود المماثلة فى مواجهة الأخطار. وبالإضافة إلى ذلك هناك تناقض بين رغبة إيزاك فى التشفى والانتقام من المسيحيين والرومان وبين عجزه عن كراهيتهم كبشر. فلا غرو إذا رأينا إحدى شخصيات الراوية تصفه بقولها: «إن روما على اتساعها لا يوجد فيها رجل واحد يفوق إيزاك اليهودى فى قلبه الكبير» وهو يثير الإعجاب رغم تعصبه للدين اليهودي. وعندما تشتد حملة الإمبراطور أورليان لاضطهاد اليهود يبادر إيزاك بعرض مساعدته على بيزو وزوجته ويقترح عليهما الاختباء فى منزله ولكنهما يرفضان ولا ينقذهما من الموت غير وفاة الإمبراطور الباكرة وإصدار مرسوم للعفو عنهما.

ويتجلى لنا من أحداث الرواية أن مؤلفها وليم وير يدين اليهودية كدين لأنها ترفض الاعتراف بالمسيح. غير أن هذا المؤلف رغم إدانته للتعصب اليهودى يرفض إدانة اليهود كأشخاص.

وتقع أحداث رواية «جوليا» (١٨٤١)- وهى الجزء الثالث من ثلاثية وير فى زمن المسيح. والرواية تتخذ شكل رسائل يبعث بها يهودى رومانى شاب مسافر لزيارة عمه فى فلسطين إلى أمه التى تعيش فى روما. والرواية تعكس ما سبق للمؤلف أن ذهب إليه فى راويتيه السابقتين من أن الدين اليهودى دين يقوم على التشفى والانتقام. وملامح جوليان اليهودى تكاد تطابق ملامح أى رومانى فالرومان لا يلاحظون وجود أى اختلاف بينهم وبينه. ولكن شيئًا فى عينيه يشى بيهوديته وبأنه ليس رومانيًا تمامًا. وتحدثنا الرواية بأن لجوليان عمًا فى فلسطين. غير أن هذا العم اليهودى لا يحمل لليهود أى تقدير أو إعجاب فهو يعتبرهم شعبًا جاهلاً متعصبًا. وتنتهى الرواية بأن يقترب كل من جوليان وعمه أونياس من الإيمان بالمسيحية.

جوزيف هولت إنجراهام Joseph Holt Ingraham

بدأ إنجراهام حياته بكتابة روايات الإثارة والرعب ثم ألف ثلاثية مستمدة من الكتاب المقدس خطيت بشهرة واسعة وقد كتب إنجراهام هذه الثلاثية الذائعة بعد تعيينه فى عام ١٨٥٢ قسيسًا بروتستنتيًا من أتباع الطائفة الاسكوبالية فى

المسيسيبي. ومن الثابت أن روايته «أمير بيت داود» (١٨٥٥) سجلت أرقام توزيع قياسية قاربت خمسة ملايين نسخة وظهرت فى ثلاثة وعشرين طبعة. وظل القراء يقبلون على مطالعتها حتى عام ١٩٠٠ أى بعد نشرها بحوالى نصف قرن. ولم تذع أية رواية أخرى قدر ذيوعها باستثناء رواية «بن هور» اللاحقة عليها بعدة قرون. وبعد نجاح هذه الرواية نشر إنجراهام عام ١٨٥٩ رواية أخرى بعنوان «عماد من نار» ظهرت فى تسع طبعات ثم «عرش داود» (١٨٦٠) التى ظهرت فى اثنتى عشرة طبعة. وجميع هذه الروايات الثلاث الآنفة الذكر تدور حول شخصية محورية مستقاة من الكتاب المقدس فرواية «عماد من النار» تدور حول النبى موسى ورواية «عرش داود» تدور حول النبى داود ورواية «أمير بيت داود» تدور حول يسوع المسيح.

وقد بلغ ذيوع روايات إنجراهام مبلغًا من الذيوع والانتشار جعله يدر عليه عشرة آلاف دولار وهو مبلغ طائل فى ذلك الوقت فضلاً عن حقوق النشر الخاصة بكل رواية. والمؤلف لا يخفى أن هدفه من وراء تأليف هذه الروايات كان هدفا دينيًا أولاً وأخيراً. فهو يريد إقناع اليهود بقدسية المسيح إلى جانب تقوية المشاعر الدينية لدى المسيحيين. ويهدى المؤلف رواية «أمير بيت داود» إلى «بنات إسرائيل أهل بلد السيدة مريم العذراء والدة المسيح» وأيضًا يهديها إلى الأمم الوثنية حتى تقتنع بأن القادم من الناصرة هو السيد المسيح. والمؤلف يسطر إهداء مشابهًا صدر به رواية «عماد من نار» يطلب فيه إلى شعب إسرائيل المشتت فى كل أرجاء الأرض أن يشاهدوا نور الصليب ويتبعوه. وهو يهدى روايته الثالثة «عرش داود» إلى اليهود الأمريكيين مبينًا لهم أن يسوع المسيح هو النسل المنحدر مباشرة من بيت داود. وتقع رواية «عماد من نار» فى ستمائة صفحة من الرسائل المكتوبة التى تظهر نوعًا من العطف العام على اليهود كما أنها تصور زعامة موسى لليهود وناموسه على نحو طيب وبطولي.

ولكن المؤلف يدافع بجلاء أكبر عن الدين المسيحى فى روايته «عرش داود» ورواية «عرش داود» المكتوبة على هيئة رسائل تقرظ اليهود حيث نرى أرباس الآشورى يكتب إلى ملك أشوريا قائلاً إنه شديد الاندهاش من الشجاعة والجسارة فى

التعبير التى يتسم بها العبرانيون فهم «شعب لا يعرف الخوف.. وتشع وجوههم بالعبقرية والذكاء وإنى أحبهم حبًا عظيمًا» فضلاً عن رهبته العظيمة من إله اليهود «الذى يتحلى بالخير والصبر العجيب والحب الكامل». وفى الروايات الثلاث نجد أن المؤلف يقدم لنا صورة مراقب أجنبى يشاهد الأحداث المهمة أو يسمع عنها من شهود العيان الأمر الذى يعطى القارئ انطباعا بالحيدة والموضوعية. وتروى لنا رواية «عرش داود» قصة وقوع أرباس فى غرام الأميرة اليهودية أدورا وتحوله بفضلها إلى اليهودية كخطوة تمهيدية نحو الإيمان بالمسيح. ويرسم المؤلف صورة رومانسية مثالية وحالمة للعبرانيين وزعمائهم وكذلك صورة جليلة ليهوا إلههم.

لكننا نلاحظ تحولاً حاداً فى موقف المؤلف من اليهود فى روايته «أمير بيت داود» وهى أكثر أجزاء الثلاثية شيوعًا وانتشاراً. ففيها يذهب إنجراهام إلى أن اليهودية القديمة فقدت قدرتها على الإلهام فقد شابها التمسك بالحرف مما استلزم استبدالها بالمسيحية اللاحقة عليها.

ويجمع أسلوبها الروائى بين السرد وإرسال الرسائل. فالشابة اليهودية أدنيا أثناء إقامتها فى أورشليم فى السنوات الأربع الأخيرة من حياة المسيح ترسل رسائل إلى أبيها اليهودى السكندرى الثرى ميناسا بنيامين. وفى فترة إقامتها فى أورشليم تعيش أدنيا مع عائلة تعتنق المسيحية. وتتوافر الفتاة أدنيا على دراسة المسيحية فتقتنع بها فى نهاية الأمر. وتتعرض الفتاة لاعتداء حثالة الجنود الرومان عليها ولكن أميليوس قائد المائة يتدخل لإنقاذها منهم. ثم يقع قائد المائة فى غرامها ويتزوجها وترسل الفتاة إلى أبيها السكندرى رسائل تروى له الأحداث التى وقعت للمسيح. ورغم اهتدائها إلى التعاليم المسيحية فإنها ترفض اعتبار هذه التعاليم دينًا جديداً بل تجسيداً للدين اليهودى وتحقيقًا له. وتشعر أدنيا بالنشوة وهى تسمع يسوع المسيح يعلم الجموع وتقابل بعض تلاميذه الأثنى عشر. وفى بادئ الأمر تصف الرواية يهوذا الأسخريوطى بأنه طويل القامة وسيم الملامح. ولكن عندما يهم هذا الخائن بتسليم المسيح تختلف أوصافه فيصبح قصير القامة قبيح الملامح يوحى منظره بالذلة والمسكنة والوضاعة والنفاق. أى أنه يصبح صورة طبق الأصل من اليهودى الخسيس

كما درجت القرون الوسطى على تصويره. وتعتقد أدنيا أنها تكمل دينها اليهودى بإيمانها بأن المسيح هو حقًا ابن الله. ويتعرض إيمانهما بالمسيح لهزة عند صلبه على الخشبة. ولكن سرعان ما يعود إليها إيمانها به عندما تشاهد قيامته من الأموات.

وتقسم رواية «أمير بيت داود» سكان أورشليم من اليهود إلى صنفين : صنف الأخيار الذين يقبلون بشارة المسيح وقسم الأشرار الذين يرفضون هذه البشارة وتستفيض الرواية فى شرح الضغوط الرهيبة التى يمارسها اليهود الأشرار على بيلاطس البنطى وإكراهه على تسليم المسيح إلى جلاديه.

والرأى عند أدنيا أن اليهودى المسيحى أفضل من اليهودى فقط وبعد مرور عدة عقود ظهرت رواية «بن هور» الدينية التى تتناول الفترة الأولى من ظهور المسيحية والتى اكتسحت ما سبقها من روايات دينية وفى نفس الوقت صدرت روايات كثيرة أخرى تعالج موضوعات الكتاب المقدس مثل الرواية التى نشرت عام ١٨٥٤ بعنوان «الحياة فى أريحا أو لمحات من أول عصور المسيحية» وتتضمن هذه الرواية عناصر مستقاة من بعض الكتب الرائجة آنذاك والتى تصور الرحلة إلى الأراضى المقدسة وتنتقل أحداث الرواية من روما إلى فلسطين لترسم صورة للصراع الذى احتدم فى المجتمع اليهودى لعدة أجيال بين قبول السيد المسيح ورفضه وهو صراع انتهى فى الأدب الروائى عادة باهتداء اليهود إلى الدين المسيحي. وأيضًا تصور رواية «الحياة فى أريحا» التعارض بين اليهودية كدين تعتنقه الطبقات الراقية فى المجتمع العبرى والدين المسيحى كدين يؤمن به الفقراء والمحتاجون. وتذهب إحدى شخصيات الرواية وهى يهودى ورع اسمه ناثان إلى أن الدين المسيحى لا ينسخ الدين اليهودي. ومؤلفة الرواية الآنفة الذكر ترى أنه من الطبيعى أن يؤمن اليهود الذين تنبأوا بمجيء السيد المسيح بأن المسيحية ليست سوى استكمال للدين العبرى وأن المؤمن باليهودية الذى لا يرى هذا إنما هو مكابر عنيد. وتقول الرواية أن الحرب التى شنها الرومان لتدمير اليهود فى فلسطين هى عقاب أنزله الله باليهود بسبب مسئوليتهم عن سفك دم المسيح.

ماريا ت . ريتشاردز Maria T.Richard

تقدم ماريا ريتشاردز فى الرواية التى ألفتها عام ١٨٥٢ بعنوان «الحياة فى إسرائيل» سلسلة من الاسكتشات التى تصور اليهود القدامى وهم يهومون على وجوههم فى الصحراء فى أيام سليمان الحكيم. ولا تخفى هذه المؤلفة عزمها على أن ترسم للشباب على وجه الخصوص صورة للتطورات المتلاحقة فى العهد القديم التى أدت إلى مجئ المخلص يسوع المسيح. تقول المؤلفة إن تاريخ اليهود يحتل جانبًا كبيراً من الكتاب المقدس الذى يكرس معظم صفحاته لتصوير قدسية بنى إسرائيل الذين اعتبرهم الله شعبه المختار. فضلاً عن أن الله شاء أن ينحدر المسيح من نسل اليهود.

ألفريد دوق Alfred Duke

يجدر بالذكر أن الرواية الدينية فى أمريكا سقطت فى وهدة الميلودراما والسنتيمنتالية أى الإفراط فى العواطف الرخيصة دون ضابط أو رابط. ويتمثل هذا الأمر فى الرواية التى ألفها ألفرد دوق بعنوان «حظ إستر اليهودية» التى نشرت مسلسلة فى مجلة تتمتع بنفوذ واسع هى «الرسول الأدبى الجنوبي» فى الفترة بين يونية ونوفمبر ١٨٤٧ . وتعمل الفتاة إستر خادمة فى قصر ثرى مسيحى اسمه فاشتي. وعندما تعترف إستر بيهوديتها يستشيط فاشتى غضبًا وينهال عليها سبًا ولعنًا قائلاً إنه أصبح الآن يفهم سر وقاحة خادمته ومقتها لسائر الشعوب والأمم. وتجيبه إستر إجابة تعبر عن وجهة نظر المؤلف فهى تؤكد لسيدها أن الشر الذى ترتكبه يتعارض تمامًا مع أوامر الله ونواهيه. فهو رب الخير والرحمة وليس له شريك. وهو رب الفرس بقدر ما هو رب اليهود. ويعيب الباحثون على هذه الرواية أنها تدعو إلى السآمة والملل.

وأيضًا ألف جوزيف هـ . جرين الأصغر رواية مملة لا تقرأ بعنوان «رواية ثالياب» (١٨٦٩) التى تدور حول الحروب التى خاضها أولاد الملك داود فى الفترة الأخيرة من عمره.

إليزابيث هاريت سيدونز مي Elizabeth Harriet Siddons Mair

ألفت هذه الروائية عام ١٨٥٩ رواية تثير قدراً من الاهتمام بعنوان «مريم أو مصير الملكة» وتصور الرواية الصراع بين اليهود الأوفياء لدينهم وهؤلاء الذين يقلدون الرومان ويسيرون على دربهم فى زمن الملك هيرود الذى أرغم مريم على الزواج منه رغم أنها كانت تحب زيراه. وشخصية مريم اليهودية لا تشوبها شائبة تقريبًا وتكاد تكون كاملة إذا طبقنا عليها المعايير اليهودية قبل أن تظهر المسيحية لتبشر بالدين الحق النابع من القلب والذى يعلم أن طاعة الله أفضل من تقديم الأضحيات إليه وأن الورع والتقوى أهم عند الله من الذبائح. ورغم ذلك فإن استمساك مريم الجميلة بالمبادئ الأخلاقية يتفق مع سمو أصولها العرقية.

ليو والاس Lew Wallace يؤلف "بن هور"

تمثل رواية «بن هور» (١٨٨٠) فى انتشارها وذيوعها وإقبال القراء عليها الرواية الدينية. وهى رواية تدور فى الأساس حول تحول أهم شخصياتها (بن هور وأمه وأخته والتاجر سيمونيدس وابنته إستر) إلى الدين المسيحى فضلاً عن أن الرواية تبين أن اليهودية تمهد للإيمان بالمسيحية وأن اليهود فى مجملهم مسئولون مسئولية جماعية عن صلب المسيح. وليس أدل على نجاح رواية «بن هور» من أن المطابع أصدرت طبعة من مليون نسخة فى عام ١٩١٣ أى بعد خمس وثلاثين سنة من صدورها لأول مرة.

كان موقف والاس فى روايته «بن هور» عطوفًا على اليهود باستثناء لومهم على مسئوليتهم الجماعية عن قتل المسيح. وأراد المؤلف أن يخفف من فداحة هذه المسئولية فقال إن الجموع التى احتشدت لمشاهدة موكب الصلب الحزين ضمت إليها آلافًا من أقوام وأجناس مختلفة كارهة لليهود مثل الإغريق والرومان والعرب والسوريان والأفارقة والمصريين والشرقيين الأمر الذى يعنى أن العالم كله كان ممثلاً وحاضراً أثناء عملية الصلب.

ويقدم المؤلف مفهومه عن اليهودية من خلال أحداث روايته فهو يقول إن الرومان فى أيام يسوع المسيح تعلموا أنه بإمكانهم أن يحكموا اليهود رغم اعتزاز

اليهود بأنفسهم فهم يظهرون الاحترام اللائق بدينهم. ويشير والاس ضمنيًا إلى التناقض بين اليهودى الذى لا يعتريه أى تغير (طبقًا لقول المجند الرومانى اليهودي: «كل الناس والأشياء بما فى ذلك السماء والأرض تتغير ولكن اليهودى لا يتغير») وبين ما أحدثته الديانة المسيحية فى الديانة اليهودية من تغير). ويتميز اليهودى باحترامه العميق للناموس الموسوى فهو على أتم استعداد لأن يموت حتى لا يقترف جريمة القتل التى يحرمها الناموس. ورغم تعاطف والاس مع الدين اليهودى فإنه يعتبره أقل سمواً وفى مرتبة أدنى من الدين المسيحى لأن الدين اليهودى يحث على الانتقام والعين بالعين والسن بالسن. ويؤمن بن هور بمجئ المسيح الذى تنبأ به أشعيا وميكا وأرميا ودانيال وزكريا فى العهد القديم. فضلاً عن إيمانه بأن المسيح سوف ينتصر على كل ممالك الأرض. وفى بادئ الأمر لا يقتنع بن هور بالمسيح ولكن مشاهدة صلبه تدفعه إلى الايمان به وبأنه ابن الله. ويقتنع بن هور وأسرته بالمسيحية. ويعطى كل ثروته إلى كنيسة أنطاكية.

يقول المؤلف إن الجديد الذى أتت به المسيحية وأثار حنق أحبار اليهود هو تبشيرها بالمساواة الكاملة بين اليهود والأمم أى بين اليهود وغير اليهود. هذه المساواة راقت فى عين بن هور كما راقت له مبادئ المصرى العجوز بالتازار الذى دعا إلى الإيمان بإله يساوى بين جميع البشر بغض النظر عن أجناسهم. فالله يحبهم جميعًا كأبنائه. ثم إن المسيحية دين يستغنى عن الكهان والأحبار ولا وساطة فيه بين الخالق والمخلوق. ويتجلى تفوق المسيحية على اليهودية فى قصة المرأة اليهودية التى أصيبت بالبرص فخشى بنو جلدتها على أنفسهم من الاقتراب منها. وكانت المرأة تتعطش إلى جرعة ماء فأعرض عنها اليهود. ولكن رجلاً لم يبال بالعدوى أقترب منها وقدم إليها جرعة ماء فسألته: «هل أنت يهودي؟» فأجابها بقوله: «أنا يهودى وأكثر من يهودي. أنا تلميذ المسيح الذى يعلم كل يوم عن طريق الكلمة والفعل ما عملته لك الآن».

وعندما تصف الرواية ملامح المسيح تصور اختلافها عن الملامح اليهودية المألوفة لدرجة أن الأمر اختلط على البعض فلم يعرف إذا كان يونانيًا أو يهوديًا. وترمز الرواية بهذا إلى عالمية شخصية المسيح فهو لا ينتمى إلى أمة دون أمة بل

ينتمى إلى جميع الأمم. ورواية بن هور لا تحط من شأن اليهود فشخصياتهم نبيلة وتثير الإعجاب وهم الركيزة التى سوف يعتمد عليها الدين المسيحى فى ذيوعه وانتشاره. ولكنه يرى أن اليهود الذين يرفضون الإيمان بالمسيحية يتخلفون وينتمون إلى إطار روحى أقل سمواً. ويرمى بعض الدارسين هذه التفرقة بأنها نوع من معاداة السامية المقنعة التى تتخفى وراء الدين. وهو أمر أكثر وضوحًا فى رواية أخرى بعنوان «أمير الهند» نشرت بعد «بن هور» بثلاثة عشر عامًا والذى لا شك فيه أن رواية «بن هور» شجعت الروائيين الأمريكيين على نشر سيل من الروايات الدينية فى عقد الثمانينيات والتسعينيات فى القرن التاسع عشر من بينها الرواية التى ألفها جيمس فريمان خلال عام ١٨٨١ بعنوان «أسطورة توماس ديديموس» يقول كلارك إنه يهدف من وراء روايته الدينية «أن يصور من جديد آراء ومعتقدات وتحيزات شعب إسرائيل وطوائفه». والجدير بالذكر أن كلارك ألف كتابًا فى الأديان المقارنة بعنوان «عشرة أيام عظيمة بين عامى ١٨٧١ و١٨٨٣ » والراوى لأحداث رواية كلارك شخص اسمه توماس ديديموس يعتنق المسيحية بعد أن شاهد قيامة المسيح وفى بادئ الأمر يتعرف ديديموس فى مدينة أورشليم بجماعة الفريسيين ولكنه لا يقتنع بأفكارهم ثم يشد رحاله إلى الإسكندرية حيث يتأثر بتعاليم الفيلسوف فيلو الذى يتعلم منه نوعًا من اليهودية يفوق فى روحانيته يهودية الفريسيين. وبعد عودته إلى أورشليم يقابل المسيح فيتشكك فى البداية فى صحة مبادئه ولكنه ما يلبث أن يعتنقها بعد نبذه الدين اليهودى وذلك بعد مشاهدته لقيامة المسيح فى الأموات.

وتحتوى رواية كلارك على أشخاص يمثلون الشخصية اليهودية أكثر مما يمثلها توماس ديديموس. هؤلاء الأشخاص الذين يمثلون الشخصية اليهودية بدرجة أكبر هم ميربام والفريسيون بزعامة الحبر بن جاملاه. وشخصية مريم تتنازعها عواطف متضاربة منها الخير ومنها الشرير. وهى امرأة معتزة بنفسها كانت فى أول الأمر الزوجة الأثيرة إلى قلب الملك هيرودس قبل أن تفلح مؤامرات الفريسيين ضدها من صرف محبة هيرودس عنها إلى غريمتها هيروديا وتقابل مريم السيد المسيح فتتحول إلى المسيحية ويغفر لها المسيح خطاياها السابقة.

ويذهب كلارك فى روايته إلى أن الممثل الحقيقى للدين المسيحى هم الفريسيون الذين يكرهون احتلال الرومان لبلادهم ويتطلعون إلى نشر الدين اليهودى فى كل مكان. ويمثل بن جاملاه زعيم الفريسيين الشخصية اليهودية على حقيقتها فهو رغم حكمته لا يتورع عن عمل أى شيء من أجل الحصول على القوة والبأس. وهو يضع نصب عينيه شيئًا واحداً هو تدمير الرومان وإلحاق الهزيمة بهم. وهو على استعداد لتحقيق ذلك أن يلجأ إلى الكذب والغش والخداع. ولا يكتفى كلارك بهذا فهو يحملهم مسئولية سفك دم المسيح. ولا يجد بن جاملاه أية غضاضة فى فضح المسيح واتهامه النصب والاحتيال ساعيًا ما وسعه السعى للقضاء على نفوذه، ويقتنع هيرودس الملك بأنه يمثل خطراً داهمًا . ويمثل سعى زعيم الفريسيين إلى السلطة واشتهائه لها الجانب الشرير فى الشخصية اليهودية الراغبة فى الأمر والنهى والتحكم والسيطرة وهنا تبين الرواية التناقض بين الحقد اليهودى والحب المسيحي.

وليم دينيس ماهان William Dennes Mahan

وبعد مضى أعوام قلائل نشر الكاهن وليم ماهان فى ولاية ميسورى مذكرات وثائقية نسبها إلى قيافا رئيس الكهنة وهيرودس فضلاً عن أنه أورد فى سرده الوثائقى التقرير الذى زعم أن بيلاطس البنطى رفعه إلى رؤسائه فى روما عن ظروف صلب المسيح. وبهذا أراد وليم ماهان أن يبرهن على حقيقة وجود المسيح من الناحية التاريخية. ومن الواضح أن هذه الوثائق لا تمت إلى فترة المسيح بصلة بل ترجع إلى القرن التاسع عشر. فإحدى الوثائق تستخدم لغة حديثة فتحدثنا عن استقالة قيافا من وظيفته بسبب ندمه على الدور الذى لعبه فى صلب المسيح ويطلق الكاهن ماهان على هذه الوثائق المنشورة عام ١٨٨٧ «مجلد أركو» والملاحظ أن رواية هذا القسيس المسيحى لأحداث الوثائق تدل على أنه لا يحمل لليهود الذين قتلوا المسيح وصلبوه أية موجدة أو رغبة فى الانتقام، فالرأى عنده أن اليهود فى جميع الأحوال تعاملوا مع المسيح بشرف وأنهم كانوا بالفعل مقتنعين بأن المسيح ويوحنا المعمدان يعملان على تقويض أمتهم وأنهما كانا يمثلان خطراً حقيقيًا وداهما على دين بنى إسرائيل وكيانهم السياسي. ولهذا نجد أن ماهان ينحى باللائمة على البروتستانت فى الزمن الحديث لأنهم يعتقدون أن خدمة الله تقتضى الهجوم الضارى على اليهود. وباختصار

يمكن القول إن ماهان رغم إقراره بخطأ اليهود فى إنكار المسيح التمس لهم شيئًا من العذر.

ف. ماريون كروفورد F. Marion Crowford

يتسم إنتاج ماريون كروفورد الروائى بالمسحة الرومانسية الغالبة والقدر الأدنى من المشاعر الدينية المتحمسة. ألف كروفورد رواية «زورستر» فى عام ١٨٨٥ . وزورستر شاب فارسى تلقى التعليم والتدريب على يدى النبى دانيال الذى يجمع بين الحكمة والحنان. وهذا الشاب يقع فى غرام فتاة يهودية من أصل نبيل اسمها «فهوشتا» وأثناء حياة النبى دانيال يمتنع العاشقان عن الزواج حتى لا يتحرج صدره من زواج يهودية بغير يهودي. وتحيك امرأة الملك داريوس الشريرة التى تحب زورستر من طرف واحد المؤامرات ضد حبيبها حتى تنجح فى انفصاله عن حبيبته. ويهيم العاشق المكلوم على وجهه لبضعة أعوام فى الفيافى والصحارى يخرج بعدها زعيمًا روحيًا يستأثر بالأفئدة وتسعى حبيبته السابقة إلى العودة إليه والتصالح معه. ولكنه يصدها عنه لانشغاله برسالته الروحية الجديدة. ولكنه لا يلبث أن يضعف أمام حبه القديم فيعود إلى حبيبته «فهوشتا» فى النهاية. ولكن المتمردين يهاجمون العاشقين ويقومون بذبحهما والرواية غير واضحة فى عدائها لليهود فقد انصرف جل اهتمام مؤلفها إلى ذكر النبى دانيال وجمال المرأة اليهودية.

القس أ. ستيورات وولش A. Stewart Walsh

تدور أحداث روايات وولش حول طهارة المرأة وتتربع العذراء مريم فوق قمة الطهارة. ألف وولش عام ١٨٨٦ رواية بعنون «قصة حياة مريم: ملكة بيت داود وأم المسيح» وتوحى الرواية بأنها تقع فى القرن الأول الميلادى فى أثناء حياة العذراء مريم غير أن الجانب الأعظم منها يعالج أحد الصليبيين الإنجليز وأسرته فى القرن الثالث عشر. وتغرى طهارة العذراء مريم الكثيرين بعبادتها وتقديسها، الأمر الذى يستهجنه المؤلف ويعتبره انتقاصا من قداسة المسيح نفسه. ويطل الرواية أحد فرسان العذراء مريم اسمه السير تشارلروى دى جريفين وقع فى أسر المسلمين الذين حبسوه مع يهودى إسمه أتشابور. ويتمكن الفارس من إقناع اليهودى باعتناق الدين

المسيحى باعتبار أن المسيحية هى الاستكمال الطبيعى للرسالة الموسوية. ويقابل تشارلروى فتاة يهودية اسمها ريزياه فيعرض على والدها السماح له بالزواج من ابنته. ولكن الأب يرفض بشدة أن تتزوج ابنته اليهودية من رجل مسيحى فتهرب الفتاة مع عشيقها ويقوم أحد المبشرين بعقد زواجها. وأخيراً يموت والد الفتاة فترث ثروته. ويعيش الزوجان فى رفاهية وبحبوحة. غير أن الهواجس وعذاب الضمير يؤرق المرأة فتندم على أنها خانت أمتها وعشيرتها من أجل حبها. فيدب النزاع بينها وبين زوجها وتنفصل عنه بعد أن أنجبت طفلة تدعى مريم. ورغم أن الأم قامت بتنشئتها وفقًا للتعاليم اليهودية فإنها تعرفت بمبشر مسيحى متقدم فى العمر استطاع أن يجتذبها إلى حظيرة المسيحية التى أثرت فى الفتاة فأصبحت تبشر بها وجعلت من مريم العذراء وطهارتها المثل الأعلى الذى تحتذيه. وأخيراً ترحل مريم إلى إنجلترا للبحث عن أبيها الإنجليزى فتكتشف أنه نزيل أحد المستشفيات العقلية. ويشفى الرجل من لوثته عندما يلتقى بابنته الغائبة. ويقرر الرجل وابنته التصالح مع الأم ولم شمل العائلة. وتنتهى الرواية بموت الفتاة التى أدركت عند وفاتها أن المرأة الطاهرة تستطيع عن طريق تضحياتها أن تطهر شعبها كله.

ويجدر بنا فى هذا الصدد أن نذكر أن القارئ الأمريكى كان شديد التعطش إلى الروايات الدينية فعلى سبيل المثال أعلنت إحدى المكتبات اليهودية أن الرواية التى ألفتها فلورانس م. كنجسلى عام ١٨٩٤ بعنوان «تيتوس» بيع منها نحو مليون نسخة فى سنوات قلائل. ورغم أن سيل الروايات الدينية المنشورة فى القرن التاسع عشر تناول فى مجمله فترة حياة المسيح فإن ما لا يقل عن ربع هذه الروايات تمحور حول العهد القديم وشعب بنى إسرائيل مثل رواية «جافان بن سير» التى ألفها والتر كنيدى عام ١٨٩٨ والتى تدور أحداثها حول الفترة التالية لوفاة الملك سليمان. ولكن معظم هذه الروايات تتناول اليهود فى العهد القديم وتشير إلى تنبؤاتهم بمجيء المسيح ودعوته إلى دين يشمل الإنسانية جمعاء ولا يخاطب فقط شعب الله المختار مثلما يفعل الدين اليهودي.

وألفت امرأة أمريكية تدعى إليزابيث ستيوارت فيلبس بالاشتراك مع ف. وارد نحو عام ١٨٩٠ رواية بعنوان «سيد السحرة» تدور حول دانيال الذى استطاع

بثاقب نظره وخياله أن يتجاوز العالم المنظور ويحلق فى عوالم غير منظورة. وتحتوى رواية «ابنة إسرائيل» (١٨٩٩) التى ألفتها روز بورتر شخصية حالمة تعاين الرؤى شبيهة بشخصية دانيل فى الرواية الآنفة الذكر.

وأيضًا ألف القس جيمس ميكر لودلو عام ١٨٩١ رواية بعنوان «ملك تير» تنبأ فيها بمجئ المسيح وازدهار المسيحية وانتقد شعب إسرائيل لتمركز تفكيره حول نفسه. وتروى لنا أحداث هذه القصة عن شيخ يهودى اسمه بن يوسف تزوج من امرأة غير يهودية متجاهلاً اعتراض البعض على ذلك. ولكنه ظل متمسكًا بيهوديته ومخلصا لها. وحتى يتحاشى المضايقات والإحراج يترك بلده أورشليم ويذهب إلى الجليل ولكن اختلافه مع شيوخ أورشليم وكهنتها لا يقلل من وطنيته أو من إيمانه العميق بما ينتظر شعب إسرائيل من عظمة ومجد. ويتحدث يوسف فى نشوة بادية بأنه سيأتى يوم يظهر فيه ملك جديد أعظم من الملك سليمان وأنه سيكون هدية الله إلى شعبه وأنه سوف يوسع رقعة إسرائيل لتمتد من نهر الفرات حتى المحيط. والله فى نظر يوسف رب لجميع العباد وهو إله رحيم لا يطلب من البشر مكابدة العذاب والتضحية من أجل التكفير عن خطاياهم فاللطف الإلهى قمين بغفران الخطايا. فكل ما يريده الله من الإنسان هو الحب.

ويعبر الحبر ميناساه عن مشاعر مماثلة فهو يعترض على تعصب اليهود ويعتقد أن الله ليس إله اليهود وحدهم. فمن شأن هذه الأفكار المحدودة والضيقة الأفق أن تسيء إلى خالق الكون. ويحتج ميناساه على طرد غير اليهود من أورشليم. يقول ميناساه: «أريد أن أرى الدين اليهودى يتحرر ويتسع نطاقه وأن يغمره شعور لا يفارقه قط بأنه فى حضرة كائن عظيم سوف يصبح ملكًا على إسرائيل» والرأى عند لودلو مؤلف الرواية أن نوعًا فى الديالكتيك المسيحى خرج من أحشاء الصراع والتناقضات الناشئة داخل الدين اليهودي.

وألف القس جورج أنسون جاكسون عام ١٨٩٣ رواية بعنوان «ابن النبي» تتضمن تفسيراً أوضح للعهد القديم فى إطار مسيحي. فسفر أيوب الوارد فى العهد القديم سفر ذو طابع إنسانى وعالمى لا يقتصر على شعب دون آخر. ثم إن الملك

سليمان أرسل شاماع إلى الخارج ليكون سفيره التجارى فى شتى أنحاء المعمورة مما يدل على عالمية مفاهيمه الدينية وانفتاحه على العالم بأسره. فضلاً عن أن شاماع يتحدث قائلاً: إن إله يعقوب ليس حكراً على اليهود فجميع البشر أبناؤه. وهى حقيقة عجز اليهود عن استيعابها حتى مجئ السيد المسيح بعد عدة قرون. يقول المؤلف إنه كان لزامًا على الحياة الروحية أن تتطور عبر الزمن وأن يكون هناك مستودع للتنزيل ومعين لا ينضب من القوة الروحية يفيض على العالم بأسره عن طريق السيد المسيح. وكانت إسرائيل بمثابة هذا المستودع أو المعين الذى لا ينضب تقول الرواية التى ألفها القس جاكسون أن شاماع مات شهيداً دون أن يحقق فكرته المنادية بأن الله للجميع ثم جاء من بعده ابنه إليزار ليقترب بهذه الفكرة من المسيحية. ولكنه يمر بمحنٍ وتجارب أليمة مثل تلك التى كابدها أيوب الذى شاء الله أن يمتحن إيمانه. وعلى الرغم من أن أعداء ابن شاماع قتلوا جميع أفراد عائلته فإن ثقته بالله لم تتزعزع. ويعلق بعض الدراسين بالقول إنه بالرغم من روحانية المؤلف العظيمة فإنه يظهر نوعًا من العداء نحو اليهود المعاصرين له فهو يصفهم بأن بالهم لا يشغله غير السيطرة على البورصة وبيوت المال فى أوروبا.

وأيضًا ظهرت رواية «هاداساة» التى ألفتها السيدة ت.ف. بلاك عام ١٨٩٥ متضمنة بعض الأكليشيهات المعادية لليهود. فهامان يحاول رشوة تاجر يهودى اسمه ميلالاى كى يحرض زوجته التى تعمل وصيفة الملكة إستر أن تدس لها السم. ولكن ميلالاى رفض الاستجابة لهامان الذى استشاط غضبًا متعجبًا كيف يرفض هذا الكلب اليهودى الرشوة المقدمة إليه؟! فاليهود فى رأيه أوساخ يتكالبون بطريقة مثيرة للاشمئزاز على جمع المال. وتشير المؤلفة السيدة بلاك إلى عمليات الإبادة الجماعية التى تعرض إليها اليهود فى روسيا القيصرية فى الأزمنة الحديثة مستنكرة ما يحدث لهم من فظائع.. وتخبرنا المؤلفة فى نهاية قصتها أن اليهود استطاعوا الانتصار على جيش أبناء هامان وانهم امتنعوا عن الإتيان بأعمال السلب والنهب حتى يظهروا أنهم يقاتلون من أجل قضية عادلة وليس طمعًا فى المال كما يدعى أعداؤهم.

وتتضمن رواية «شم» التى نشرها ج. ديكتريدج أليس عام ١٩٠٠ نقداً لمفهوم اليهود الضيق عن الذات الإلهية واقتناعهم بأن الله قاصر عليهم وحكر لهم. ويتجلى لنا هذا فى كراهيتهم الشديدة ومعارضتهم المريرة ضد زواج اليهود من غير اليهود. ويقع شم فى غرام فتاة يهودية اسمها أداة كان قد خف لإنقاذها عدة مرات. ورغم حب الفتاة له فإنها تصده اعتقاداً منها بأن هذا الزواج سوف يلحق به الضرر وتطلب إليه أن يتزوج بفتاة من عشيرته. وتنتهى الرواية نهاية سعيدة بزواج الحبيبين عندما يتضح فيما بعد أن شم ينحدر من أصل يهودي.

وتصور أنا ماى ويلسون اليهود على نحو نمطى تقليدى مألوف فى الرواية التى نشرتها عام ١٨٩٧ بعنوان «أيام محمد» وتدور الرواية حول بائع متجول يهودى اسمه إبراهيم تصفه الرواية بالخسة والجبن. وهو لا يكترث بالدين على عكس يهود مكة الذين نجد بينهم أخياراً مثل عائلة ناثان، غير أن هذه العائلة غير يهودية تمامًا فهى بالإضافة إلى يهوديتها تدين بالمسيحية. يقول المؤلف: «ولكن هناك قلة بين كثرة من اليهود الجبناء ممن يعشيون فى الحى اليهودى بمكة تؤمن بالله الذى يسمونه يسوع. ولكنهم مجرد قلة فأغلبيتهم لا يعتبرون يسوع مقدسًا. وهم ليسوا أفضل من الآخرين فى شيء. وكل سكان مكة لا يعتبرون يسوع مقدسًا. وهم ليسوا أفضل من الآخرين فى شيء. وكل سكان مكة الحقيقيون يعتبرونهم مجموعة من الكلاب النجسة المستعدة للإدلاء بالشهادة الزور وللاشتغال بالربا.

وتدور الرواية حول كاهن فارسى يخيب أمله فى دينه فينبذه ويتحول إلى المسيحية على أيدى عائلة ناثان. ويتسم معظم اليهود فى الرواية بالسوء والشر. ولكن البعض منهم يتميز بالخير والاستعداد لقبول المسيحية والدخول فى حظيرتها. والرأى عند المؤلف أن المسلمين أكثر سوءاً من اليهود فى حين أنه يعلى من شأن اليهود الذين اعتنقوا المسيحية وذهبوا إلى فلسطين للتبشير بها.

لقد شاهد عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر ازدهاراً فى إنتاج الروايات الدينية التى شاعت بين الأمريكيين. وليس أدل على هذا الذيوع والأنتشار من أن الكاتب إدجار سالتوس ألف عام ١٨٩١ رواية بعنوان «مريم المجدلية» أهداها

إلى الروائى الأمريكى ـ الإنجليزى الكبير هنرى جيمس. وينحى إدجار سانتوس باللائمة على اليهود ويحملهم مسئولية صلب المسيح. ولكن معالجته لشخصية يهوذا الأسخريوطى تختلف عن معالجة الآخرين لها فنحن نطالع فى الرواية أن العاهرة الجميلة مريم المجدلية تابت على يد المسيح وأن يهوذا الأسخريوطى وقع فى غرامها ولكنها صدته وأعرضت عنه. وهددها بأنه سوف يشى بالمسيح للسلطات إذا هى امتنعت عن الاستجابة إليه. وأسقط فى يد مريم فقررت على مضض أن ترضخ له حتى تتمكن من إنقاذ المسيح. ولكن هيهات فقد فات الأوان وقام الخائن فعلاً بتسليم يسوع. غير أنه ندم على فعلته فشنق نفسه.

وفى عام ١٨٩٠ ألف إلبريدج س. بروكس رواية «ابن إيزاتشار» التى تدور حول جمّال نكرة اسمه شيلبيل بار أشا ينحدر من نسل يعقوب وتظهر فى الرواية شخصية يهوذا بار سيمون المتعصبة التى تؤمن بمجئ مسيح دنيوى يلحق الهزيمة بالرومان. ويوحى بارسيمون إلى شيلبيل بالأمل فى استعادة إسرائيل وتحريرها من نير الرومان ويسمع هيرودسن بذلك فيصدر أوامره لقتل شيلبيل الذى يصنع المسيح معجزة معه ويقيمه من الأموات. ويتعهد تشيلبيل بمساعدة المسيح بالتآمر للإطاحة بالرومان ويتطلع إلى أن يصبح ملكًا سياسيًا لإسرائيل. وبعد أن يتعثر إيمان تشيلبيل بالمسيح ينتهى الأمر باعتناق هذا الرجل للدين المسيحي. وتمر الأيام فيصبح تشيلبيل اسطفانوس أول شهيد عرفته المسيحية قتله السفارديم بأورشليم رجمًا بالحجارة.

وتحتوى رواية «تقدم إلى الأمام» (١٨٩١) التى ألفتها إليزابيث ستيوارت فيلبس بالاشتراك مع هربرت ف. وارد على عرض لحياة اليهود من الناحية الدينية. وبوجه عام تعامل الرواية اليهود معاملة رقيقة وحانية باستثناء تصوير شخصية الصدوقى أناس والفريسى مالاخى بغلظ القلب وانعدام الرحمة. وتحكى الرواية قصة حب ليعازر لزهرة. ويتحول ليعازر اليهودى إلى الدين المسيحي. وتقول الرواية إن الفريسيين يشوبهم الكثير من العيوب ولكنهم فى الوقت نفسه يتميزون بسمات ممتازة يتغافل عن الإشارة إليها كل من يتناولهم. وبفضل المعجزات التى يصنعها المسيح مثل إعادة البصر إلى العمى وتمكين المشلولين من المشى وإقامة زهرة من الأموات، يتحول ليعاذر إلى الدين المسيحي.

غير أن موقف إليزابيث ستيوارت فيلبس المتعاطف فى مجمله مع اليهود سرعان ما يختفى ليحل محله موقف معاد لهم. وتتجلى لنا هذه العداوة فى روايتها التالية «قصة يسوع المسيح» (١٨٩٧) تقول المؤلفة فى هجومها على اليهود إن الرحمة لا تعرف طريقها إلى قلوبهم فضلاً عن أن نبيهم موسى كان غليظ القلب. ورغم أن بيلاطس البنطى أشفق على المسيح وأراد تبرأته وغسل يديه من دمه فقد اضطره اليهود الغلاظ القلوب إلى تسليمه لجلاديه. وترى المؤلفة أن هذا طبيعى للغاية فى دين لا يهتم سوى بالشكليات. وبسبب أنانيتهم عجز اليهود عن فهم رسالة المسيح القائمة على المحبة ويتجلى لنا التناقض الصارخ بين المسيحية واليهودية فى الرواية التى ألفها إدوارد بيسون برى بعنوان «ليه فى أورشليم» (١٨٩٠) التى تتناول حياة القديس بولس الرسول. وليه يهودية استطاع الشهيد ستيفن أن يهديها إلى المسيحية بعد أن صنع معها معجزة وأعاد إليها البصر. ثم تقع ليه تحت تأثير بولس الرسول الذى كان اسمه فيما مضى شاوول قبل إيمانه بالمسيح. ومن الواضح من رواية بيرى أن اليهودى الخير هو الذى يهتدى إلى المسيح واليهودى الشرير هو الذى يستمسك بيهوديته.

وفى العادة تتم هداية اليهود إلى المسيحية فى الرواية الدينية الأمريكية عن طريق الاتصال المباشر بالمسيح والتأثر بمعجزاته ولكن هذا لا يمنع من ظهور عدد من الروايات التى يتم فيها الاهتداء إلى المسيحية على نحو غير مباشر عن طريق الشهادة وتواتر الروايات والرسائل مثلما نجد فى الرواية التى ألفها إينوك فيتش «ألف الكلداني». وكالعادة نرى أن معظم شخصيات هذه الرواية الإيجابية كانوا من اليهود المهتدين إلى المسيحية وذلك خلافًا لليهود الذين أنكروا أن يسوع هو المسيح لأنه جاء إلى هذا العالم بسيطًا فى مظهره ومعاشراً للخطاة والعشارين وأبعد من أن يكون رجل حرب فمملكته ليست من هذا العالم. غير أن المؤمنين به يرون فيه ملكًا روحيًا جاء لخلاص العالم من ذنوبه وآثامه ولم يأت من أجل المجد والعظمة بل من أجل الاتضاع وأنه مات على الخشبة ليطهرنا من آثامنا.

وتصور الرواية صورتين مختلفتين لمعبدين يهوديين فى مدينة الإسكندرية: الأول برأسه يهودى يثير الإعجاب على الرغم من عدم إيمانه بالمسيحية والمعبد الآخر

يرأسه يهودى شرير ولئيم اسمه ملوسى الشرير.

وتؤكد الرباعية الروائية التى ألفتها فلورنس م كنجسلى عداوة المسيحية نحو اليهود بسبب سفكهم دم المسيح. وتتكون هذه الرباعية المعادية لليهود من أربعة مجلدات عناوينها كالتالي: «تيتوس» (١٨٩٤) و«اسطفانوس» (١٨٩٦) و«بولس» (١٨٩٧) و«الصليب الموعود» (١٨٩٨). وهذه الرباعية مستمدة من وصف بولس لليهود بأنهم قتلة المسيح والأنبياء وأعداء الله والبشرية.

* * * * *

لقد أوضحنا فيما سبق أن الأدب الأمريكى اتسم فى مجمله منذ البداية بالسماحة نحو اليهود وأن الأدباء الأمريكيين المعادين للسامية لا يعدون أن يكونوا فئة محدودة. ولعل ظهور هذه المشاعر المعادية للسامية فى رباعية فلورنس كنجسلى يشير إلى ظهور منعطف جديد يدل على زيادة المشاعر المناهضة لليهود. ولا تتورع المؤلفة عن وصف اليهود بأنهم كلاب مسعورة جاءت من أورشليم. ثم إن اليهود فى رأيها يهتمون بشكليات الدين وحرفية الناموس دون أن يأبهوا بجوهره. وهم ينغلقون على ذواتهم ومكتفون بأنفسهم ويعرضون عن الاتصال بغيرهم من الأمم. ويذهب المجلد الرابع من الرباعية الروائية ـ وهو بعنوان «انتصار الصليب» إلى أن تدمير الرومان للمعبد اليهودى عقاب يستحقونه على سفكهم لدم المسيح.

وتحكى رواية «أسا فى بيت لحم» (١٨٩٥) التى ألفتها مارى إليزابيت جينجز التناقض بين فضائل المسيحيين وشرور اليهود. ويرفض أسا فى بادئ الأمر الإيمان بالمسيح لأن خياله يصور له المسيح وقد توجته مظاهر العظمة والأبهة فى حين أن المسيح الذى جاء يتصف بالاتضاع ويبشر فى المجامع والأسواق. وتفسر الرواية خيانة يهوذا للمسيح بأنها ترجع إلى أنه كان يتوقع أن يحصل عن طريق المسيح وبفضله على الثروة والجاه عندما يصير ملكًا على إسرائيل. فإذا بأمله يخيب لأن مملكة المسيح لم تكن من هذا العالم. نفس الشيء يتردد فى الرواية التى ألفتها لويز سيمور هوتون بعنوان «أنتيباس: ابن شوزاء» (١٨٩٥) التى تخلو من كراهية اليهود. وأنتيباس غلام فى الثانية عشرة من عمره لا يعترف بيسوع مسيحًا لأنه

منكسر ومتضع ووديع لا يقود جيشًا أو يتبعه عسكر. ويصيب الغلام مرض عضال فيتدخل المسيح لشفائه ويحدثه بلغة بسيطة يسهل فهمها. لقد كان هذا الغلام فيما مضى يعتقد أن الله يحب الأخيار فجاء المسيح ليقول «ما جئت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة. والرواية رغم دفاعها عن المسيح لا تحض على كراهية اليهود.

وألف وليم أوزبورن ستودارد نحو سبعين كتابًا للشباب. ويؤكد لنا هذا الكاتب فى كثير من كتاباته أن المسيحية تخاطب البشرية جمعاء فى حين أن اليهودية تخاطب نخبة مختارة. وتدور الرواية التى كتبها بعنوان «ابن السياف» (١٨٩٥) حول صانع سيوف اسمه إزرا وولده سيريل البالغ من العمر ستة عشر عامًا، وسيريل من أب يهودى وأم يونانية ويبلغ أحد أحبار اليهود واسمه إيزاك بن ناسور - الغلام بأن الملك الموعود سوف يأتى ليدمر جيوش الرومان ويلحق بهم الهزيمة العسكرية. ويشاهد الغلام معجزات المسيح فيؤمن به ولكنه يظل يعتقد أن المسيح لا بد أن يكون قائداً للجيوش ويؤمن والده إزرا بنفس الشيء فيقوم بتدريب جماعة من اليهود على الأعمال القتالية ليضعها تحت تصرف المسيح عندما يحين الوقت المناسب ولكن السياف إزرا وابنه سيريل يقتنعان فى نهاية المطاف أن مملكة المسيح ليست من هذا العالم كما كانا يظنان خطأ.

وتدل الرواية التى ألفها أوزبورن عام ١٨٩٩ بعنوان «أورليك القائد» على اهتمام أكثر من جانب المؤلف بموضوع شمول المسيحية على الجنس البشرى بأسره. وتدور أحداث هذه الرواية حول قائد من قبائل الفايكنج الآتية من شمال أوروبا شد رحاله إلى أورشليم كى يدرس أحوال اليهود ويعرف إلههم. وفى الطريق إلى أورشليم تصطدم السفينة التى تقل أورليك بمركب رومانى على ظهره بحار يهودى اسمه بن إزرا تنتشله سفينة أورليك من الغرق فتتوطد الصداقة الوثيقة بين الرجلين ويصل القائد ورفيقه اليهودى إلى أريحا فى فلسطين فيحكى اليهودى بن إزرا للقائد أن زوجته وابنته فضلتا الانتحار على الوقوع سبايا فى أيدى أعدائهم الوثنيين. فيتمنى أورليك القائد أن يتخذ لنفسه زوجة بمثل هذه العفة والاعتزاز بالنفس. ولكن بن إزرا يحذره أن مثل هذه الزوجة اليهودية لن تقبل الزواج من غير يهودي. ويقع القائد

أورليك فى غرام الفتاة اليهودية الحسناء مريم ولكنها تعرض عنه لأنه غير يهودي. غير أن العاشقين يتزوجان فى وقت لاحق بعد تحولهما إلى الدين المسيحي.

وعلى الجبل يقابل أورليك وصديقه اليهودى بن إزرا السيد المسيح فيبشر المسيح أورليك قائلاً إنه يرحب بدخول قبائل الشمال إلى حظيرته. ويضع أورليك سيفه فى خدمة المسيح. ويحدث أن تنكسر ساقه فيقوم المسيح بشفائه فيزيد ذلك من حبه للمسيح ومن ولائه له. وعندما يشاهد أورليك صليب المسيح يتوطد إيمانه به ممهداً بذلك الطريق إلى انتشار المسيحية.

وأنحت كاثرين بيرسون وود فى قصتين لها باللائمة على اليهود ورفضهم المسيح وإنكار الوهيته. هاتان القصتان هما «يوحنا: حكاية المسيح الملك» (١٨٩٦) وابن النجار» (١٨٩٧) ونحن نطالع فى بداية رواية «يوحنا» ثناء على خصال اليهود وسجاياهم وثناء على الجهود التى بذلها أحبار اليهود من أجل تثقيف شعبهم والعناية بصحته ورفاهيته. ويصطدم اليهود بالمسيح وينشأ صراع بينهم وبين الحركة المسيحية. عندئذ تتغير وجهة نظر المؤلفة المادحة فى اليهود لتصير قادحة فيهم ومعبرة عن شرورهم باستثناء اليهود الذين اعتنقوا المسيحية.

وفى رواية «ابن النجار» نرى تركيزاً على شخصية يهوذا الذى تصوره الرواية بأنه تاجر يقع فى غرام النجار الفتاة غير اليهودية. وعندما يتقدم يهوذا بطلب يد هذه الفتاة يعتريها الفزع والرعب منه بسبب خيانته للمسيح. وأيضًا تصور المؤلفة شخصية مالخوس خادم الكاهن الأعظم على نحو سيء وشرير. وتصف وجهه بأنه وجه صراف. ويشكو مالخوس من أن المسيح قلب موائد الصيارفة وسماهم بأصدقاء السوء فى حين أنهم فى رأيه أشراف يكسبون رزقهم بطريقة مشروعة وبعرق جبينهم.

وفى بداية الأمر يرفض يهوذا الرشوة التى يقدمها إليه مالخوس لخيانة المسيح. ويغتاظ يهوذا من المسيح عندما يكتشف أنه لا يستطيع تقليده فى صنع المعجزات ويعزو هذا إلى رغبة المسيح فى احتكار المعجزات. وتأكل الغيرة قلب يهوذا فيوافق على السوء الذى يحرضه مالخوس على ارتكابه. ويندم يهوذا على خيانته ليسوع فيشنق نفسه على فرع شجرة. ولكن الأحداث تأخذ منعطفًا فكهًا ومضحكًا

حين ينكسر فرع الشجرة لأنه لا يتحمل ثقل وزنه فيسقط على الأرض بين الحياة والموت. ومرة أخرى تؤكد المؤلفة أن الشخصيات الروائية الصالحة هى التى تهتدى إلى المسيحية وأن الشخصيات الطالحة هى التى تتمسك بدينها اليهودي. ولكن هذا لا يمنع المؤلفة من الاعتراف بأن المسيحية خرجت من معطف الدين اليهودى لدرجة أن يعقوب المسيحى يشك فى إمكانية هداية اليهود إلى الدين الحق فى المستقبل. وتتهم المؤلفة غير المسيحيين بالنصب والاحتيال مثل شخصية زيلتاه اليهودى التى لا يشغل بالها غير جمع المال. وأيضًا يتسم بالجشع إسكندر اليهودى القادم من أفسوس. وتذكر الرواية أن الكراهية العامة التى يلقاها اليهود فى بلاد الشتات فى جميع أنحاء العالم ترجع إلى جشعهم وحبهم لجمع المال. ولكن فى عام ١٨٩٦ ظهرت روايتان دينيتان لا تدينان اليهود عن بكرة أبيهم ولا تحملهم المسئولية عن قتل المسيح وإحدى هاتين الرواتين ـ وهى من تأليف كارولين أتوتر ماسون - بعنوان «الملك الهادئ» والرواية لا تحض على كراهية اليهود وتبين التناقض بين شخصية المسيح الكاملة وشخصية أوريبل أمير إسرائيل الغليظة القلب والمتهتكة. ويمرض أوريبل اليهودى فيقوم بعمل معجزة معه ويشفيه من مرضه فيتحول هذا اليهودى إلى المسيحية ويبشر بها فى روما. والرأى عند المؤلفة أن الشعب اليهودى سواء أكان من الكهنة أم الصدوقيين أم الفريسيين أم الهيرودسيين وسواء أكانوا من أتباع روما الأذلاء أم من العاملين على تحرير إسرائيل من قبضة الرومان يشتركون جميعا فى رفض المسيح وانكاره. فضلاً على أنها لا تبرأ ساحة بيلاطس البنطى من مسئولية سفك دم المسيح كما أنها تنحى باللائمة على أحبار اليهود الكبار.

وهناك أيضًا رواية أخرى بعنوان «مصارع فيليبي» (١٨٩٦) من تأليف فانى إى نيوبرى تؤكد أن المسيحية هى دين البشرية بأسرها دون أن تعبر عن أية كراهية ضد اليهود. تقول إحدى شخصيات الرواية: «لا يوجد أى فرق بين اليهودى واليونانى والرومانى فى عين الله فكلهم سواسية وكلهم أبناؤه. وتقع أحداث الرواية فى عهد الإمبراطور الطاغية نيرون الذى ألهب بولس وأتباعه المسيحيين بسياط الاضطهاد. والرواية تمتنع عن إظهار أية غلظة أو قسوة نحو فتاة يهودية تدعى ليديا رغم أنها فريسية متشددة. وتذهب ليديا إلى أن المسيح لا يمكن أن يكون غير ملك

عظيم على بنى إسرائيل وأنه سوف يسترجع أورشليم ويعيدها إليهم ويعيد مرة أخرى إلى الأمة اليهودية قوتها وسؤددها ويأسها. وفى الرواية ينسب اليهود إلى المسيحيين أنهم يشربون دم ضحاياهم ويأكلون أجسادهم للذكرى وهو الاتهام الذى درجت الكنيسة الكاثوليكية فى القرون الوسطى على توجيهه لليهود. والملاحظ أن هذه الرواية توجه الانتقادات إلى اليهود دون أن تحض على كراهيتهم.

وأيضًا كتب ج. بريكنريدج إليس عام ١٩٠٠ رواية بعنوان «خشية الملوك والخوف منهم» تؤكد أن المسيحية هى ديانة جميع البشر. ففى النهاية يتحول اليهود واليونانيون والرومان فى فلسطين إلى الدين المسيحي. والمسيحيون على عكس اليهود لا يؤمنون بأن الله يخصهم وحدهم فهو إله الجميع. واليهود فى الرواية لا يضمرون المقت والموجدة لغير اليهود. بل إن هناك شخصيات يهودية تتسم بالبطولة والذكاء والشجاعة وتثير الإعجاب. ولكن هذا لا يمنع المؤلفة من رسم صورة سيئة لبعض شخصيات روايتها الجشعة.

وفى عام ١٨٩٨ ألف وليم أ. هاموند رواية عن اليهود بعنوان «ابن الهلاك» وهى تدور حول يهوذا الذى وصفته الرواية بأنه سورى ينحدر من أصل أرستقراطى وإنه لم يكن يهوديًا أصلاً بل تحول إلى اليهودية بسبب عشقه لسالومي. وهو زعيم عصابة من اللصوص ينضوى تحت لواء المسيح كى تزداد هيبته بين الناس. ويشنق يهوذا نفسه ندمًا على خيانته للمسيح. ومرة أخرى ترى أن الأحبار هم أتباع المسيح فى حين أن الأشرار هم اليهود المتعصبون المتمسكون بناموس موسى. ويرسم المؤلف شخصية بيلاطس البنطى بلطف ورقة. ويندم بيلاطس البنطى على أنه قبل أن يسلم المسيح إلى قتلته ويعبر عن ألمه لأن اليهود اضطروه إلى انتهاك أبسط مبادئ العدل. غير أنه يخاطب اليهود بطريقة تنم عن معاداته للسامية فهو يقول لهم: «أنتم طغمة من الرجال ذوى الطباع السيئة. وسوف يأتى يوم تدمر فيه روما كل مدينتكم من أساسها. إنكم لا تصلحون لتكوين أمة. وسوف يصيبكم الشتات فى كل أرجاء الأرض وسوف تكونون محل احتقار وكراهية كل الناس الذين تعيشون بين ظهرانيهم بسبب ما فعلتموه بهذا الرجل يسوع المسيح... وأخيرا يجدر بنا أن نذكر إن الرواية الدينية الأمريكية كانت فى المقام الأول تهدف إلى تحويل حياة المسيح وتعاليمه إلى

حقيقة ماثلة أمام عيون الناس ويغلب الطابع الأخلاقى والدينى والتعليمى عليها سواء اتخذت شكل رواية المغامرات أو كانت مكتوبة من أجل تقويم الشباب. ومعظم الروايات الدينية التى أنتجتها أمريكا فى القرن التاسع عشر تميل بدرجات متفاوتة إلى انتقاد أو إدانة الدين اليهودى وإظهار سمو الدين المسيحى عليه. وتتكرر فى هذه الرواية معالجة الموضوعات التى تلقى الضوء على عيوب اليهود ومثالبهم. ومنها إن الدين اليهودى دين سياسى عسكرى فى حين أن الدين المسيحى روحي. ثم إن الشخصيات اليهودية التى رفضت الإيمان بالمسيح شخصيات معيبة وغير سوية. ومن بين هذه الموضوعات أيضًا أن اليهود هم قتلة السيد المسيح وأنهم يتحولون إلى المسيحية بيسر معيب وتحت تأثير المعجزات التى صنعها المسيح وليس من باب الاقتناع.

الفصل الرابع والأخير

روائيون ونقاد يهود أمريكان معاصرون

الفصل الرابع والأخير

روائيون ونقاد يهود أمريكان معاصرون

يمكن القول إن الرواية اليهودية الأمريكية هى تلك الرواية التى يكتبها اليهود الأمريكان سواء كانوا من مواليد أمريكا أو ممن تجنسوا بالجنسية الأمريكية. وبعض الروائيين اليهود تناولوا موضوعات يهودية ولكن بعضاً منهم امتنع عن التركيز على هذه الموضوعات مثل نورمان مالر.

إن تعريف الرواية اليهودية الأمريكية ليست بالأمر السهل كما يدلنا على ذلك السؤال عن ماهية الرواية اليهودية الأمريكية. هل هى الرواية التى يكتبها الكتاب الأمريكيون عن اليهود أم أنها الرواية التى يكتبها اليهود الأمريكان عن اليهود. وماذا عن الكتاب اليهود (مثل إدنا فربر وناتانييل ويست) الذين يعالجون فى رواياتهم موضوعات أو شخوصا غير يهودية ؟ هل يمكن ادراجهم فى خانة الرواية اليهودية الأمريكية ؟ وأيضا ماذا عن الكتاب المسيحيين الذين يكتبون روايات عن اليهود ويظهرون فيها نوعا من العطف عليهم ؟.

يتضح من هذه التساؤلات أن تعريف الرواية اليهودية الأمريكية ليس بالأمر السهل أو الميسور . ومما يزيد الأمور تعقيداً ان الروائى سيدنى لوكا اعتبر خطأ نموذجا للكاتب اليهودى الذى يعالج مشاكل وقضايا المجتمع اليهودى بواقعية فى عقد الثمانينات فى القرن التاسع عشر ثم اتضح للدراسين ان سيدنى لوكا كان يكتب تحت اسم مستعار وان اسمه الحقيقى هو هنرى هارلاند. وفى نهاية عقد الثمانينات سافر هارلاند من أمريكا الى انجلترا حيث اعتنق الكاثوليكية ونشر روايات معادية للسامية تحمل اسمه الحقيقي.

وحتى لا نتوه فى التعريفات المتشعبة والمتشابكة يمكننا القول إن الرواية

اليهودية الأمريكية هى تلك الرواية التى يكتبها اليهود الأمريكان سواء كانوا من مواليد أمريكا أو من المتجنسين بالجنسية الأمريكية . ولاستجلاء الأمر أكثر فأكثر نقول إنه يمكننا اعتبار نورمان مالر وشاءول بيلو وبرنارد مالامود من الروائيين اليهود الأمريكان رغم أن كثيرا من رواياتهم لاتتناول الموضوعات أو الشخصيات اليهودية. ومما يسوغ اعتبارهم كتابا يهودا أمريكيين ان النقاد ينقبون فى أعمالهم التى لا تعالج اليهود عن تيمات وموضوعات وصور وأخيلة تتصل باليهود بشكل أو بآخر.

ويختلف الروائيون اليهود الأمريكان فى تعريف الأدب اليهودى الأمريكى فالروائية سنثيا أوزيك ترى أن الأدب لابد أن يكون يهوديا فى جوهرة حتى يستحق تسميته بالأدب اليهودي. والرأى عندها أنه يتعين على هذا الأدب أن يعبر عن صوت المجتمع الأمريكى وان يردد صوت الله رب التاريخ. كما أنها ترى أن العلمانية والبعد عن العقيدة اليهودية لايصلحان لأنتاج أدب يهودي. وعلى العكس من ذلك يرى الروائى روبرت التر أنه لاتوجد أيه سمة عامة يشترك فيها جميع الكتاب اليهود. ومن ناحيته يعرف ريتشارد ج. فين الكاتب اليهودى بأنه ذلك الكاتب الذى يحس بداخله بعدم الأمان . وهو تعريف أشد ما يكون تعميما. والملاحظ أن جميع هذه التعريفات متنافرة لاتجمع بينها خصيصة مشتركة.

والجدير بالذكر أن الرواية اليهودية الأمريكية ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر حتى يومنا الراهن . ومن ناحية تتابعها الزمنى يمكن تقسيم الرواية اليهودية الأمريكية إلى أربعة مراحل متشابكة أولها تلك التى تبدأ بالفترة اللاحقة على الحرب الأهلية الأمريكية حتى منتصف عقد العشرينات فى القرن العشرين وفيها انصرف الأدب اليهودى الأمريكى الى معالجة مشكلات هجرة اليهود إلى أمريكا والاستيطان فى أراضيها . وتغطى المرحلة الثانية الفترة من ١٩٢٥ تقريبا حتى أنتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. وقد شاهدت هذه الفترة ظهور أول جيل أمريكى من اليهود المهاجرين فى شرق أوروبا . وهو جيل يتمتع منذ ولادته بحق المواطنة الأمريكية . وتغطى المرحلة الثالثة ثلاثة عقود تبدأ بنهاية الحرب الثانية عام ١٩٤٥ وتنتهى فى أوائل عقد السبعينات.

وتتميز هذه الفترة بوعيها بالهولوكست واقامة دولة اسرائيل إلى جانب اتساع رقعة الاهتمام بالشعب الاسرائيلى والتعاطف معه. وقد شاهدت هذه المرحلة زيادة اندماج اليهود فى الحياة الأمريكية فضلا عن اعتناق الكثير منهم للأفكار العلمانية. أما الفترة الرابعة والأخيرة فتبدأ من عقد السبعينات حتى يومنا الراهن.

ولاشك أن المرحلة الرابعة المعاصرة هى أكثر المراحل تعقيدا من حيث دراستها من الناحية الأدبية. ويرجع هذا إلى سرعة اندماج اليهود فى المجتمع الأمريكى والى كثرة الانقسامات بينهم نتيجة الزيادة فى زواج اليهود من غير اليهود وبعدهم عن حظيرة الدين. ولكن فى مقابل هذا الابتعاد عن الدين نلاحظ عودة نسل بعض الآباء العلمانيين إلى حظيرة الدين اليهودى الراسخ والأصيل واحياء التصوف الهاسيدى فى ربوع الولايات المتحدة وزيادة الاهتمام وخاصة بين الشباب بتعلم اللغة العبرية ولغة اليديش. وساعد على بعث اللغة العبرية انشاء دولة اسرائيل التى اتخذت فى هذه اللغة لغة قومية.

وتدلنا الاتجاهات المتعارضة بين يهود أمريكا على احتدام التوتر السائد بينهم. ويمكن القول إن كثيرا من اليهود الذين قطعوا الوشائج التى تربطهم بتاريخهم آثروا أيضا ان يقطعوا الصلة بينهم وبين جذورهم الروحية والثقافية.

وبطبيعة الحال نرى ان الهولوكست والعودة الى أرض صهيون فى اسرائيل غيرا اتجاه الرواية اليهودية الأمريكية عما كانت عليه قبل الهولوكست . وبعد الحرب العالمية الثانية ألغى كثير من القيود التى كانت أمريكا تفرضها على اليهود مثل استبعادهم من من التقدم لشغل الوظائف الشاغرة. وبزوال هذه القيود أخذ اليهود المهاجرون خاصة من شرق أوروبا يتحركون بحرية أكبر فانتقلوا إلى العيش وسط المسيحيين بعد أن كانوا يعيشون فى أحياء مستقلة. وبذلك تكون الدعوة التى كرس لها ابراهام كاهان حياته لاندماج اليهود فى المجتمع الأمريكى قد تحققت.

تشير الخريطة الأدبية فى أمريكا فى القرن العشرين إلى تزايد أعداد الكتاب اليهود الذين يمارسون الكتابة والدراسات النقدية بشكل ملحوظ . وحتى ندرك الزيادة الكبيرة والمطردة فى عدد الكتاب اليهود يكفى أن نذكر أن هناك مالا يقل

عن عشرة روائيين يهود معاصرين يعالجون الهولوكست فى أنتاجهم الأدبى وهم شاءول بيلو - ادوارد لويس والانت - ليلى ابشتين - برنارد مالامود - ريتشارد إلمان- إيزاك باشفيز سنجر - سنثينا أوزيك - آرثر ألف كوهين - تشايم بوتوك - جورج شتينر وقد عالجت هؤلاء الروائيين فى بحث منفصل تحت عنوان «الهولوكست فى الأدب الأمريكى ». وأردت من هذا الكتاب أن أبين للقارئ العربى مدى توغل النفوذ اليهودى فى وجدان المثقف الأمريكى العادي.

ناهيك عن وجود مالا يقل عن أربعين روائيا يهوديا آخر يمارسون التأليف القصصى والروائى الخلاق فيما يلى ما يشبه الحصر لأسمائهم: -

والتر أبيش (١٩٣١) ، - ماكس أبل (١٩٤١) ، - بول أوستر (١٩٤٧)- ،جوناثان بومباتش (١٩٣٣) ، ويلفين باكيت (١٩٥٣) ، إ.ل. دوكتوروف (١٩٣١)، - ستانلى إيكلين (١٩٣٠ - ١٩٩٥) - إرفن فاوست (١٩٢٤-) - بروس جاى فريدمان (١٩٣٠ -) - ستانفود فريدمان (١٩٢٨ -) - توماس فريدمان (١٩٤٧ -) دانييل فوتسش (١٩٠٩ - ١٩٩٣) - ميريل جون جيرير (١٩٣٨-) - هريرن جولد (١٩٢٤) - جلوريا جولد ويتسش (١٩٣٤) - بول جودمان (١٩١١ - ١٩٧٢) - جيرالد جرين (١٩٢٢)- جوزيف هيلر (١٩٢٣) - مارك هليرين (١٩٤٧) - كارولينيا هرون (١٩٤٧) - لورا زد هويسون (١٩٠٠ - ١٩٨٦) - جوديث كانز (١٩٥١) - جوليوس لستر (١٩٣٩) - ماير ليفين (١٩٠٥ - ١٩٨١) - فيليب لوبات (١٩٤٣) - والاس ماركفيلد (١٩٢٦) - دافن ميركين (١٩٥٤) - فاى ستولمان موسكوفتس (١٩٣٠) - جاى نوجبورين (١٩٣٠) - هيونيسنسون (١٩٣٣) - جريس بالى (١٩٥٢) - مادج بيرسى (١٩٣٦)- ليف رافائيل (١٩٥٤) - توفارايتش (١٩٤٢) - موردخاى ريتشسلر (١٩٣١) - لوسى جابرييل روزنتال (١٩٣٣) - هنرى روث (١٩٠٦ - ١٩٩٥) - بود شولبرج (١٩١٤) - ألكس كاتس شولمان (١٩٣٤) - جوسنيكلر (١٩١٣ - ١٩٩٥) - دافيد سلافت (١٩٣٥) - سوزان سونتاج (١٩٣٣) - آرت سبيجلمان (١٩٤٨) - جيرترود سشتين (١٨٧٤ - ١٩٤٦) - ستيف ستيرن (١٩٤٧)- بارى تارجان (١٩٣٢) - ميريديث تاكس (١٩٤٢) - ليونيل تريلنج

(١٩٠٥ - ١٩٧٥) - ليون يوريس (١٩٢٤) - جبروم وايدمان (١٩١٣) - هيرمان ووك (١٩١٥).

وبطبيعة الحال نرى تنوعا عظيما واختلافات واضحة فى الموضوعات التى يعالجها هؤلاء الروائيون . ففيهم من يعطف على اسرائيل ويناصرها وفيهم من يسعى إلى اقتلاع جذوره اليهودية والانصهار الكامل فى ..... الحياة الغربية . ويعتبر نورمان مالر الذى سوف نعرض له من أهم الروائيين اليهود المعاصرين الذين لا يكترثون باسرائيل.

وهناك نحو أربعة عشر ناقدا ودراسا أدبيا يهوديا لامعا فى أمريكا فى القرن العشرين . فقد خرجت جامعة هارفارد طائفة من الباحثين المرموقين أمثال هارى ليفين- دانييل آرون - م. هـ أبرامز - ليو ماركس - ساكفان بركوفتش . كما أن جامعة كولومبيا أفرزت الناقد والأديب اليهودى الكبير ليونيل تريلنج الذى سوف نتناوله فى هذا الكتاب إلى جانب سنثيا أوزيك - نورمان بودهورتيز - ستيفن ماركوس - كارولين ج هايبروم . ومن الدراسين اليهود البارزين أيضا روبرت أولتر وروث . ر ويس.

وحيث أنه لا يمكن معالجة كل هذا الحشد الهائل من الروائيين والنقاد المحدثين فى هذا الكتاب فسوف نكتفى بتناول خمسة نماذج منها هى :

نورمان مالر - ليونيل تريلنج - والتر أبيش - ماكس أبل - بول أوستر .

١ - نورمان مالر (١٩٢٣)

Norman Mailer

الغضب الانجليزى المعاصر معروف لدى القارئ العربى بسبب ذيوع صيت الكاتب المسرحى البريطانى الغاضب جون اوزربورن مؤلف مسرحية انظر الى الوراء فى غضب أما الغضب الأمريكى المعاصر فلا زال مجهولا لدى هذا القارئ ومن ثم فان الهدف من وراء هذا الفصل هو التعريف به.

يتمثل موقف الجيل الغاضب فى أمريكا المعاصرة فى الأعمال الأدبية لواحد من أبرز كتابها هو نورمان مالر الروائى الوجودى الغاضب الغريب بين أهله وفى وطنه، الماركسى التمرد على الجمود الماركسى ، الرافض لاخلاقيات مجتمعه ، المدافع عن ادمان المخدرات ، والتهالك على الجنس ، والمدافع عن الجريمة بما فى ذلك القتل أحيانا... الرجل الذى يسعى الى أن يجعل من حياته الشخصية اسطوره لا يمكن ان يصدقها العقل!

ضياع هوية الأنسان الأمريكى

يجدر بنا قبل أن نعرض لأدب نورمان مالر ان نشير الى رأى الروائى الامريكى المعاصر سول بيلو فى الرواية المعاصرة . يقول بيلو ان مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع تحتل الحيز الاعظم من تفكير الروائى الامريكى المعاصر . وفى رأيه ان شعور هذا الروائى بضياع هوية الفرد هو المفتاح الذى يمكننا به ان نفهم طبيعة انتاجه ويولى الأدب الأوروبى عامة والفرنسى خاصة مشكلة ضياع هوية الانسان المعاصر جل اهتمامه . كما يتجلى لنا من أدب سارتر وبيكيت وساروت وآلان روب جرييه. وتعكس الرواية الأمريكية المعاصرة اهتماما مماثلا بهذه المشكلة . ولكن الروائيين الأمريكان يختلفون عن اقرانهم الأوروبيين فى أنهم يضمنون أدبهم وجهة نظرهم فى الحياة بأسلوب مباشر بسيط يخلو من الرغبة فى التنظير . كما يخلو من كل التعقيدات الفكرية التى تثقل كاهل الأدب الأوروبى المعاصر . ولهذا نجد أن الرواية الأمريكية المعاصرة تستهوى القارئ الأوروبى نظرا لخلوها من أية مسبقات

نظرية وفكرية كتلك التى تسيطر على ذهن الكاتب الأوروبى قبل قيامه بممارسة الخلق الأدبي.

توتر الحياة الأمريكية

يعالج انتاج الروائيين الأمريكان المعاصرين أمثال جيمس جونز . وجميس بولدوين، وڤيليب روث، وجون أوهارا، وج.ف. بأروز وجوزيف بينيت ورايت موريس ما يعانى منه الفرد من توتر عظيم بسبب ماتمارسه عليه الحياه العامة من ضغط هائل وبسبب شعوره الملح بأنه لا يعدو أن يكون قزما عاجزا لاحول له ولا قوة أمام المصير الاجتماعى الرهيب بما يشتمل عليه من وسائل الدعاية والاعلام وسيطرة التنظيمات والمؤسسات وبيوت المال وأمام مشكلة الحرب الباردة ووحشية التمييز العنصرى . ولهذا نجد أن صوت الروائى الأمريكى المعاصر يرتفع بالأسى أو بالشكوى أو بالغضب أمام الظروف العاتية التى تجابهه . وفى بعض الأحيان لا يجد الروائى الأمريكى المعاصر سبيلا غير سبيل الفكاهة ينفس بها عن مكبوت مشاعره . ويفسر لنا هذا السر فى انتشار ظاهرتى ادمان المخدرات والتمرد العنيف فى المجتمع الامريكى المعاصر.

تحطيم اسطورة الذات

ولكن مهما بلغ استبداد المجتمع بقدرات افراده وتحكمه فى مصائرهم فإنه لا يستطيع ان يسلبهم قدرتهم على التعبير عن اليأس منه. والروائى الامريكى المعاصر يجنح عادة الى تحطيم اسطورة الذات كشئ له أهميته وقيمته كما هو الحال فى نظر الرومانسية واللاهوت المسيحى هذا الروائى الامريكى لا يكتفى برفض الذات بل إنه يعاديها بضراوة وعنف ويمقتها ويمزقها بل ويدمرهاتدميرا . وفى بعض الأحيان يتناول الروائى الامريكى المعاصر - مثلما يفعل نوباكوف فى لوليتا - فكرة الذات على أنها فكرة تبعث على الضحك والسخرية وهكذا يتجلى لنا ان ضياع الذات قد أصبح مفتاح الرواية الأمريكية المعاصرة.

رواية " العرايا والموتي "

تنطوئ شخصية نورمان مالر على متناقضات واضداد متنافرة فهو يجمع بين تأكيده الأخلاقى والفوضى الاخلاقية وبين اليأس والتشاؤم القاتمين وبين الرغبة الملحة فى الخلاص . كما أنه يتطلع الى اتخاذ موقف بطولى من الحياة فى حين ان جهازه النفسى المضطرب ينأى به عن صرامة النظام، ويتميز بالعجز عن ممارسة أى نوع من انواع السيطرة على الذات.

كتب مالر اشهر رواياته على الاطلاق « العرايا والموتى » التى وصفها النقاد بأنها أعظم رواية تعالج موضوع الحرب العالمية الثانية - وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وبصدور هذا الكتاب ذاع صيت مؤلفها كشاب نابغة موهوب يعقد عليه الأدب الأمريكى أملا كبيرا . وتروى لنا « العرايا والموتى » قصة استيلاء فرقة من الجنود الأمريكان على احدى الجزر فى المحيط الهادئ أثناء الحرب العالمية الثانية . واتبع مالر فى كتابة هذه الرواية المذهب المعروف باسم المذهب الطبيعى الذى يعنى قبل كل شئ وفوق كل شئ باستجلاء ملامح الشخصيات الروائية من الناحيتين البيئية والوراثية .

وتصور لنا « العرايا و،الموتى » الخلفيات البيئية والعائلية المختلفة التى شب فيها هؤلاء الجنود، وما يعتمل فى دخائلهم من أمال وأحلام . وبالرغم مما بين هؤلاء الجنود من تباين واضح فى ظروف نشأتهم وحياتهم ، فأنهم جميعاً وبدون استثناء يشعرون ان حياتهم ضاعت عبثا، وان هناك قدرا قويا عاتبا يحيق بهم ويتربص بهم الدوائر ، ولا يخفف من وطأته عليهم نجاحهم فى الاستيلاء على جزيرة الأعداء.

مالر يعلن عن نفسه

بالرغم من انه كان من السهل على مالر أن يواصل نجاحه بالاستمرار فى اتباع المذهب الطيعى فى رواياته، فقد أثر ان ينبذ المذهب الطبيعى فى روايتيه اللاحقتين « شاطئ البربر » و « حديقة الغزال» واهتاج مالر عندما استقبل القراء هاتين الروايتين بجفاء ظاهر وعداوة واضحة ومما يدلنا على مقدار أمانته الفنية انه

رفض اغراء الكتابة للسينما فى هوليود رغم ما يوفره له هذا من شهرة عريضة ومال وفير.

وبعد صدور « شاطئ البربر » و «حديقة الغزال» بدأ مالر يبتعد عن التأليف الروائى وانصرف الى ما يمكن تسميته بأدب المساجلات أو أدب المشاحنات وفيه يحمل مالر حملة شعواء على كل شئ لا يروق له وعلى كل انسان يختلف معه فى الرأى والفكر. وأبرز ما ألفه فى أدب المساجلات أو المشاحنات كتابه الذى نشره عام ١٩٥٩ بعنوان « اعلانات عن نفسى » وفى هذا الكتاب يقدم لنا مالر تقييما ذاتيا لأعماله الأدبية . وهذا نوع غريب من الكتابة لم تألفه الدوائر الأدبية التى تعودت أن يترك لها الفنان الخلاق مهمة الحكم على ما يصدره من أعمال فنية ويصب مالر فى اعلاناته عن نفسه جام غضبه على كل من سولت له نفسه من النقاد أن يقلل من شأن أعماله الأدبية، كما أنه يهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور كل من أساء فهمها أو أساء تفسيرها ، أو جرؤ على أن يتعرض لها بالملامة والتقريع.

ويتهم مالر فى اعلاناته عن نفسه كل أديب يتصالح مع القيم الشائعة فى مجتمعه بأنه مأجور وساقط من الناحية الأدبية ومما زاد من الحرج الذى سببه نشر هذا الكتاب أنه يتضمن تمجيدا من المؤلف لذاته قد لا يكون له في تاريخ الأدب نظير . وكانت نتيجة ذلك أن أستقبله بعض النقاد باستياء وتحفظ واستقبله البعض الآخر بسخرية واستعلاء.

إذا شئنا ان نقف علي حقيقة أدب هذا الأمريكى الغاضب فإنه لا ينبغي أن تغيب عن بالنا ثلاثة اعتبارات : أولهما أن مالر ينحدر من أصل يهودى وثانيها أنه يؤمن بالاشتراكية وثالثها أنه يبشر بانجيل الجنس المتحرر من كافة القيود الذى يشيع فى وقتنا الراهن بين عدد غير قليل من الشباب الأمريكى المعروف باسم الدعاة إلى ما بين الأفخاذ.

مالر اليهودي يعتبر نفسه نبيا

يتجلى لنا ما لأصل نورمان مالر اليهودى من أثر فى كتاباته فى النبرة التى اختارها لنفسه ليتحدث بها إلى الناس. فهو يتحدث كواحد من أنبياء العهد

القديم. وليس كما يتحدث العاديون من البشر. فضلا عن ذلك ان طموحه الأدبى المحموم يكاد ألا يعرف حدودا فهو يتوق منذ مطلع حياته الأدبية الى أن يؤلف عملا فنيا شامخا يستطيع أن يغزو به ضمير العالم ويغير معتقداته وأخلاقياته تغييراً جذرياً شاملا . وتتجلى نبرة الانبياء التى ينتهجها فى قوله فى «اعلانات عن نفسه» تتلخص الحقيقة المرة فى أنى سجين تلح عليه فكرة اشعال ثورة فى وعى الناس فى الوقت الحاضر ، وهو موقف يذكرنا برغبة د. هـ. لورنس من قبل فى اضرام نار الثورة فى شعور الفرد فى العالم الحديث .

ويتمرد نورمان مالر على عمالقة الأدب الأمريكى المحدثين مثل «همنجواي» بحجة أن همنجواى لم يعد يمثل موقف جيل الخمسينات أو يعبر عن مشاعره ، وأنه قبل وفاته انقطع لزمن طويل عن كتابة أى شيء ذى بال . ويقول مالر فى هذا الصدد أن ما كتبه همنجواى فى أواخر أيامه لا يثير اهتمام طفل فى الثامنة من عمره . فضلا عن أنه يتهمه بالحرص الشديد على الاحتفاظ بما له من مكانة شعبية ، وينحى عليه باللائمة لأنه ترك جيل الخمسينيات القلق الممزق الساخط الذى يعانى من الملل العصبى دون أن يعاونه على تغيير العالم القبيح الذى يعيش فيه .

ومما يؤكد نبرة النبوة التى ينتهجها مالر أنه يعلن ان الله فى طريقه الى الاحتضار وإن واجب الانسان يقتضى منه أن يبادر باحتلال المركز الوسيط فى الكون الذى كان الله يحتله فى يوم من الأيام . يقول مالر فى هذا الشأن : «إن الله يجتاز مرحلة الخطر المفضية إلى الاحتضار ... لم يعد الله قادرا على كل شيء .

مالر والاشتراكية

ترجع اشتراكية مالر الى تأثره فى يفاعته - رغم انتمائه إلى الطبقة المتوسطة بمبادىء كارل ماركس . شأنه فى ذلك شأن الكثير من أبناء جيله ولكن يبدو ان أثر ماركس فيه لايعدو أن يكون أثرا شخصيا وعاطفيا ، شيء أقرب ما يكون إلى ذلك الانفعال الغنائى أو العاطفى الذى يظهره الشعراء المتمردون عادة . وبالرغم من أن مالر الآن لم يعد ملتزما بكل افكار ماركس فإنه لا يزال يحمل لماركس حسن الصنيع ويدين له بالفضل والعرفان . فهو يقول عنه : - لقد تصادف أننى تعلمت من

ماركس أكثر مما تعلمت من أى انسان آخر قرأت له . «وحتى بعد أن ابتعد مالر عن الماركسية التقليدية نجده يؤمن بنوع من الاشتراكية (الرعوية) التى تستلهم صورة خيالية وشاعرية لمجتمع يجد فيه أفراده كفايتهم دون مسخ لفرديتهم وتشويه لحياتهم كما هو الحال فى المجتمع الرأسمالى ، كما أنها تستلهم رؤيا ذهنية نابعة من مجتمع متحرر من كل قيود الجنس وقيود السياسة والاقتصاد : مجتمع تتشابك خيوطه فى كل منسجم يخلو مما يعانى منه الآن من توتر واضطراب .

بالرغم من أن صدر مالر فى مطلع حياته كان يتأجج بالحماس للشيوعية فقد اعترى كثير من الفتور تحمسه السابق للماركسية بعد صدور روايته «العرايا والموتي» ويرجع السبب فى ذلك إلى خيبة أمله نتيجة الفظائع التى ارتكبها ستالين وتسجل روايته الثانية «شاطئ البربر » خيبة أمله فى الماركسية كما انها تسجل تحوله الى التروتسكية وعلى كل حال فإنه ظل يتعلق بأهداب الماركسية وان كان ولاؤه الآن قد أصبح خاليا من العاطفية الملتهبة التى صاحبت بدء حياته الأدبية . وموقف مالر من الماركسية أشبه ما يكون بموقف عاشق أحب امرأة فى يوم من الأيام ، ولايزال حبه القديم لها مقيما بين حناياه حتى بعد ان كتب عليه الزمان أن ينفصل عنها وهو لايزال يسمى نفسه ماركسيا بالرغم من اعتقاده أن تأكيد ماركس للدور الذى يلعبه الاقتصاد فى حياة المجتمع لم يعد وحده كافيا لمعالجة الأزمة التى يجتازها العالم فى الوقت الراهن ويرجع السبب فى استمرار ولاء مالر للماركسية الى أنه يعتقد ان جبهة اليمين فى العالم تزداد ضراوة وعنفا ، ولابد من الوقوف فى وجهها حتى لو كان ذلك عن طريق الاستمساك بمذهب لم يعد يرى فيه ما يكفل حل مشاكل البشرية .

مالر يواجه الفاشية الأمريكية

قلنا أن رواية «عرايا وموتي» تتضمن تحمسه للفكر الماركسى فى حين أن روايته الثانية «شاطئ البربر» تتضمن خيبة أمله فى الستالينية بوجه خاص ، وقصور الحل السياسى بوجه عام . ومن ثم فإنه يمكننا أن نعتبر «شاطئ البربر» نقطة تحول فى تطور مالر الفكرى . وتمثل «شاطئ البربر» نوعا من الاليجورى أو الرمزية

السياسية القريبة الشبه برواية آرثر كيستلر المعروفة «الظلام فى وقت الظهيرة» ، فهى تدور حول شخصية عميل فاشستى فى المخابرات الأمريكية تعهد اليه هذه المخابرات بمهمة تعقب أحد الشيوعيين الذى تمكن من النفاذ إلى وزارة الخارجية الأمريكية وسرقة شيء منها . ورغم أن الرواية تصور الحياة الأمريكية باعتبار أنها تنهض على الفاشية وعلى الشهوة والأنانية فإنها تشير إلى اخفاق الفاشية فى القضاء على أمل الانسانية فى تحقيق مستقبل أفضل .

وقد دعا احساس نورمان مالر بسيطرة الفاشية على الحياة الأمريكية الى أن ينشر فى ربيع عام ١٩٦١ خطابا إلى فيدل كاسترو يخاطب فيه الزعيم الكوبى بالأخ ، بل إنه يرفعه فى هذا الخطاب إلى مرتبة «مخلص البشرية وفاديها الجديد» (وهذا أعظم تقدير يمكن لمالر أن يضفيه على انسان) ويحيي مالر الزعيم الكوبى للدور المقدس الذى يلعبه فى تخليص طبقات العمال والفلاحين الكوبيين من براثن الفاشية الأمريكية والى جانب تأييد مالر لموقف كاسترو فى كوبا نجد أنه يهاجم السياسة الأمريكية فى فيتنيام .

دعوة مالر إلي الثورة الجنسية

عندما خاب أمل مالر فى الثورة السياسية كما تتمثل فى حكم ستالين أخذ يدعو الى ثورة من نوع جديد هى الثورة الجنسية التى تنهض على مبدأ الدعوة الى ما بين الأفخاذ والثورة الجنسية بكل بساطة الانحلال الجنسى والانطلاق من كافة القيود الجنسية التى يفرضها المجتمع على الانسان . ويتضح لنا هذا ابجلاء من روايته الثالثة «حديقة الغزال» وهى رواية تستمد عنوانها من حديقة الغزال التى كان لويس الخامس عشر يمارس فيها غرامياته . وتدور هذه الرواية حول الانحلال المطلق والاباحية الجنسية التامة التى تسود مدينة السينما هوليوود ولم يكن أمرا هينا أن يعثر على ناشر يقبل نشر هذه الرواية فقد اعرض عنها عدد كبير من الناشرين ، الأمر الذى حز فى نفسه وجعله يلتجئ إلى تعاطى المخدر المعروف باسم المارجوانا هروبا من الواقع الفظ العابس الغليظ .

وبعد لاى شديد قبل الناشر رينهارت أن ينشر «حديقة الغزال» وبالفعل تم

طبع تجارب هذه الرواية تمهيدا لصدورها . ولكن الناشر طلب منه أن يحذف منها ستة سطور . ولكنه رفض أن يغير حرفا واحدا فى الرواية لأنه لا يقبل تزييف ضميره الفنى مرضاة للناشرين مهما كانت الظروف ، الأمر الذى تسبب فى امتناع الناشر عن اصدارها . وبدأ مالر يبحث من جديد عن ناشر جديد ولكنه أخفق فى ذلك وأخيرا وافق الناشر ج . ب. بوتمان على نشرها دون اجراء أية تغيرات فيها . وعندما طبع له تجارب الرواية وجد أنها لاتروقه ، فشرع يجرى فيها تغييرات جوهرية وأعاد كتابتها من جديد ، الى الحد الذى أصبحت معه رواية جديدة !.

الذى لاشك فيه ان رفض الناشرين المتكرر لروايته قد لقنه درسا قاسيا فقد استشعر بجلاء أن الناشرين يحجمون عن نشر كتاباته باعتبارها خطرا اجتماعيا داهما ، يسئ إلى صحة الناس النفسية وسلامتهم العقلية . وأثار موقف الناشرين منه كوامن غرائزه المقاتلة ، فخرج إلى الناس أصعب مراسا وأكثر تشددا واقتناعا بأنه خارج عن القانون بالطبيعة والفطرة . وزاد ادمانه للمارجوانا وكتب للناس يعلن لهم نتائج تجربته فى تعاطى المخدرات وكيف أنها ساعدته على تفتح حواسه والحقيقة أنها أضعفت من قواه العقلية .

قلنا أن رواية «حديقة الغزال» تتضمن دعوة إلى ثورة جنسية بعد أن خاب أمل مؤلفها فى الثورات السياسية فما هذه الثورة الجنسية ؟ يرى مالر فى لحظات الجماع نوعا من النيرڤانا أى التصوف أو الاشراق الروحى . كما انه يرى فى التحرر من كافة القيود الجنسية الأمل فى خلاص الانسانية من عذاباتها وهذا مايعنيه مالر بدعوته إلى مابين الأفخاذ وفى رأيه أن دعاة الأفخاذ هم مخلصو البشرية الجدد ، وأنهم هم الذين سيحررون بثورتهم الجنسية أمريكا من قبضة (أولاد الزنا) من الحكام والمستبدين . وبالرغم من أن مالر لم يخلق بهذا جيلا من دعاة الجنس الطليق والمدافعين عن السلام العالمى ، فإنه يمكن اعتباره لسان حالهم من الناحية الفكرية . ويقدم لنا مالر فى مقاله الشهير «الزنجى الأبيض» تعريفا للداعى الى ما بين الأفخاذ فيقول انه انسان يدرك أن حياتنا مهددة باستمرار باندلاع الحرب أو سيادة الحكم الشمولى كما أنها مهددة بالضمور والذبول نتيجة لجنوح عامة الناس الى اتباع ماتعارف عليه مجتمعهم من أنماط فى الفكر والسلوك . ومن ثم فليس هناك سبيل

الى تحرر الانسان من أزمته المعاصرة الا بتمزيق كافة الوشائج بالمجتمع ، وان يتلقى اوامره من دخيلة نفسه فقط ويرى مالر فى ادمان المخدرات ولحظات النيرڤانا الجنسية وزواج البيض من السود الطرق القويم الذى ينبغى على الداعى الى مابين الأفخاذ اتباعه . وبهذا لا يقع المخلص أو النبى الجديد فى شراك مجتمعه البرجوازى أو فى شراك الشمولية التى تسود المجتمع الأمريكى ويسعى هذا النبى الجديد إلى تحقيق التوازن الكامل بين الروح والجسد خارج حظيرة المجتمع الفاسد عن طريق لحظات الجماع القدسية ويعترف مالر بأن هذا النبى مريض نفسانى . ولكنه فى نفس الوقت فيلسوف يحقق ذاته الضائعة بازدراء قيم المجتمع . ومن ثم نجد أن خلاص الانسانية لن يتم إلا عن طريق الخارجين على القانون ومدمنى المخدرات والقوادين واللصوص والقتلة فالقتل أحيانا هو السبيل لتطهير الروح من كل ما يكمن فيها من حقد وكراهية ، لأن الداعى الى ما بين الأفخاذ لا يمكنه أن يحب أو يعشق الا بعد أن تتطهر روحه من كل أدران البغضاء والكراهية . ويكتفى هذا الداعى الى الأفخاذ بارتداء سويتر غامق وبنطلونات ممزقة ويلبس صندلا فى قدميه حتى يسخر بملبسه هذا من فرية النجاح البرجوازى الذى يجد مثله الأعلى فى اصابة الثراء والتأقلم الاجتماعى . وهو الغاضب الحقيقى فى العالم المعاصر . فالشاب الانجليزى الغاضب قد ينفق من عمره عشرة أعوام فى مناصبة مجتمعه العداء ، ولكنه ينتهى الى الاستقرار والمحافظة ويخلد الى الحياة الآمنة الوادعة ، أما الغاضب الأمريكى فيختار لنفسه حياة الاغتراب من أول العمر إلى منتهاه ، وحتى اذا عن له أن يعود الى حظيرة المجتمع لما استطاع . لأنه سيجد ان سبل الاتصال بهذا المجتمع قد تمزقت تماما فإدمانه للمخدرات وزواجه من السود سوف يحولان دون عودته اليه وهو ينمى فى نفسه كل ما هو مريض وسقيم لأن ذلك من شأنه أن يساعده على كشف النقاب عن حقيقة المجتمع الذى يعيش فيه وحقيقة ما يستشرى فيه من علل . ويرى مالر أن الزنجى أقدر من الرجل الأبيض على معايشة هذه الحالة . فالزنجى فى غربته المضنية وذله المتصل وشعوره الدائم بالخطر المحيق به هو أول من يسهل عليه أن يصبح داعيا الى مابين الأفخاذ . ولا يتمثل لنا هذا فى جو المجون والانحلال وأسلوب ملوك السينما فى هوليود . فملوك السينما فى هوليود يختلفون عن الدعاة إلى ما بين

الأفخاذ فى أنهم يمارسون الجنس الطليق دون أن تكون قلوبهم عامرة بالحب الانسانى . ومن ثم فهم عبيد يرسفون فى اغلال الجنس فى حين ان الداعى الى ما بين الأفخاذ لا يعرف لحياته أى معنى بغير الحب .

الجوانب الاجتماعية فى أدب مالر

قد يخيل إلينا من كل ما تقدم أن أدب نورمان مالر أدب يناهض المجتمع ويناصبه العداء ، وانه يؤكد فقط ذات الفرد فى وجه كافة القيود التى يمارسها المجتمع . ولكن الصواب يجانبنا اذا اعتقدنا أن أدبه يخلو تماما من كل الأبعاد الاجتماعية . فمالر يرى فى المجتمع كائنا لايقل فى حقيقة وجوده عن الذات . وهو يتصدى للمجتمع ولا يهرب منه ، ويسعى إلى تغييره دون أن يكتفى بتسجيله . ولا شك ان توافر هذه العناصر فى ادبه يضفى عليه أبعاد اجتماعيا . ولا شك كذلك ان هذا الجانب الاجتماعى فى مزاجه العقلى هو الذى يجعله يرفض أدب صامويل بيكيت ومن يكتبون على غراره ويعتبره أدبا أنهزاميا يسلم بعجز الانسان أمام قسوة قدره وفظاعة مصيره .

ولكن هذا الجانب الاجتماعى من تفكير مالر ينبع من شخصية غير سوية يمكننا أن نعتبرها حالة اكلينيكية أو مرضية .

٢ - ليونيل تريلنج (١٩٠٥ - ١٩٧٥)

Lionel Trilling

ولد ليونيل تريلنج فى مدينة نيويورك فى ٤ يولية ١٩٠٥ حيث هاجر والده فى سن باكرة هى الثالثة عشر من عمره فى حين أن أمه هاجرت إلى الولايات المتحدة من لندن . ويختلف والدا تريلنج عن آباء أترابه من اليهود المهاجرن فى اتقانهما التام للغة الانجليزية على عكس كثير من أترابه اليهود الذين كانوا يتحدثون بلغة اليديشن فى منازلهم

نشأ ليونيل تريلنج فى طبقة متوسطة . ورغم أن أمه اليهودية حرصت على أن توقد الشموع فى السبوت على عادة بنى جلدتها فإن والديه كانا لا ينتميان إلى معبد معين . بل إن الوالدين كانا يمطران ابنهما ليونيل بالهدايا فى مناسبة الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح وكذلك بعض المناسبات الدينية اليهودية .

ولأن عائلة ليونيل كانت ميسورة الحال فإنها الحقته بجامعة كولومبيا حيث تخرج عام ١٩٢٥ . ولا يبدو اسم ليونيل تريلنج يهوديا بعد أن اسقط منه اسم موردخاى . وفى عام ١٩٢٩ تزوج كاتبنا من امرأة يهودية تدعى ديانا روبين كانت تفوقه فى عدم الاكتراث بجذورها اليهودية أو دينها اليهودى . وقد ألفت هذه الزوجة كتابا شائقاً بعنوان «بداية الرحلة» عبرت فيه عن سخطها على زوجها بسبب انضمامه إلى جماعة مينورا وحرصه على البحث عن هوية يهودية (راجع كتابى : «اليهود والأدب الأمريكى المعاصر» دار الهلال ١٩٩٨) وهو بحث عارضته ديانا روبين ورفضت أن تشاركه فيه كما أنها شكت من أن زواجها من تريلنج تم بالطريقة اليهودية . وكان من عادتها أن تقول ان زوجها أكثر وسامة من أن يكون يهوديا . ويعطينا هذا دليلا على تشبع حياة ليونيل تريلنج الأسرية بالجو الليبرالى المتحرر الذى لا يتقيد بالدين اليهودى أو التقاليد المتوارثة .

ومن المعروف أن ليونيل تريلنج هو أول يهودى قدر له فى عام ١٩٣٦ أن يباشر تدريس الأدب الانجليزى فى جامعة كولومبيا الأمريكية . غير أن هذا لم يتحقق بسهولة فقد أبلغته الجامعة أنها لا توافق على استمراره فى وظيفته لأنه

يهودى يؤمن بالمذهبين الفرويدى والماركسى . ولكنه استطاع اقناع إدارة الجامعة بخطأ قرارها باستبعاده . ثم أنجز ليونيل تريلنج رسالة دكتوراه فى أدب ماثيو أرنولد متميزة للغاية الأمر الذى حفز جامعة كولومبيا على الإبقاء عليه .

ورغم تغلبه على معاداة السامية التى أظهرتها الجامعة فقد ترك اعتراضها عليه أعمق الأثر وجعله يتردد كثيرا فى الاعلان عن يهوديته ولم تخف جامعة كولومبيا أنها قبلت ليونيل للعمل بها على مضض . فعندما حاول يهودى آخر هو كليفتون فاديمان الالتحاق بقسم اللغة الانجليزية بجامعة كاليفورنيا صدته هذه الجامعة بقولها : «لدينا مكان ليهودى واحد وقد أخترنا له ليونيل تريلنج» . ولكن هذا التردد فى الاعلان عن يهوديته لم يمنعه من أن يسخر من بنى جلدته ممن يخفون أصولهم اليهودية بسبب رغبتهم فى شغل المناصب الجامعية . وفى عام ١٩٧٠ قامت جامعة كولومبيا بترقيته إلى وظيفة أستاذ الأدب الانجليزى وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته .

ومؤلفات ليونيل ترلينج فى النقد الأدبى بارزة وعديدة منها «ماثيو أرنولد» (١٩٣٩) - «إ . م. فورستر» (١٩٤٣) - «الخيال الليبرالي» (١٩٥٠) - «الذات المعارضة» (١٩٥٥) - «فرويد وأزمتنا الثقافية» (١٩٥٥) - «جماعة من الهاربين» (١٩٥٦) - «مابعد الثقافة: مقالات عن الأدب والتعليم» (١٩٦٥) - «الاخلاص والأصالة» (١٩٧٢) - «العقل فى العالم الحديث» (١٩٧٢) . ولكن تأليفه الروائى اقتصر على رواية واحدة أصدرها عام ١٩٤٣ بعنوان «منتصف الرحلة» .

ويتضح لنا من كتابات ليونيل تريلينج أنه لا يعنى مطلقا بالهوكولست ومعالجة القضايا والمشاكل اليهودية فهو أوضح مثل على المثقف اليهودى المنصهر فى بوتقة الحياة الثقافية الأمريكية (راجع كتابى «اليهود والأدب الأمريكى المعاصر») .

ليونيل تريلنج ككاتب يهودي :

يقتصر اهتمام ليونيل تريلنج بمعالجة الموضوعات اليهودية على باكورة حياته

وخاصة فى الفترة الواقعة بين ١٩٢٥ و١٩٣١ . وهى الفترة التى كتب فيها فى مجلة مينورا ستة وعشرين قصة ومقالا وترجمة عن الفرنسية تدور حول موضوعات يهودية وذلك قبل أن يتوقف نهائياً عن معالجة مثل هذه الموضوعات . كانت جمعية مينورا التى انتمى إليها تريلنج فى صدر شبابه جماعة تقدمية علمانية تؤمن بالمذهب الانسانى وتسعى إلى أن يقبل اليهودى نفسه ويحققها دون أن يخجل من يهوديته أو يكرهها أو يشعر بالعار منها . ورغم أن كثيرا من اليهود أمثال اسرائيل زانجويل قاموا بالكتابة فى مينورا فإن عددا من الكتاب غير اليهود أسهموا فيها أيضا ويذكر مارك كروينيك فى بحثه عن ليونيل تريلنج أن يهوديته ظلت تغذيه وتدعمه لنحو خمسة أعوام . ومن الأسئلة التى شغلت باله فى فترة معالجته للقضايا اليهودية . ما معنى أن يكون المرء يهودياً .

وفى عام ١٩٣٠ قام تريلنج بتدريس كورس عن اليهودى فى الرواية فى مدرسة مينورا الصيفية حوله فيما بعد إلى مقال بعنوان «أسطورة اليهودى المتغيرة» نشرها فى مجلة «تعليق» اليهودية عام ١٩٧٨ وهذا المقال عبارة عن مسح تاريخى لصورة اليهودى فى الأدب الانجليزى منذ الشاعر تشوسر حتى صدور رواية دانييل ديروندا التى ألفتها جورج إليوت . والجدير بالذكر إن إليوت كوهين الذى أصدر مجلة «تعليق»عام ١٩٤٥ طلب من صديقه تريلنج أن يكون أحد مستشارى المجلة ولكنه رفض قائلا إنه لم يعد على استعداد الآن فصاعدا أن يرتبط اسمه بهذه المجلة اليهودية وأثار هذا القول محررى المجلة فاتهمه واحد منهم بكراهية النفس . وعندما أصدر كاتبنا روايته «نصف الرحلة»عام ١٩٤٧ عاقبته مجلة «تعليق» بتجاهل الرواية وتعمدت عدم الاشارة إليها كما أنها تجاهلت كتابه الهام «الخيال الليبرالى» (١٩٥٠) غير أن علاقته السيئة بالمجلة اليهودية تحسنت فيما بعد حيث نشر فيها بعض كتاباته . فضلا عن أنه فى عام ١٩٥٦ أهدى صديقه القديم ومؤسس المجلة كوهين كتابة «جماعة من الهاربين».

وفى عام ١٩٤٤ كتب تريلنج بصريح العبارة «أننى لا أعتبر نفسى كاتبا يهوديا» ثم أردف قائلاً : «لا يخطر على بالى أن أخدم أى غرض يهودى فى كتاباتى . ويسوءنى أن يكتشف أى ناقد فيها أية مثالية أو فضائل منسوبة إلى

اليهود . وأيضا عبر تريلنج عن ندمه على الأربعة أعوام التى ارتبط فيها اسمه بمجموعة مجلة مينورا اليهودية لأن هذه الجماعة فى نظره دأبت على اتباع سياسة انسلاخ اليهود عن المجتمع الأمريكى وشجعتهم على التقوقع والانعزال . وانتهى إلى القول بأنه لا يعرف كاتبا واحدا بالانجليزية استطاع عن طريق وعيه بيهوديته أن يزيد من قامته مثقال ذرة . والذى ينبغى الالتفات إليه كما أوضحت فى كتابى «اليهود والأدب الأمريكى المعاصر» أن موقف ليونيل تريلنج لم يكن موقفا فرديا أو شخصيا بل موقفا عاما تبناه كثير من المثقفين اليهود فى عقد الثلاثينيات فى القرن العشرين الذين حرصوا على الاندماج الكامل فى الثقافة الأمريكية . وبذلك يكون تريلنج قد طلق يهوديته بالثلاث وأولى لها ظهره . وفى عام ١٩٥٠ نشر تريلنج مقاله : «الشاعر وردزورث وأحبار اليهود » وفى عام ١٩٥٠ نشر تريلنج مقالا بعنوان «الشاعر وردزورث والأحبار» جاء فيه ان هذا الشاعر مسيحى أكثر مما تتحمله الحساسية الحديثة وان الخصيصة التى تجعل منه شاعرا غير مقبول أو مستساغ هى أن فيه سمة يهودية وهو بطبيعة الحال رأى لا يرحب به اليهود .

قصص تريلنج اليهودية :

نشر تريلنج فى مجلة مينورا أربع قصص قصيرة أولها قصة «عوائق» المنشورة عام ١٩٢٥ . وهى تدور حول التوتر القائم بين الاندماج الثقافى فى بوتقة الحياة الأمريكية وعدم الاندماج فيها وبطبيعة الحال يثنى تريلنج على الاندماج فى حين أنه يحط من شأن الانعزال وفى عام ١٩٢٦ نشر قصة أخرى بعنوان «فصل من رواية يهودية أنيقة » وفيها ينتصر المؤلف لاندماج الأقلية اليهودية فى المجتمع الأمريكى وهو يهاجم الخصائص والسمات اليهودية ويصفها بالشهوانية والإباحية والتهتك . ويطل هذه القصة اليهودى يتمتع بمظهر يختلف عن مخبره . فمظهره الخادع ينم عن الاندماج والرقى والانفتاح الحضارى فى حين أن مخبره المتهتك يدعو إلى الإشمئزاز . ويتضح من القصة الثالثة وهى بعنوان «جنازة فى النادى مع الغداء» (١٩٢٧) أن المؤلف يتأرجح بين الاعجاب بتراثه اليهودى ومقته . وكذلك يعالج تريلنج فى قصته «مذكرات حول الرحيل » مشكلة افصاح اليهودى فى مجتمع غير يهودى عن يهوديته أو اخفاءها عنه . وفى مجملها تعالج هذه القصص صراع

مؤلفها مع يهوديته . وفى المقدمة التى كتبتها زوجته ديانا لكتاب «الحديث عن الأدب والمجتمع» نراها تعترف بفشل زوجها فى قصصه فى البحث عن والعثور على هويته اليهودية . وفى هذه القصص نرى البطل يعانى من نوع من الازدواجية والتوتر الناجم عن اخفائه ليهوديته وسعيه إلى اقتلاع جذورها .

ويلخص الناقد موريس ديكشتين أزمة ليونيل تريلنج فيقول أنها ترجع إلى كونه يهودى يعيش فى مجتمع غير يهودى ويدرس الأدب الأنجليزى فى جامعة غير عبرية . وإذا كانت فكرة البحث عن الهوية اليهودية والعجز عن تحقيقها هى السمة المشتركة فى قصصه الباكرة فإنه تخلى عنها تماما فى أدبه الروائى اللاحق. وبسبب نبذه لهويته اليهودية تعرض تريلنج لهجوم ضار وعنيف من جانب أعدائه .

٣ - والتر أبيش (١٩٣١ -)

Walter Abish

ولد الروائى والشاعر والتر أبيش - وهو ابن رجل أعمال - فى فيينا بالنمسا يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٣١ . وقبل نهاية عقد الثلاثينيات تمكنت عائلته من الهرب إلى شنغهاى فى الصين حيث أمضت فترة الحرب مختبئة . وقد تركت الفترة التى قضاها مؤلفنا فى شنغهاى أثرا فى نفسه فهو يذكرها كلما روى سيرة حياته . وبقدر ما خلبته شنغهاى فانها أصابته بالحيرة والاضطراب والارتباك. ورغم شيوع العنف والوحشية فى هذه المدينة الصينية فقد غضت عائلة أبيش النظر عنها وتظاهرت بعدم ملاحظتها. والجدير بالذكر أن اللاجئين الأوربيين إلى شنغهاى رفضوا الاندماج فى الحياة الصينية مكتفين بالوقوف موقف السائح . ولم تكن عائلة أبيش الوحيدة التى لاذت بالفرار من أوروبا إلى الصين . وتلقى أبيش تعليمه فى مدرسة انجليزية تجاهلت تماما أنها موجودة على أرض صينية وتصرف أفرادها وكأنهم يعيشون على أرض أوروبية وفى موطنهم الأصلى دون أن يغيروا شيئا من عاداتهم وطقوسهم القديمة.

وبعد الحرب العالمية الثانية سافر أبيش إلى اسرائيل حيث التحق بسلاح المدرعات فى الجيش الاسرائيلى . يقول أبيش فى هذا الشأن : « كنت أعبر أرض الاستعراض العسكرى فى رام خلال العام الثانى الذى قضيته فى سلاح المدرعات عندما جال بخاطرى فجأة أن أصبح كاتبا. وشعرت لحظتها بالأنتعاش الخالص». ولكن أبيش قضى عدة سنوات فى تطوير نفسه ككاتب وفى نفس الوقت قام بدراسة فن العمارة وتخطيط الحضر.

ويذكر أبيش أنه أثناء وجوده فى اسرائيل عقد زواج منفعه لكلا الطرفين ولكن هذا الزواج لم يدم طويلا.. استفادت زوجته من هذا الزواج لأنه أعفاها من الخدمة العسكرية ومكنها من دراسة القانون.

وبعد ذلك هاجر أبيش إلى الولايات المتحدة حيث أصبح مواطنا أمريكيا عام ١٩٦٠وهناك بدأ بنشر كتاباته فى عدد من المجلات الأوروبية المحدودة الأنتشار مثل

« امتداد » و « القصة » و « اتجاهات حديثة فى النثر والشعر » و « أدوات الوصل» و « الفصلية الثلاثية » و « ترانز أتلانتيك ريفيو » . ثم تزوج من نحاته اسمها سيسل أبيش واشتغل بالتدريس فى جامعة كولومبيا لمدة عشرة أعوام .

وأصبح محررا فى مجلتى « القصة » و « أدوات الوصل ».

وفى عام ١٩٧٠ نشر ديوانا فى الشعر بعنوان « موقع المبارزة » ثم مجموعتين قصصيتين بعنوانى « العقول تتقابل » (١٩٧٥) و « فى المستقبل التام» (١٩٧٧) وثلاث روايات هى « افريقيا بحسب حروف الهجاء » (١٩٧٤) و « كم هى ألمانية » (١٩٨٠) و « حمى الخسوف » (١٩٩٣) إلى جانب بعض تجاربه فى الكتابه النثرية بعنوان « المعنى الجديد » (١٩٩٠) . وقد حصل مؤلفنا على عدد من الجوائز منها زمالة جوجنهايم وزمالة ماك آرثر وجائزة فوكنر لأفضل الأعمال الروائية عن روايته « كم هى ألمانية » (١٩٨٠).

أهم أعماله وموضوعاته :

يتناول أدب أبيش الروائى الحقيقة والوهم والباطن والظاهر فى الحياة الأنسانية وكيف أن الواقع يختلف عن الخيال أختلاف الليل والنهار. ويتجلى هذا فى قصته « كم هى ألمانية » حيث نلاحظ أن فيينا تلك العاصمة النمسوية المهذبة تخفى فى أعماقها الكراهية المشبوبة للسامية .

تميزت روايات أبيش الباكرة بالنزعة إلى التجريب وبعض هذا التجريب أقرب ما يكون إى الفوازير اللغوية كأن يتعمد المؤلف كتابة بعض فصول روايته « أفريقيا بحسب الحروف الأبجدية » متجنبا استخدام حروف هجاء بعينها من البداية حتى النهاية.

وتعتبر قصة « كم هى ألمانية! » أهم أعماله . وهو تشير إلى الهولوكست والأحرى أن نقول أنها تسعى إلى طمس ذكرا ه ونسيان وحشيته. وتدور أحداثها حول روائى يدعى أولريتش هارجينو يعود إلى بلاده ألمانيا بعد قضاء فترة طويلة فى باريس والجدير بالذكر أن ألمانيا الجديدة بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية تسعى جاهدة إلى محو ألمانيا النازية من الذاكرة فعمدة مدينة برومهولد شتين - مسقط

رأس هارجينو التى كانت تسمى درست أيام النازية - لا يألو جهدا للعمل على تناسى أفعال النازية البغيضة . وهو بفضل روايات برنارد فيج على روايات أولر يتش هاجينو لأن رويات فيج على حد قوله : « ليست مغموة فى الماضى كما أن شخصيات كتبه لسعدها تخلو من الاستغراق المعتاد فى التفكير فى الفترة من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٥ من حياتنا » - وهى فترة الاضطهاد النازى لليهود .

وألمانيا الجديدة التى جاءت على أنقاض ألمانيا النازية معجزة اقتصادية تتمثل فى انتاج سيارات المرسيدس وغيرها من المنتجات . ولكن مهما حاولت ألمانيا اخفاء وجهها النازى القبيح فلا مناص من عودته إلى الظهور . وتذكر قصته « كم هى ألمانية » ان السلطات النازية أعدمت والد الروائى أولريتش لتورطه عام ١٩٤٤ فى محاولة لاغتيال هتلر وأن بولا زوجة أولر يتش السابقة شاركت فى الهجوم الارهابى على بعض مكاتب البريد . وبينما يحاول العمال اصلاح ماسورة الصرف الصحى فى مدينة درست الصغيرة يكتشفون وجود قبر جماعى يذكر العالم بالفظائع النازية التى ارتكبت فيها. والقصة كما هو واضح تعالج موضوع الهولوكست ومحاولة نسيانه وهى قريبة الشبه بالقصص التى ألفها الروائى الاسرائيلى أهارون أبلفيدا وهى تطرح احتكاك اللغة الألمانية بعدد من اللغات الأخرى الأمر الذى أفقدها شيئا من نقاوتها . وأخيراً يجدر بنا أن نعرف أن استغراق والتر أبيش فى التجريب والتجديد قلص انتشاره وشعبيته.

٤ - ماكس أبل (١٩٤١ -)

Max Apple

سيرة حياته:

ولد الروائى الكوميدى مكس أبل فى ميتشيجان بالولايات المتحدة فى ٢٢ اكتوبر ١٩٤١ وقد اضطلع جداه بتربيته عل ينفس التقاليد التى نشأ وترعرع عليها الكاتب اليهودى المنشق المعروف اسحق بابل . ورغم أن أحياء ميتشيجان كانت أبعد ما تكون عن الجيتو اليهودى فقد تصرفت جدته وكأنها تعيش فى جيتو اليهود فى أوربا الشرقية . فلا غرابة إذا رأينا كاتبنا يتعلم لغة اليديش قبل أن يتعلم اللغة الانجليزية . وفى الحديث الذى أدلى به ماكس أبل للناقد الأدبى ماكفرى عام ١٩٨٧ اعترف مولفنا بأن عائلته اهتمت اهتماما بالغا بملاحظة ومتابعة مسلك غير اليهود تماما مثلما اهتم اسحق بابل بمتابعة مسلك القوزاق الروس وفى عقد الستينيات عنى ماكس أبل بدراسة الأدب الانجليزى الذى حصل فيه على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٠ حتى يتمكن من شغل وظيفة مناسبة وعنى ماكس أبل فى أعماله خاصة «أمريكا الزاهرة » (١٩٧٦) و«السوسنة» (١٩٧٨) بتسجيل المتغيرات التى طرأت على الحياة الثقافية الأمريكية مؤخرا . وبفضل شهادة الدكتوراه تم تعيينه كمدرس فى كلية ريد فى بورتلاند بولاية أوريجون ثم التحق بجامعة رايس فى هاوستون بولاية تكساس حيث رقى إلى وظيفة أستاذ مشارك عام ١٩٧٦ ثم استاذ عام ١٩٨٠ .

أهم أعماله وموضوعاته :

تجمع أعمال ماكس أبل الروائية بين الواقع والخيال . ويروى لنا إيرا جولدشتين أحداث رواية السوسنة» . وايرا شاب يجد نفسه نهبا مقسما بين ثقافتين : «ثقافة أمه اليهودية المهاجرةإلى أمريكا من شرق أوروبا وهى ثقافة ترفض الاندماج فى بوتقة الثقافة الأمريكية وثقافة حبيبته وهى ثقافة عقد الستينيات الراديكالية من الناحيتين السياسية والجنسية .

وفى روايته القصيرة «الأعوان الأحرار» (١٩٨٤) يجمع ماكس أبل بين السيرة الذاتية وشطحات الخيال الغريبة . وتعالج هذه الرواية فكرة أشد ما تكون غرابة مفادها أن أعضاء جسم انسان الداخلية تتداول فيما بينها وتقرر أين ينبغى زرعها فى جسم آخر .

وقد ذاع اسم ماكس أبل فى السبعينيات غير أن بعض النقاد لا يأخذون أدبه مأخذ الجد بل يعتبرونه نوعا من التهريج . ويشرح لنا المؤلف فى مقال كتبه بعنوان «عن الواقعية » شطحات خياله ويعترف بأن البعض يتهمونه بالجنون . فضلا عن أن أصدقاءه يسألونه من أين يأتى بأفكاره الغريبة مثل أعضاء الجسم الداخلية التى تتناقش أين تزرع ومثل المعاهدة التى تعقدها مدينة ملاهى والت ديزنى مع جزيرة تايوان . وعندما اتهم المؤلف بالاستغراق فى شطحات الخيال نراه يدافع عن نفسه بقوله إن الواقع أكثر غرابة من الخيال .

وإلى جانب روايتى «أمريكا الزاهرة » التى كتبها عام ١٩٧٦ و «السوسنة» التى كتبها عام ١٩٧٨ نشر ماكس أبل «الأعوان الأحرار» (١٩٨٤) و «المتنبؤن» (١٩٨٧) «وزملاء الحجرة» (١٩٩٤) .

٥ - بول أوستر (١٩٤٧ -)

Paul Auster

ولد بول أوستر فى نيووارك بولاية نيوجرسى فى ٣ فبراير عام ١٩٤٧ فى عائلة يهودية تنحدر من أصل روسى وبولندى . واتسمت عائلته بالعنف فقد أقدمت جدته على ضرب زوجها بالرصاص . تأثر أوستر بعدد من الأدباء السابقين عليه مثل كافكا وبيكيت ، واتجه فى شبابه إلى قرض الشعر . وفى عام ١٩٧٠ حصل على شهادة الماجستير فى جامعة كولومبيا وتوفر على ترجمة قصائد من الشعر الفرنسى . ثم سافر إلى فرنسا ليعيش فيها فى فبراير ١٩٧١ حتى يولية ١٩٧٤ . وهناك قام بترجمة بعض كتابات بلاتشوت وسارتر ومالارميه كما اشتغل كعامل تيلفون فى مكتب جريدة النيويورك تايمز فى باريس . وكذلك كمتعهد فى مزرعة فى منطقة بروفانس . ثم عاد إلى الولايات المتحدة حيث تزوج من ليديا دافيز وأنجب منها طفلا . وسرعان ما طلق زوجته وأولى ظهره للكتابة ولكنه مالبث أو عاد إليها فى ديسمبر ١٩٧٨ وعندما مات والده فى ١٤ يناير ١٩٤٩ وترك له ثروة أنفقها على نشر أعماله الروائية . وفى أوائل عام ١٩٨١ التقى بالكاتبة سيرى هستفدت التى تزوجها وأنجب منها عام ١٩٨٨ ابنة اسمها صوفى .

وتختلط الحقيقة والخيال فى أدب بول أوستر وكتاباته تتضمن جانباً من سيرة حياته . وإلى جانب ذلك كتب أوستر للسينما على طريقة هتشكوك . حتى أفلامه لاتخلو من سيرة حياته . ويحمل الفرنسيون واليابانيون الاعجاب الشديد بأدبه ولكن هذا لايحول دون اعجاب بعض الأمريكان به . وفى عامى ١٩٧٥ و ١٩٨٢ أعطته مؤسسة انجرام ميريل منحتين للشعر . وفى عام ١٩٧٧ أعطاه مركز الترجمة بدار العلم احدى منحه . وأيضا أعطته الهيئة القومية للفنون منحة للشعر عام ١٩٧٩ وأخرى للكتابة الخلاقة عام ١٩٨٥ . ورشحت بعض رواياته للحصول على بعض الجوائز الهامة مثل جائزة ادجار لعام ١٩٨٦ عن روايته «مدينة الزجاج» كأفضل رواية أسرار وجائزة بوسطن جلوب للصحافة الأدبية عن روايته «الحجرة الموصدة» . وفى عام ١٩٩٠ حصل على جائزة مورتون من الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب

ومنحته فرنسا جائزة الثقافة للأدب الأجنبى عام ١٩٨٩ وجائزة أخرى عن روايته «التنين» عام ١٩٩٣ .

أصدر بول أوستر عددا من دواوين الشعر والمقالات والترجمات إلى جانب الروايات التالية : «مدينة من الزجاج» (١٩٨٥) - «الأشباح» (١٩٨٦) - «الحجرة الموصدة» (١٩٨٦) - «فى بلاد الأشياء الأخيرة» (١٩٨٧) - «ثلاثية نيويورك» (١٩٨٧) - «قصر القمر» (١٩٨٩) - «موسيقى الصدفة» (١٩٩٠) - «التنين» (١٩٩٢) - «مستر فيرتايجو» (١٩٩٤) .

أهم أعماله وموضوعاته :

تنم كتابات بول أوستر عن اهتمامه باليهودية وكذلك عن الصعوبات التى تواجهها الكتابة عن اليهود فى عالم مابعد الهولوكست . وهذه الأفكار تتردد كثيرا فى المقالات التى جمعها فى وقت لاحق بعنوان «فن الجوع» (١٩٨٢) و«العمل الأساسي» (١٩٩٠) . وفى مقاله «كتاب الموتي» تناول أوستر الشاعر اليهودى ادموند جابيه كما أنه تناول بول سيلدن فى مقاله «شعر المنفي» وأيضا عالج فى مقاله «اللحظة الخاسمة » الكتاب الذى ألفه تشالس زرينكوف بعنوان «الشهادة والهولوكست» .

ويشبه أوستر الشاعر اليهودى ادموند جابيه الذى يصفه بأنه رفيق وحدته فى أنه بدأ حياته الأدبية بقرض الشعر قبل أن يتجه إلى التأليف الروائى . عرف أوستر اليأس والذات المفككة التى عبر عنها عام ١٩٧٧ فى كتابه «أجزاء البرد المفككة» فضلا عن أنه قال فى «مواجهة الموسيقي» التى كتبها عام ١٩٨٠ إنه لايؤمن بشئ . ولكن هذا اليأس ليس مطلقاً فى قتامته فهو ينطوى على احتمالات الميلاد الجديد . وإذا كانت أعمال مؤلفنا الباكرة تحدثنا عن الضياع وتتضمن اشارات يهودية من وقت لآخر فإن شخصيات رواياته اللاحقة مثل المستر فريايجو تبرز صورة اليهود . وعلى أية حال فإن جميع شخصياته الروائية الباكر منها واللاحق على حد سواء تواجه الضياع ومحكوم عليا بالهيام الأبدى على وجع الأرض قبل أن تسنح لها فرصة الرجوع إلى جذورها اليهودية .

وينكر أوستر أن الكتاب الذى ألفه عام ١٩٨٢ بعنوان «أختراع الوحشة» يتضمن سيرة حياته . فقد وصفه فى «فن الجوع» بأنه يحتوى على تأملاته حول بعض المسائل دون أن يكشف عن حياته . غير أن الرواية الأولى فى ثلاثيته - وهى رواية بوليسية - تتضمن جانبا من سيرة حياته . وتدل روايته «فى بلاد الأشياء الأخيرة» (١٩٨٧) على تأثرها بالكاتب الأمريكى هو ثورن . فضلا عن أن هذه الرواية البوليسية تعالج موضوع الهولوكست . والرواية مبنية على قاعدة تاريخية محددة وتتضمن اشارات إلى جيتو وارسو وحصار لينينجراد .

ويلاحظ أن مؤلفنا بدأ يكتب الروايات التى تروق للقراء الأمريكان عندما أصدر عام ١٩٨٩ روايته «قصر القمر» التى لا تركز على الموضوعات اليهودية والموضوعات الميتافيزيقية كما هو الحال فى أعماله الروائية السابقة . والجدير بالذكر أن المؤلف يهتم فى هذه الرواية بفترة الحرب العالمية الثانية وحرب الأمريكان للتخلص من الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين وبالقنبلة الذرية والحرب الأمريكية فى فيتنام . وتجسد الرواية روح المغامرة التى يتسم بها الأمريكيون إلى جانب سعيهم الى التعرف على جذورهم القومية والشخصية .

وتظهر فى الرواية التالية «موسيقى الفرصة» (١٩٩٠) شخصية الأديب الأمريكى جاك كيرواك المنتمى الى جيل البيتنيك فى عقد الستينيات . وقد قام المخرج فيليب هاوس عام ١٩٩٣ بتحويل الرواية إلى فيلم أصاب قدرا من النجاح .

وتدور رواية التنين (١٩٩٢) حول يهودى أمريكى يدعى بيتر أرون وحول جانب من التاريخ الأمريكى مثل القاء القنبلة الذرية على هورشيما . فضلا عن أنها تعنى باستجلاء المراحل المختلفة لمشكلة الحرية الأمريكية منذ جذورها حتى مابعد هورشيما . وتختلف رواية أوستر «المستر فيرتايجو» (١٩٩٤) عن رواياته السابقة فى أنها تعالج على نحو واضح وصريح شخصيات يهودية لا مراء فيها كما أنها تعالج بدء وعى اليهودى بيهوديته . وتصور «المستر فيرتايجو» سعى الانسان إلى الوصول إلى الكمال وهو الأمر الذى لن يتحقق إذا فقد الانسان الحديث الجانب اليهودى فى شخصيته . وقد ألف بول أوستر مؤخرا قصة فيلم سينمائى كوميدى

بعنوان «الدخان» استمده من قصته المنشورة فى جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٠ بعنوان «قصة عيد الميلاد» بالاضافة إلى فيلم سينمائى آخر بعنوان «زرقة فى الوجه» .

والغريب أن أدب بول أوستر أثير الى قلوب النقاد الفرنسيين وأنه يصيب نجاحا فى كل من فرنسا واليابان أكثر من نجاحه فى الولايات المتحدة . ومع ذلك فقد ترجمت أعماله إلى خمسة عشر لغة أجنبية . وعلى أية حال يجب التنويه بأن كتاب «اختراع الوحشة » استرعى انتباه الكثيرين من القراء الأمريكان . كما أن ثلاثيته البوليسية المعروفة باسم «ثلاثية نيويورك» لقيت قدرا أكبر من النجاح بينهم .

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://www.facebook.com/books4all.net

رقم الأيداع : 2001 / 8576

الترقيم الدولي :I-S-B-N 977-05-1842-5